عقيدة الشعراوي في تفسيره

رسالة دكتوراه/ابراهيم الغامدي

عَقِيدَةُ الشَّعْرَاوِيِّ

فِي تَفْسِيرِهِ

ح إبراهيم رافع إبراهيم الغامدي. ١٤٣٧ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الغامدي. إبراهيم رافع إبراهيم
عقيدة الشعراوي في تفسيره / إبراهيم رافع إبراهيم
جدة- ١٤٣٧ هـ
٥١٢ص. سم
ردمك: ٢-١٦٧٢-٢٠-٣٠٦-٩٧٨

١- العقيدة الإسلامية ٢- الشعراوي. محمد متولي ت ١٤١٩هـ
-نقد أ. العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٣٧/٩٩٢٣

رقم الإيداع: ١٤٣٧/٩٩٢٣
ردمك: ٢-١٦٧٢-٢٠-٣٠٦-٩٧٨

الطبعة الأولى



البريد الإلكتروني: Dar.alktab.alalme@gmail.com

دار الإمام مسلم للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة
جوال: ٠٥٩٠٩٦٠٠٠٢ - ٠٥٣٢٦٢٧١١١

الصف والإخراج
دار الإمام مسلم للنشر والتوزيع

عقيدة الشعراوي

في تفسيره

هذا البحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في العقيدة

تأليف

إبراهيم رافع إبراهيم الغامدي

مدير المعهد العلمي الثاني

لتعليم الكتاب والسنة بجدة

دار الإمام مسلم

مركز سطور للبحث العلمي

هذا البحث رسالة جامعية تقدم بها الباحث إلى الجامعة الإسلامية في أم درمان، وقد نوقشت في شهر شعبان ١٤٣٧ هـ، الموافق شهر يونيو ٢٠١٦م، وأجيزت بتقدير ممتاز.

للمراسلة

رسالة نصية على المحمول: ٠٥٣٦٧٧٧٧٩٤

مُقَدِّمَة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم البعث والدين، أما بعد..

فإنّه لا يخفى على كل مسلم أهميةُ العقيدة والإيمان، وعِظَمُ شأنها، وكثرة عوائدها وفوائدها وثمرتها على المؤمن في الدنيا والآخرة.

بل إنّ كلَّ خير - في الدنيا والآخرة - متوقفٌ على تحقيق الإيمان والعقيدة الصحيحة؛ فهي أجلُّ المطالب، وأهمُّ المقاصد، وأنبل الأهداف، وبها يحيا العبد حياة السعداء، وينجو من المكاره والشرور والشقاء، وينال ثواب الآخرة ونعيمها المقيم؛ الذي لا يَحُولُ ولا يزول.

وقد دلت نصوص الوحي - من الكتاب والسُنة - على أن الإيمان يقوم على أصول ستة؛ وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. وقد جاء ذكر هذه الأصول في كتاب الله وفي سُنة رسول الله ﷺ، في مواطنَ عِدّةٍ؛ منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

وثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه - المشهور بحديث جبريل - أن جبريل سأل النبي ﷺ فقال: أخبرني عن الإيمان، فقال النبي ﷺ: « أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره »[1].

فهذه أصولٌ ستةٌ عظيمة يقوم عليها الإيمان، لا إيمان لأحد إلا بالإيمان بها، وهي أصول مرتبطة متلازمة، لا ينفك بعضها عن بعض؛ فالإيمان ببعضها مستلزمٌ للإيمان بباقيها، والكفر ببعضها كفر بباقيها. ولذا كان متأكَّدًا في حق كل مسلم أن تعظُمَ عنايتُه واهتمامه بهذه الأصول؛ عِلمًا وتعلمًا وتحقيقًا.

❀ ❀ ❀

(١) صحيح مسلم حديث (٨)، (١/ ٣٦).

أولًا : أسباب اختيار الموضوع وأهميته :

١- الشيخ الشعراوي من أشهر العلماء المعاصرين الذين لهم إسهامات كبرى في التراث الإسلامي المعاصر .

٢- إبراز وتوضيح منهج الشيخ الشعراوي في تقرير مسائل العقيدة من خلال تفسيره.

٣- بيان وتفنيد الافتراءات على أعلام الأمة الإسلامية.

٤- جانب العقيدة من أهم الجوانب التي تناولها الشيخ الشعراوي في تفسيره.

٥- شُحٌّ الدراسات عن منهج الشيخ الشعراوي في تقرير مسائل العقيدة من خلال تفسيره حسب علمي.

ثانيًا : أهمية دراسة الموضوع:

١ - أهمية الاعتناء بدراسة علوم القرآن الكريم.

٢- أهمية دراسة العقيدة الإسلامية الصحيحة.

٣- أهمية البحث العلمي لكل طالب علم؛ مما يجعله يرتقي به.

ثالثًا : منهج البحث :

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي، وقام بالخطوات التالية:

- حصرُ مسائل العقيدة في تفسير الشعراوي وتجريدُها وجمعُ الأقوال التي تتعلق بكل مبحث على حِدة.

- تناولُ كل مسألة من تلك المسائل بالتفصيل الذي يليق بها؛ لبيان منهج الشعراوي في تقريرها.

- عزو الآيات القرآنية التي وردت في البحث؛ بذكر اسم السورة، ورقم الآية، مع ضبطها برسم المصحف.

- تخريج الأحاديث التي وردت في البحث من مصادر كتب السُنة المشهورة.

- ترجم الباحث للأعلام الذين ورد ذكرهم في متن البحث - عدا الخلفاء الأربعة - رضوان الله عليهم.

- التزمَ عند النقل عن أي مرجع أو الاستفادة منه؛ الإشارة إلى مؤلفه، وإلى رقم جزئه، وصفحته، وطبعته، ودار نشره إن وجد؛ وهذا عند ورود المصدر للمرة الأولى، وبعد ذلك يذكره مختصرًا ثم يعود ويوثقه كاملًا في فهارس البحث.

- استعمل رموزًا في البحث؛ وهي: (ط) تعني طبعة، و(ص) تعني صفحة، و(ج) تعني مجلد.

رابعًا: مشكلة البحث:

- ما هي الصعوبات في تناول مسائل العقيدة؟

- لماذا تفرقت مسائل العقيدة في تفسير الشعراوي؟

خامسًا: الدراسات السابقة:

لم أجد - فيما أعلم - بحثًا مستقلًا في هذا الموضوع بخصوصه.

سادسًا: هيكل البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة؛ على النحو التالي:

- المقدمة:

وقد تناول فيها الباحث أهمية الموضوع، ومنهج البحث، والصعوبات التي واجهت البحث، والدراسات السابقة.

- التمهيد: الشيخ الشعراوي: حياته وآثاره، وثناء العلماء عليه.

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: الشيخ محمد متولي الشعراوي: حياته وآثاره.

- المبحث الثاني: ثناء العلماء عليه.

- الباب الأول: مسائل العقيدة الواردة في الإلهيات.

وفيه ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: توحيد الربوبية.

- الفصل الثاني: توحيد الألوهية.

- الفصل الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

- الباب الثاني: النبوات.

وفيه فصلان:

- الفصل الأول: الإيمان بالرسل.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: حُكم الإيمان بالرُسل وحاجة البشرية لهم، وثمرات الإيمان بهم.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما.

المطلب الثاني: حُكم الإيمان بالرُسل وحاجة البشرية لهم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أدلة الإيمان بالكُتب السابقة والقرآن.

المطلب الثاني: المقارنة بين القرآن والكُتب السابقة.

- الباب الثالث: مسائل العقيدة الواردة في السمعيات

وفيه أربعة فصول:

- الفصل الأول: الملائكة.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الملائكة والمراد بالإيمان بهم وصفاتهم.

المبحث الثاني: وظائف الملائكة وأعمالهم وعددهم وعلاقتهم بالإنسان وبقية المخلوقات.

المبحث الثالث: أسماء الملائكة، وثمرات الإيمان بهم.

- الفصل الثاني: الجن.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الجن وخلقهم وصفاتهم.

المبحث الثاني: العلاقة بين الجن والملائكة.

المبحث الثالث: العلاقة بين الجن والإنس.

- الفصل الثالث: اليوم الآخر.

وفيه عشرة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الإيمان باليوم الآخر، وأهميته، وثمرات الإيمان به.

المبحث الثاني: القبر : فتنته وعذابه ونعيمه.

المبحث الثالث: البعث.

المبحث الرابع: الحشر.

المبحث الخامس: العرض والحساب.

المبحث السادس: الميزان.

المبحث السابع: الحوض.

المبحث الثامن: الصراط.

المبحث التاسع: الشفاعة.

المبحث العاشر: الجنة والنار.

- الفصل الرابع: القضاء والقدر.

وفيه ثلاثة مباحث:

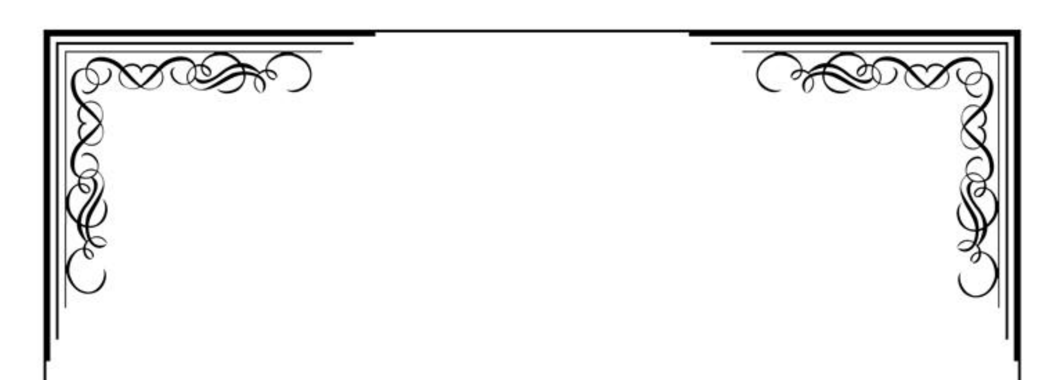
المبحث الأول: مفهوم الإيمان بالقضاء والقدر، ومراتب القدر.

المبحث الثاني: مسألة خلق أفعال العباد، والفِرَق التي ضلت في القدر.

المبحث الثالث: الهداية.

- الخاتمة:

واشتملت على أهم النتائج والتوصيات.



التمهيد:

الشيخ الشعراوي

حياته وآثاره، وثناء العلماء عليه

وفيه مبحثان

المبحث الأول

الشيخ محمد متولي الشعراوي: حياته وآثاره

المبحث الثاني

ثناء العلماء عليه





المبحث الأول

الشيخ محمد متولي الشعراوي: حياته وآثاره[1].

حياة الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يُعد الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أشهر مفسري معاني القرآن الكريم في العصر الحديث؛ حيث عمل على تفسير القرآن الكريم بطرق مبسطة وعامية مما جعله يستطيع الوصول لشريحة كبيرة من المسلمين في جميع أنحاء العالم العربي، وعُرِفَ بأُسلوبه العذب البسيط في تفسير القرآن، وكان تركيزه على النقاط الإيمانية في تفسيره، والقصص، والنواحي اللغوية؛ مما جعله يقترب من قلوب الناس، وبخاصة وأن أسلوبه يناسب جميع المستويات والثقافات.

مولده وتعليمه:

ولد الشيخ محمد متولي الشعراوي في (١٥ أبريل عام ١٩١١م)، بقرية دقادوس مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية بمصر، وحفظ القرآن الكريم في الحادية عشرة من عمره.

وفي عام (١٩٢٢م) التحق بمعهد الزقازيق الابتدائي الأزهري، وأظهر نبوغًا منذ الصغر في حفظه للشعر والمأثور من القول والحكم، ثم حصل على الشهادة الابتدائية الأزهرية سنة (١٩٢٣م). ودخل المعهد الثانوي الأزهري، وزاد اهتمامه بالشعر والأدب، وحظى بمكانة خاصة بين زملائه، فاختاروه رئيسًا لاتحاد الطلبة، ورئيسًا لجمعية الأدباء بالزقازيق، وكان معه في ذلك الوقت الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، والشاعر طاهر أبو فاشا، والأستاذ خالد محمد

---

(١) لم أجد كتابًا في المكتبات يترجم له.

خالد، والدكتور أحمد هيكل، والدكتور حسن جاد، وكانوا يعرضون عليه ما يكتبون.

كانت نقطة التحول في حياة الشيخ الشعراوي؛ عندما أراد والدهُ إلحاقَه بالأزهر الشريف بالقاهرة، وكان الشيخ الشعراوي يود أن يبقى مع إخوته لزراعة الأرض، ولكن إصرارَ الوالد دفعه لاصطحابه إلى القاهرة، ودفع له المصروفات لتجهيز المكان للسكن.

فما كان منه إلا أن اشترط على والده أن يشتري له كميات من أمهات الكتب في التراث واللغة وعلوم القرآن والتفاسير وكتب الحديث النبوي الشريف، كنوع من التعجيز؛ حتى يرضى والده بعودته إلى القرية. لكن والده فطن إلى تلك الحيلة، واشترى له كل ما طلب قائلًا له: أنا أعلم يا بني أن جميع هذه الكتب ليست مقررة عليك، ولكني آثرت شراءها لتزويدك بها كي تنهل من العلم.

وهذا ما قاله فضيلة الشيخ الشعراوي في لقائه مع الصحفي طارق حبيب في لقاء صحفي.

التحق الشعراوي بكلية اللغة العربية سنة (١٩٣٧م)، وانشغل بالحركة الوطنية والحركة الأزهرية، فحركة مقاومة المحتلين الإنجليز سنة (١٩١٩م) اندلعت من الأزهر الشريف، ومن الأزهر خرجت المنشورات التي تعبر عن سخط المصريين ضد الإنجليز المحتلين. ولم يكن معهد الزقازيق بعيدًا عن قلعة الأزهر في القاهرة، فكان يتوجه هو وزملاؤه إلى ساحات الأزهر وأروقته، ويلقى بالخطب مما عرضه للاعتقال أكثر من مرة، وكان وقتها رئيسًا لاتحاد الطلبة سنة (١٩٣٤م).

التدرج الوظيفي:

تخرج عام (١٩٤٠م)، وحصل على العالمية مع إجازة التدريس عام (١٩٤٣م)، وبعد تخرجه عُيّن الشعراوي في المعهد الديني بطنطا، ثم انتقل بعد ذلك إلى المعهد الديني بالزقازيق ثم المعهد الديني بالإسكندرية. وبعد فترة خبرة طويلة انتقل الشيخ الشعراوي إلى العمل في السعودية عام (١٩٥٠م) ليعمل أستاذًا للشريعة الإسلامية في جامعة الملك عبد العزيز - فرع مكة المكرمة -.

اضطر الشيخ الشعراوي أن يُدرِّس مواد العقيدة الإسلامية رغم تخصصه أصلًا في اللغة؛ وهذا في حد ذاته يشكل صعوبة كبيرة، إلا أن الشيخ الشعراوي استطاع أن يثبت تفوقه في تدريس هذه المواد بدرجة كبيرة لاقَتِ استحسانَ وتقديرَ الجميع.

وفي عام (١٩٦٣م) حدث الخلاف بين الرئيس جمال عبد الناصر وبين الملك سعود؛ وعلى أثر ذلك منع الرئيس جمال عبد الناصر الشيخ الشعراوي من العودة ثانية إلى السعودية، وعُيّن في القاهرة مديرًا لمكتب شيخ الأزهر الشريف الشيخ حسن مأمون.

ثم سافر الشيخ الشعراوي بعد ذلك إلى الجزائر رئيسًا لبعثة الأزهر هناك، ومكث بالجزائر حوالي سبع سنوات قضاها في التدريس، وأثناء وجوده في الجزائر حدثت نكسة يونيو (١٩٦٧م)، وقد سجد الشعراوي شكرًا لأقسى الهزائم العسكرية التي منيت بها مصر؛ وبرَّرَ ذلك « في حرف التاء » في برنامج من الألف إلى الياء بقوله: « بأن مصر لم تنتصر وهي في أحضان الشيوعية فلم يفتن المصريون في دينهم »، وحين عاد الشيخ الشعراوي إلى القاهرة عُيّن مديرًا لأوقاف محافظة

الغربية فترة، ثم وكيلًا للدعوة والفكر، ثم وكيلًا للأزهر ثم عاد ثانية إلى السعودية، حيث قام بالتدريس في جامعة الملك عبد العزيز - بجدة -.

وفي نوفمبر (١٩٧٦م) اختار السيد ممدوح سالم رئيس الوزراء آنذاك أعضاء وزارته، وأسند إلى الشيخ الشعراوي وزارة الأوقاف وشؤون الأزهر؛ فظل الشعراوي في الوزارة حتى أكتوبر عام (١٩٧٨م).

اعتبر أول من أصدر قرارًا وزاريًا بإنشاء أول بنك إسلامي في مصر وهو بنك فيصل الإسلامي، حيث إنّ هذا من اختصاصات وزير الاقتصاد أو المالية - دكتور/حامد السايح في تلك الفترة -، الذي فوضه، ووافقه مجلس الشعب على ذلك.

وفي سنة (١٩٨٧م) اختير عضوًا بمجمع اللغة العربية (مجمع الخالدين).

وفيما يلي التدرج الوظيفي الكامل للشيخ الشعراوي:

- عُيِّنَ مدرسًا بمعهد طنطا الأزهري وعمل به، ثم نقل إلى معهد الإسكندرية، ثم معهد الزقازيق.

- أعير للعمل بالسعودية سنة (١٩٥٠م)؛ وعمل مدرسًا بكلية الشريعة، بجامعة الملك عبد العزيز بمكة.

- عُيِّنَ وكيلًا لمعهد طنطا الأزهري سنة (١٩٦٠م).

- عُيِّنَ مديرًا للدعوة الإسلامية بوزارة الأوقاف سنة (١٩٦١م).

- عُيِّنَ مفتشًا للعلوم العربية بالأزهر الشريف (١٩٦٢م).

- عُيِّنَ مديرًا لمكتب الأمام الأكبر شيخ الأزهر حسن مأمون (١٩٦٤م).

- عُيِّنَ رئيسًا لبعثة الأزهر في الجزائر (١٩٦٦م).

- عُيِّنَ أستاذًا زائرًا بجامعة الملك عبد العزيز بكلية الشريعة بمكة المكرمة (١٩٧٠م).

- عُيِّنَ رئيسًا لقسم الدراسات العليا بجامعة الملك عبد العزيز (١٩٧٢م).

- عُيِّنَ وزيرًا للأوقاف وشؤون الأزهر بجمهورية مصر العربية (١٩٧٦م).

- عُيِّنَ عضوًا بمجمع البحوث الإسلامية (١٩٨٠م).

- اختير عضوًا بمجلس الشورى بجمهورية مصر العربية (١٩٨٠م).

- عرضت علية مشيخة الأزهر وكذا منصب في عدد من الدول الإسلامية لكنه رفض وقرر التفرغ للدعوة الإسلامية.

أسرة الشيخ الشعراوي:

تزوج محمد متولي الشعراوي وهو في الثانوية - بناء على رغبة والده الذي اختار له زوجته -، ووافق الشيخ على اختياره؛ لينجب ثلاثة أولاد وبنتين، الأولاد: سامي وعبد الرحيم وأحمد، والبنتان فاطمة وصالحة.

وكان الشيخ يرى أن أول عوامل نجاح الزواج هو الاختيار والقبول من الطرفين والمحبة بينهما.

الجوائز التي حصل عليها:

- مُنِحَ الإمام الشعراوي وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى، لمناسبة بلوغه سن التقاعد في (١٥/٤/١٩٧٦م)؛ قبل تعيينه وزيرًا للأوقاف وشؤون الأزهر.

- مُنِحَ وسام الجمهورية من الطبقة الأولى عام (١٩٨٣م وعام ١٩٨٨م)، ووسام في يوم الدعاة.

- حصل على الدكتوراه الفخرية في الآداب من جامعتي المنصورة والمنوفية.

- اختارته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عضوًا بالهيئة التأسيسية لمؤتمر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية الذي تنظمه الرابطة، وعهدت إليه بترشيح من يراهم من المحكمين في مختلف التخصصات الشرعية والعلمية، لتقويم الأبحاث الواردة إلى المؤتمر.

- جعلته محافظة الدقهلية شخصية المهرجان الثقافي لعام (١٩٨٩م) والذي تعقده كل عام لتكريم أحد أبنائها البارزين، وأعلنت المحافظة عن مسابقة لنيل جوائز تقديرية وتشجيعية، عن حياته وأعماله ودوره في الدعوة الإسلامية محليًا، ودوليًا، ورصدت لها جوائز مالية ضخمة.

- اختارته جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم كشخصية العام الإسلامية في دورتها الأولى عام (١٤١٨هـ الموافق ١٩٩٨م)؛ وكانت قيمة الجائزة مليون درهم إماراتي.

آثار الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ:

للشيخ الشعراوي عدد من المؤلفات، قام عدد من محبيه بجمعها وإعدادها للنشر، وأشهر هذه المؤلفات وأعظمها:

- **تفسير الشعراوي**[1] **للقرآن الكريم**، الذي بدأ تسجيله على شاشات التلفاز قبل سنة (١٩٨٠م) بمقدمة حول التفسير، ثم شرع في تفسير سورة الفاتحة وانتهى

(١) يقع الكتاب في (٢٥) جزءًا متقاربة في عدد الصفحات، طباعة دار أخبار اليوم في دولة مصر، (١٩٩٣م).

عند أواخر سورة الممتحنة وأوائل سورة الصف[1]، وحالت وفاته دون أن يفسر القرآن الكريم كاملًا، ويُذكر أن له تسجيلًا صوتيًا يحتوي على تفسير جزء عم (الجزء الثلاثون)[2].

يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي موضحًا منهجه في التفسير:

خواطري حول القرآن الكريم لا تعني تفسيرًا للقرآن، وإنّما هي هبات صفائية، تخطر على قلب مؤمن في آية أو بضع آيات.. ولو أن القرآن من الممكن أن يفسر، لكان رسول الله ﷺ أولى الناس بتفسيره؛ لأنه عليه نزل وبه انفعل وله بلغ وبه علم وعمل، وله ظهرت معجزاته، ولكن رسول الله ﷺ اكتفى بأن يبين للناس على قدر حاجتهم من العبادة التي تبين لهم أحكام التكليف في القرآن الكريم، وهي: «افعل ولا تفعل..».

اعتمد في تفسيره على عدة عناصر من أهمها:

١- اللغة كمنطلق لفهم النص القرآني.

٢- محاولة الكشف عن فصاحة القرآن وسر نظمه.

٣- الإصلاح الاجتماعي.

٤- رد شبهات المُستشرقين.

٥- يذكر أحيانًا تجاربه الشخصية من واقع الحياة.

٦- المزاوجة بين العمق والبساطة؛ وذلك من خلال اللهجة المصرية الدارجة.

---

(١) قد وقفت على نسخة مطبوعة تحتوي على (٢٥) مجلدًا بها (١٦٠٣٢)صفحة - من سورة الفاتحة إلى سورة الملك الآية (٣) -، مطبعة أخبار اليوم - قطاع الثقافة.

(٢) لم أقف عليه.

٧- ضرب المثل وحسن تصويره.

٨- الاستطراد الموضوعي.

٩- النفس الصوفي.

١٠- الأسلوب المنطقي الجدلي.

١١- في الأجزاء الأخيرة من تفسيره آثر الاختصار بسبب مرضه حتى يتمكن من إكمال خواطره.

وممّا ظهر لي في تفسيره أيضًا:

١- عدم ذكره لاختلاف المفسرين.

٢- تفسيره عبارة عن التفسير بالدراية وليس بالرواية.

٣- قليل التعرض لمسائل العقيدة.

٤- قليل التعرض لمسائل الفقه والخلاف فيها.

٥- قليل الذكر للأحاديث النبوية.

٦- عدم التعرض للقراءات.

٧- عدم ذكره للإسرائيليات.

٨- تفسيره لم يكن تأليفًا، إنّما كان إلقاءً ودروسًا في التلفاز.

٩- يجمع في تفسير الآية عدة آيات توضح معنى الآية.

١٠- لا يُكثر من ذكر أسباب النزول.

١١- لا يكاد يذكر مناسبات ترتيب الآيات والسور.

١٢- لم يتعرض لذكر الفِرق والمناهج الفكرية المعاصرة.

ومن مؤلفاته أيضًا:

١- معجزة القرآن:

يقع الكتاب في (١٠) أجزاء متقاربة في عدد الصفحات، طباعة دار أخبار اليوم في دولة مصر، (١٩٩٣م).

تناول الكتاب في جزئه الأول موضوع المعجزة في فصول ثمانية (ما هي المعجزة؟ معجزة القرآن وكيف تختلف؟ المعجزة اللغوية في القرآن الكريم، البلاغة في القرآن، التناقض في القرآن الكريم، القرآن وقوانين الكون، القرآن مزَّقَ حاجز الغيب، سبحان الله) ثم جاءت بعده تسعة أجزاء تناولت مواضيع مختلفة من صور الإعجاز القرآني.

٢- المعجزة الكبرى:

يقع الكتاب في جزء واحد وبه (١٢٨) صفحة، طباعة قطاع الثقافة من أخبار اليوم(١٩٩٧م) مصر.

تحدث الكتاب عن معجزة الإسراء والمعراج في ستة فصول، تناول فيها حدث الإسراء والمعراج من مرحلة قبل الإسراء، ثم تناول الحدث نفسه وناقش الإسراء والمعراج بالجسد والروح، أم بالروح فقط، ثم ناقش عبودية الرسول ﷺ، وتناول الغيب في السراء والمعراج من زاوية رؤية جبريل عليه السلام وسدرة المنتهى، كما تناول مكانة مكة وبيت المقدس ومعنى المسجد الحرام وصلاة النبي ﷺ بالأنبياء ما دلالتُها، وتناول آيات السماء وتغير القوانين ومعنى مشاهد المعراج وفرض الصلاة.

٣- جامع البيان في العبادات والأحكام :

يقع الكتاب في (١٢) جزءًا، جمع وترتيب منشاوي غانم جابر، طباعة دار الندوة للنشر والتوزيع - القاهرة - (١٩٩٦م).

قد يظن القارئ لأول وهلة أن الكتاب تناول الأحكام الفقهية المجردة بقسميها العبادات والمعاملات كعادة كتب الفقه الأخرى، إلا أنه بمجرد القراءة في الجزء الأول يتضح أن الكتاب يتحدث عن العبادة بمفهوم عقدي، كما تتناولها كتب الاعتقاد (الإسلام والإيمان)، ثم يتحدث عن مسائل الفقه حسب تبويب الفقهاء من الطهارة حتى الحدود.

٤- عذاب النار وأهوال يوم القيامة:

يقع في (١٥٢) صفحة، نشر دار الحرية، القاهرة (١٩٩٩م) أعده للنشر جمال إبراهيم يتكون الكتاب من ستة فصول تناول فيها الشيخ عظمة الإسلام، وأسرار عالم الإنسان، والنعمة والبلاء، والسعادة والشقاء، والسماحة، والخوف من الله، كما تناول قصص القرآن وسيرة النبي ﷺ والتدرج في التحدي مع الكافرين، وتحدث في الفصل الثالث عن القصة في القرآن وتناولها من خلال القصص الحق وأنواع القصة، والفرق بين القصة والأقصوصة، وفي الرابع تحدث عن العقيدة والعبودية، وعن الإسلام والمواجهة، والإسلام لرب العالمين، وأدب الدعوة، وقصة مكة..

وهنا ننبه أن الفصول الأربعة من الكتاب بعيدة في محتواها عما يشير إليه العنوان، ولا يأتي الحديث عن القيامة إلا في الفصل الخامس حيث تحدث عن المنكرين للبعث وأسماء القيامة بين اللغة والاصطلاح، ثم تناول أهوال البعث

والحساب وطرق الأمان والخسران. وفي الفصل السادس تناول جزاء المحبين للدنيا ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦]. والذي يظهر أن هناك تباين بين عنوان الكتاب ومحتواه وكأن العنوان من وضع من أعده للطبع وليس من وضع الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥- أهوال يوم القيامة:

يقع في (٣٣٢) صفحة، طباعة المكتبة التوفيقية - مصر (دون تاريخ) أعده للطبع عبد الرحيم محمد متولي الشعراوي وهو يخلو من أي مقدمة لا للمعد ولا للناشر. والكتاب يختلف عن الكتاب السابق، وهو عبارة عن نزع لكلام الشيخ من تفسيره حرفيًا، مما يؤكد أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لم يؤلفه تأليفًا مستقلًا.

٦- يوم القيامة:

يقع الكتاب في (١٢٥) صفحة من منشورات القطاع الثقافي بأخبار اليوم - القاهرة - دون تاريخ طباعة، ويختلف عن سابقيه، وهو ضمن سلسلة مكتبة الشيخ محمد متولي الشعراوي، حيث تأكد نسبة الكتاب له من خلال العبارات التي كتبت في الصفحة الأولى من الكتاب بخط الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وعمومًا، فالكتاب ناقش يوم القيامة من خلال ستة فصول، تناول في الفصل الأول الحديث عن: لماذا يوم القيامة؟ وفي الثاني تناول الحديث عن الحياة والموت، وفي الثالث تحدث عن قبل الحساب والإيمان عند الاحتضار ودنو الأجل، وفي الرابع تحدث عن البعث من القبور، وفي الخامس تحدث عن أرض الميعاد وأحداث القيامة، وختم الحديث في الفصل السادس عن الحساب وأهواله.

٧- الغيب:

يقع في (١٢٧) صفحة من منشورات القطاع الثقافي لأخبار اليوم - القاهرة (دون تاريخ)، وهو جزء من سلسلة مكتبة الشيخ محمد متولي الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ وعليه كلمات بخط الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

يقع كذلك في ستة فصول، تناول في الأول الحديث عن ما هو الغيب؟ وفي الثاني تحدث عن القرآن والغيب، وفي الثالث تحدث في فصل بعنوان (أشياء يبديها ولا يبتديها)، وفي الرابع تحدث عن ﴿ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾، وفي الخامس تحدث عن ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِ ﴾، وختم الكتاب في الفصل السادس بالحديث عن ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾.

٨- البعث والميزان والجزاء:

يقع الكتاب في (٩٥) صفحة، من منشورات دار الندوة - القاهرة - (١٩٩١م) ويشتمل على ثلاثة فصول رئيسية، يتناول الفصل الأول القيامة والبعث وأهوال القيامة والإيمان بالبعث، ويتناول الثاني الميزان والجزاء، بينما يتخصص الثالث للتنبيهات حول اللهو في منطقة التكليف، واستحضار الجزاء واليقين بالجزاء .

وهو مختلف عن الكتاب السابق (يوم القيامة).

٩- الأحاديث القدسية:

يقع الكتاب في مجلدين مجموع صفحاتهما (٩٥٥) صفحة، من منشورات دار الروضة للنشر والتوزيع - القاهرة (٢٠٠٢) طبعة أولى، أعده للنشر عادل أبو المعاطي. تناول فيها الشيخ شرح (٥٠) حديثًا قدسيًا . وهو عبارة عن تفريغ لدروسه وخواطره كما يفهم ذلك من خلال مقدمة مُعِدّ الكتاب.

١٠- الأحاديث القدسية وشرحها:

يقع الكتاب في جزء واحد (٣٩٧) صفحة من منشورات دار التوفيقية للتراث - القاهرة - (٢٠١٠) خال من مقدمة معتبرة، أعده للنشر عبد الرحيم محمد متولي الشعراوي، وهو يختلف عن الكتاب السابق، ولعله تفريغ كذلك من دروس الشيخ وخواطره.

١١- الحياة والموت:

يقع الكتاب في (١٢٧) صفحة، من منشورات قطاع الثقافة في الأخبار اليوم - القاهرة - (د.ت) وهو ضمن سلسلة مكتبة الشيخ محمد متولي الشعراوي الإسلامية.

وهو عبارة عن ستة فصول، تناول في الأول البداية والفطرة، وفي الثاني ما هي الحياة، وفي الثالث ما هو الموت، في الرابع تناول الإنسان والخلود والحياة ونهايتها، وفي الفصل الخامس تناول الحياة الدنيا والعبودية الحقة كيف تكون، وختم في الفصل السادس الحديث عن الحياة الآخرة.

١٢- القضاء والقدر:

يقع الكتاب في (١١٧) صفحة، من منشورات قطاع الثقافة في الأخبار اليوم - القاهرة - (د.ت) وهو ضمن سلسلة مكتبة الشيخ الشعراوي الإسلامية، وهو كذلك عبارة عن ستة فصول. ناقش من خلالها مواضيع في القضاء والقدر مثل المشيئة والاختيار وحدوده والفعل والقدر وسلب الاختيار والله محيط بكل شيء، إلى غير ذلك من المواضيع.

١٣- القضاء والقدر معجزات الرسول إعجاز القرآن مكانة المرأة في الإسلام:

يقع الكتاب في (١٩٦) صفحة، من منشورات دار الشروق - القاهرة - (١٩٧٥م) طبعة أولى، وهو مختلف عن الكتاب السابق (القضاء والقدر) إذ أنه عبارة عن تفريغ لحوار تلفزيوني أَجراه معه معد الكتاب أحمد فرج.

١٤- السحر والحسد:

يقع الكتاب في (١٠٣) صفحة، من منشورات القطاع الثقافي لأخبار اليوم - القاهرة - (١٩٩٠) وهو ضمن سلسلة مكتبة الشيخ محمد متولي الشعراوي الإسلامية، ويكون الكتاب من ستة فصول، تناول في الفصل الأول الحديث عن القوى الخفية والغيب والوجود وإدراك الوجود وعناية الله تعالى، وتناول في الفصل الثاني الحديث عن ما هو السحر؟ وتحدث عن سحر الأعين والسحر والمعجزة واستخدام الرعب وقدرات الجن وحكم الاستعانة بالسحر، وتناول في الفصل الثالث الحديث عن هاروت وماروت وتحدث عن الابتلاء بالخير والشر ولماذا ملكان وتحدث عن السحر وسليمان والشياطين علموا السحر للناس، وتناول في الفصل الرابع موضوع (يضرهم ولا ينفعهم) وناقش فيه الاستعانة بالجن وأنها لا تأتي بخير، والتفريق بين المرء وزوجه وأن الساحر لا يعرف الغيب والجن لا يعلمون العَيب، وفصّلَ القول في الاستعانة بالشياطين وإنها طريق الكفر، وتناول في الفصل الخامس الحديث عن موسى والسحر، كما تناول التعليق على حديث سحر النبي ﷺ وناقشه، وختم الكتاب في الفصل السادس الذي أفرده عن الحديث عن الحسد فتناول حقيقته والاستعاذة بالله منه، وتحدث عن النفاثات في العقد.

١٥- الحج المبرور:

يقع الكتاب في (١١٦) صفحة، من منشورات قطاع الثقافة في مؤسسة أخبار اليوم - القاهرة - (١٩٩٠) وهو من ضمن سلسلة مكتبة الشيخ محمد متولي الشعراوي الإسلامية، ويتكون من ستة فصول، تناول فيها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مناسك الحج والحديث عن الكعبة البيت الحرام وبعض مسائل الحج موضحًا حينًا الحكم من وجهة نظره، ومعلقًا حينًا على معنى من المعاني ليكشف مدلولات مناسك الحج، وموجهًا حينًا الحاج لما هو أولى في مناسك الحج، وعلى هذا سار الكتاب في فصوله الستة.

١٦- الحج الأكبر حكم أسرار عبادات:

يقع الكتاب في (١٩٨) صفحة، من منشورات مطابع الشرطة للنشر والتوزيع - مصر - (د.ت)، وهو مختلف عن الكتاب السابق (الحج المبرور) ورغم أن الناظر لعناوين الموضوعات وما تناوله الشيخ يظن أن الحديث يكون حول الأحكام والتفصيلات الفقهية، إلا أن الكتاب في الواقع يتناول مناسك الحج من خلال الحديث عن الحِكَمِ وليس الأحكام، والأسرارِ ودلائلِ التَّعَبد فيها.

١٧- سورة الكهف:

يقع الكتاب (١١٦) صفحة، من منشورات القطاع الثقافي لأخبار اليوم - القاهرة - (د.ت)، وهو ضمن سلسلة مكتبة الشيخ محمد متولي الشعراوي الإسلامية، ويشتمل على ستة فصول، تناول فيها سورة الكهف من خلال القصص القرآني في السورة، حيث بدأ الفصل الأول بالحديث عن الفتية أصحاب الكهف وسمى هذا الفصل بالكهف الأول، ثم تناول كل قصة تحت مسمى الكهف،

فتناول قصة صاحب الجنتين، وقصة موسى والخضر، وقصة ذي القرنين، وقصة يأجوج ومأجوج، ثم ختم بالحديث عن الذين عملوا للدنيا.

١٨- الشيطان والإنسان:

يقع الكتاب في (١١٠) صفحة، من منشورات القطاع الثقافي لأخبار اليوم (د.ت)، وهو ضمن سلسلة مكتبة الشيخ محمد متولي الشعراوي الإسلامية، ويتكون الكتاب من ستة فصول، تناول في الفصل الأول الحديث عن الشيطان ما هو؟ وما صفته؟ وحقيقة إبليس، وبداية المعصية، كما تناول في الفصل الثاني الحديث عن معصية الشيطان وأن الكبرياء لله وحده، وأن الدنيا دار اختبار، وتناول في الفصل الثالث آدم والشيطان وتحدث عن الجنة التي عصى آدمُ فيها ربَّه ورجَّح أنها ليست دار الخلد، وفي الفصل الرابع خصص الحديث عن معصية آدم ومعصية إبليس، والصراع بينهما في الدنيا، وفي الخامس تحدث عن مداخل الشيطان ووساوسه، وختم الكتاب في الفصل السادس بالحديث عن جنود الشيطان وأنه لا يملك سلطان القهر ولا سلطان الحجة على بني آدم.

١٩- الخير والشر:

يقع الكتاب في (١٠٥) صفحة، من منشورات القطاع الثقافي بالأخبار اليوم، القاهرة (١٩٩٠) وهو ضمن سلسلة مكتبة الشيخ محمد متولي الشعراوي الإسلامية، ويتكون الكتاب من ستة فصول، تناول الفصلُ الأول الحديثَ عن سر الجمال في الكون ومعنى التطور ومعنى الخلافة، وتناول الفصل الثاني الحديث عن الشر في الكون وقصور العقل البشري، وأن المنهج نزل مع آدم ﷺ وأن المعصية لم تتوقف، وتناول الثالث المظنون والمتيقن من خلال حقيقة الحياة

وأسباب زوال النعمة، وتناول الرابع ما هو الخير؟ وما هو الشر؟ وتحدث الخامس عن الخير والشر في الدنيا، بينما ختم الكتاب في السادس بالحديث عن الخير والشر في الآخرة.

٢٠- الإنسان الكامل محمدﷺ:

يقع الكتاب في (٨٧) صفحة، من منشورات دار الندوة - مصر - (د.ت)، وقد تناول المؤلف فيه شخصية النبيﷺ من خلال قسمين:

الأول: تحدث عن الإنسان الكامل محمدﷺ من خلال ثلاثة محاور؛ وهي أنه ﷺ قدوة لخلق الله في حركة الحياة، وأن مثاليات الرسول ﷺ تطبيق للمنهج الرباني، وأن صفات رسول اللهﷺ كمالات بشرية.

الثاني: تحدث فيه عن هجرة النبيﷺ انطلاقًا للدعوة الإسلامية من خلال الحِكَمُ والعبر التي لا تغيب، ومواجهة الأحداث بالذاتية البشرية.

٢١- الأدلة المادية على وجود الله:

يقع الكتاب في (١١٥) صفحة، من منشورات أخبار اليوم - مصر - (د.ت). وبحسب عنوان الكتاب خصص المؤلف الحديث عن الدلائل العقلية المادية فقط التي تدل على وجود الله ﷻ، وقد بدأ بالحديث عن أسباب الوجود، ثم تحدث عن خلق النفس البشرية، الأدلة المادية في خلق الإنسان من خلال قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[الذاريات:٢١]؛ وتناول الحديث كذلك عن الدليل الغيبي ليأخذ من الدليل المادي ما يؤكد وجود الغيب وأن الغيب نسبيًا ومطلقًا، ثم تحدث عن الدليل المادي في الأرض ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ﴾، ثم ناقش بعض

الأدلة المادية كتكوين الجنين و﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ وختم الكتاب بالحديث تحت عنوان (وفي كل شيء دليل)[1].

٢٢- الشمائل المحمدية ورد شبهات المستشرقين:

يقع الكتاب في (٤٨) صفحة، من منشورات دار المسلم المعاصر - القاهرة - (١٩٩٨م)، يخلو الكتاب من مقدمة للشيخ، يتحدث فيه عن النبي ﷺ دفاعًا عنه من شبهات المستشرقين. وقد بدأ الكتاب بالحديث عن مناقبه الخَلقية والخُلقية [حليته - منطقه - مدخله - مخرجه - معجزاته]، ثم رد على بعض شبهات المستشرقين؛ مثل شبهة تعدد الزوجات، وعتاب الله لنبيه في قصة أسارى بدر، وقصة ابن ام مكتوم، وقصة زيد بن حارثة، وختم الكتاب بفصل عن الرسول ﷺ أعاد انسجام الإنسان مع الوجود.

٢٣- الفقه الإسلامي الميسر وأدلته على طريقة السؤال والجواب:

يقع الكتاب في مجلدين من منشورات مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة - القاهرة - طبعة أولى (٢٠٠٢).

من خلال المقدمة التي قدمها الناشر يتضح أن الكتاب عبارة عن استخلاص لكلام الشيخ من دروسه ومحاضراته وصياغتها على طريقة السؤال والجواب، وقد بدأ الكتاب بباب الإسلام والإيمان، ثم باب القضاء والقدر، ثم تأتي بعده أبواب الكتاب الفقهية العلمية من الطهارة وحتى الحج.

---

(١) **تنبيه:** يوجد كتاب منسوب للشيخ باسم (الآيات الكونية) قام بإعداده أحمد الزغبي، بدون دار نشر أو مطبعة أو تاريخ، وأثناء التدقيق اتضح أنه عبارة عن كتاب « الأدلة المادية على وجود الله » المذكور سابقًا، مع تغيير العناوين العامة للمواضيع وتغيير عنوان الكتاب.

٢٤- المرأة في القرآن الكريم:

يقع الكتاب في (١٢٩) صفحة، من منشورات القطاع الثقافي لأخبار اليوم - القاهرة - (١٩٩٨م)، وهو ضمن سلسلة مكتبة الشيخ محمد متولي الشعراوي الإسلامية، ويتكون من سبعة فصول، تحدث في الفصل الأول عن المرأة في الميزان، وتحدث في الثاني عن تعدد الزوجات وما اتصل به من موضوعات كنظرة الإسلام إلى التعدد وموقف الكنيسة، وتحدث في الثالث عن ملك اليمين إطلاق وتكريم، وفي الفصل الرابع العاطفة بين العقل والدين ونساء لهن مواقف، وفي الخامس تحدث مثل حظ الأنثيين وحدود العلم التجريبي، وشهادة المرأة، ومشاكل الحياة، وحول قوله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ﴾[النساء: ٣٤] بين الأمر والإباحة، وتحدث في السادس عن الحجاب والنقاب والنظرة المحرمة والتبرج، وختم في الفصل السابع بالحديث عن عمل المرأة متى يباح، المجتمع يعاون المرأة، وتحدث عن مهر التراضي، وماذا يحدث للموظفة.

٢٥- الرجل والمرأة وخصوم الإسلام:

يقع الكتاب في (١١١) صفحة، من منشورات دار الندوة - الإسكندرية مصر - (د.ت)، وهو غير الكتاب السابق، وهو عبارة عن ردود للشيخ على خصوم الإسلام في قضايا المرأة والرجل. وتناول الكتاب الموضوعات التالية: الزواج والطلاق في الإسلام، التعدد وحكمته، الطفولة والتبني، العاطفة الحب، العمل وخروج المرأة، الحجاب والميراث.

٢٦- قصص الأنبياء وسيرة النبي ﷺ:

يقع الكتاب في (٦٠٨) صفحة، من منشورات دار القدس - القاهرة - طبعة ١ (٢٠٠٦)، قام بتحقيق الكتاب وترتيبه وإعداده للنشر إبراهيم عبد الستار علي ومحمد سامح عمر، ولم يشر الناشر أو المحقق في المقدمة إلى أصل الكتاب ما إذا كان منتزعًا من تفسير الشعراوي رحمه الله أم هو كتاب مستقل. والذي يظهر أنه عبارة عن جمع لقصص الأنبياء التي كان يلقيها الشيخ رحمه الله في دروس غير درس التفسير، وأما ترتيب القصص فهو عمل المعد للنشر، وقد ذيّلوا الكتاب بكتاب آخر وهو سيرة النبي محمد ﷺ وجعلوها متصلة بالكتاب.

٢٧- أسماء الله الحسنى:

يقع الكتاب في (١٥٢) صفحة من منشورات القطاع الثقافي لأخبار اليوم - القاهرة - وهو عبارة عن جزء واحد، إلا أن الناشر ذكر أنه الجزء الأول وسيليه أجزاء أخرى لم نقف عليها ولا نعلم هل صدرت أجزاء أخرى تحت هذا العنوان للشيخ أم أنه توقف عند هذا الجزء.

والكتاب على صغر حجمه إلا أنه اشتمل على منهج الشيخ في عرض الأسماء والصفات، وهو عبارة عن مباحث متتابعة، بدأت بالحديث عن أسماء الله الحسنى من خلال حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ثم تحدث عن الأسماء والمسميات، وعن الأسماء التي لها مقابل والأسماء التي ليس لها مقابل، وأنها غير معلومة العدد، وعدم جواز اشتقاق أسماء من أفعال الله عز وجل، وذكر رؤية الله تعالى وأنها مستحيلة في الدنيا، وغير ذلك.

٢٨- الفتاوى (كل ما يهم المسلم في حياته ويومه وغده):

يقع الكتاب في (٦٧١) صفحة من منشورات المكتبة التوفيقية - القاهرة - قام بجمعها وترتيبها وعلق عليها الدكتور السيد الجميلي، وهو عبارة عن قضايا وأسئلة مباشرة حاور فيها الدكتور الجميلي الشيخ الشعراوي لرصدها وتدوينها كما يظهر من المقدمة وأنها ليست تفريغًا من دروس متفرقة.

٢٩- نهاية العالم:

يقع الكتاب في (١٠٧) صفحة، من منشورات القطاع الثقافي لأخبار اليوم - القاهرة - وهو ضمن سلسلة مكتبة الشيخ الشعراوي الإسلامية، ويتكون الكتاب من ستة فصول، تناول في الأول الحديث عن المتغير والثابت وفيه تحدث عن الإنسان وقوانين المتغيرات والعقل واكتشافات الكون، وقدرة الله تعالى، وتناول في الفصل الثاني البداية والنهاية من خلال كلامه عن الأنساب وعناصر الأرض والروح والموت، وفي الثالث تحدث عن الاستقبال الإيجابي للحياة من خلال « الله أحسن الخالقين » وهذا خلق الله، الإيمان والتقدم العلمي، وآيات الله ارتقاء الكون، وفي الرابع تحدث عن اتباع المنهج وقاية للمجتمع، والعرض على النار ..كيف؟ والزمن وحياة البرزخ، وتحدث في الخامس عن تجربة حية للبعث، وعن الأسباب وطلاقة القدرة، وعندما تطلع الشمس من مغربها، والسماء والدخان، وختم في الفصل السادس بالحديث عن نهاية العالم كما يصورها القرآن وعندما يعبد الإنسان عقله وكيف ستعود الأجساد، والإنسان وعناصر الأرض.

٣٠- دعاء الأنبياء والصالحين:

يقع الكتاب في (٩٥) صفحة، من منشورات الدار العلمية للكتب والنشر - القاهرة - (١٩٩٨) من إعداد سعيد عثمان، وتناول الكتاب دعاء الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - من خلال القرآن الكريم، ويوجد هناك تشابه بين مضمون الكتاب وما جاء في تفسير الشيخ (خواطر) عند النظر لآيات الدعاء فيه، إلا أن وجود المقدمة في الكتاب مذيلة باسم الشيخ محمد متولي الشعراوي توحي بأنه كتاب مستقل غر منتزع من التفسير والله أعلم.

وفاته رحمه الله:

توفي فضيلة الشيخ محمد المتولي الشعراوي يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شهر صفر سنة (١٤١٩هـ، الموافق ١٩٩٨/٦/١٧م)، ودفن بمصر؛ رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

❀ ❀ ❀

المبحث الثاني:
ثناء العلماء على الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

يقول الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي: « لقد فقدت الأمة الإسلامية بموت الشيخ محمد متولي الشعراوي علمًا من أعلامها وكوكبًا من كواكب الهداية في سمائها، فقدت رجلًا عاش عمره في خدمة العلم وخدمة القرآن الكريم، وخدمة الإسلام، وموت العلماء لا شك مصيبة على الأمة خصوصًا إذا تكرر فقدهم واحدًا بعد الآخر، وقد فقدنا في هذه الفترة عددًا من هؤلاء النجوم، فقدنا الشيخ محمد الغزالي، والشيخ خالد محمد خالد، والشيخ جاد الحق علي جاد الحق، والشيخ عبد الله بن زيد آل محمود، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة.

لقد رحل عنَّا رجل القرآن وهو الشيخ الشعراوي، فلا شك أنه كان أحد مفسري القرآن الكبار، وليس كلُّ من قرأ القرآن فهمه، ولا كل من فهم القرآن غاص في بحاره، وعثر على لآلئه وجواهره، ولا كل من وجد هذه الجواهر استطاع أن يعبر عنها بعبارة بليغة، ولكن الشيخ الشعراوي كان من الذين أوتوا فهم القرآن، ورزقهم الله تعالى من المعرفة بأسراره وأعماله ما لم يرزق غيره، فله لطائف ولمحات وإشارات ووقفات ونظرات استطاع أن يؤثر بها في المجتمع من حوله، وقد رزق الشيخ الشعراوي القبول في نفوس الناس فاستطاع بأسلوبه المتميز أن يؤثر في الخاصة والعامة من المثقفين والأميين، في العقول والقلوب، وهذه ميزة قلما يوفق إليها إلا القليلون، اتفق الناس مع الشيخ الشعراوي، واختلفوا معه، وهذه طبيعة العلم والعلماء، لا يمكن أن يوجد عالم يتفق عليه الناس كل الناس:

ومـن في النـاس يـرضي كـل نفـس وبـين هـوى النفـوس مـدىً بعيـد

كما قال الشاعر، وقديمًا قالوا: « رضى الناس غاية لا تدرك »، والله تعالى يقول: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود: ١١٧- ١١٩]، قال كثير من المفسرين: « ولذلك: أي للاختلاف خلقهم، لأنه حين خلقهم، منح كلًا منهم حرية العقل وحرية الإرادة، وما دام لكل منهم عقله الحر وإرادته الحرة، فلا بد أن يختلفوا، ولقد اختلف الناس من قبل على الرسل والأنبياء واختلفوا على المصلحين والعظماء، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه: « هلك فيَّ اثنان: محبٌّ غالٍ، ومبغض غال »[1] وهذه طبيعة الحياة.

ولقد عرفت الشيخ الشعراوي وأنا طالب في المرحلة الثانوية، فقد درَّسنا حينما جاءنا مدرسًا للبلاغة في معهد طنطا، وتسامعنا نحن الطلاب أن جاء الشيخ الشعراوي وهو مدرس عظيم وشاعر عظيم، أما تدريسه فقد كان فعلًا مدرسًا جذابًا، كان يستطيع أن يوصل المعلومة إلى طلابه بطريقته بالإشارة والحركة وضرب الأمثلة وغير ذلك ».

ويقول الدكتور محمد عمارة: « إن الشيخ الشعراوي عليه رحمة الله كان واحدًا من أعظم الدعاة إلى الإسلام في العصر الذي نعيش فيه، والملكة غير العادية التي جعلته يطلع جمهوره على أسرار جديدة وكثيرة في القرآن الكريم، وكانت ثمرة لثقافته البلاغية التي جعلته يدرك من أسرار الإعجاز البياني للقرآن

---

(١) « كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال » للمتقي الهندي، (١١/ ٤٣٨).

الكريم ما لم يدركه الكثيرون، وكان له حضور في أسلوب الدعوة يشرك معه جمهوره ويوقظ فيهم ملكات التلقي، ولقد وصف هذا العطاء عندما قال: « إنه فضل جود لا بذل جهد »، رحمه الله وعوض أمتنا فيه خيرًا ».

ويقول الدكتور عبد الحليم عويس: « لا ينبغي أن نيأس من رحمة الله، والإسلام الذي أفرز الشيخ الشعراوي قادر على أن يمنح هذه الأمة نماذج طيبة وعظيمة ورائعة، تقرب على الأقل من الشيخ الشعراوي، ومع ذلك نعتبر موته خسارة كبيرة، خسارة تضاف إلى خسائر الأعوام الماضية، حيث فقدنا أساتذتنا الغزالي وجاد الحق وخالد محمد خالد، وأخشى أن يكون هذا نذير اقتراب يوم القيامة، الذي أخبرنا الرسول ﷺ أن من علاماته[1] أن يقبض العلماء الأكفياء الصالحون وأن يبقى الجهال وأنصاف العلماء وأشباههم وأرباعهم فيفتوا بغير علم، ويطوّعوا دين الله وفقًا لضغوط أولياء الأمور، ويصبح الدين منقادًا لا قائدًا؛ نسأل الله أن يجنب الأمة شر هذا، وأن يخلفها في الشيخ الشعراوي خيرًا ».

ويقول الدكتور محمود جامع مؤلف كتاب (وعرفت الشعراوي)[2]:

---

(١) إشارة لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل »، رواه البخاري (٨٠) ومسلم (٢٦٧١).

(٢) يروي فيه مؤلفه ذكرياته مع الشيخ محمد متولى الشعراوي رحمه الله على امتداد مراحل عمره بحلوها، ومرها، بوقائعها وشخصياتها، ويتناول في الكتاب: السيرة الذاتية للشيخ الشعراوي، الشعراوي وعبد الناصر، الشعراوي والسادات وجيهان، الشعراوي والمشايخ، الشعراوي والجماعة الإسلامية، الشعراوي والفنانات، الشعراوي والوزارة، الشعراوي والإخوان المسلمين، الشعراوي وصراعاته السياسية؛ يتحدث في كل هذه الموضوعات بصفته القريب، والملاصق للشيخ الذى اطلع على أسرار وخفايا ومواقف بعضها يحكى لأول مرة، وبعضها ذكر في مؤلفات أخرى، وهذه هي ميزة هذا الكتاب: والكتاب مزود بعدد من الصور النادرة للشيخ الشعراوي.

« أيها الإمام الغالي كانت رحلتي معك في الحياة منذ الأربعينيات هي رحلة الفرار إلى الله دائمًا، غذاؤنا وزادنا القرآن، والقرآن تلاوة وحفظًا وترتيلًا وتفسيرًا سرًّا وعلانية، أفرادًا وجماعات، في مصر بمدنها وقراها وريفها وحضرها، هي رحلة الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا دون زيف أو بهتان. عايشتك يا إمامنا الغالي في الحلو والمر والليل والنهار، وتتلمذت على يديك الكريمتين وأسقيتني بحنان وحب كؤوس العلم والمعرفة؛ في منهل القرآن والسنة المطهرة وعلمتني بيقين كيف يكون الصبر والاحتمال في سبيل الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله وإن طريق الدعوة إلى الله دائمًا مليء بالأشواك والمحاذير والابتلاء. وعرفت طريقك يا أستاذي جيدًا إلى ربك مبكرًا، وأخذتني معك في رحابك الفسيحة الطاهرة وحنانك الفياض، وكنت دائمًا ودائمًا تدعو وتدعو وتتضرع إلى رب العزة بكل قوة وثبات ويقين، ونحن نردد من خلفك الدعاء من قلوبنا وأرواحنا: « اللّٰهم إن هذه القلوب قد اجتمعت على محبتك والتقت على طاعتك، وتوحّدت على دعوتك، وتعاهدت على نصرة شريعتك، فوثِّقِ اللّٰهم رابطتَها وأدِمْ ودَّها، واهدها سبلَها، واملأها بنورك الذي لا يخبو، واشرح صدورها بفيض الإيمان بك وجميل التوكل عليك، وأحْيِها بمعرفتك وأمِتْها على الشهادة في سبيلك، إنّك نعم المولى ونعم المصير ».



الباب الأول

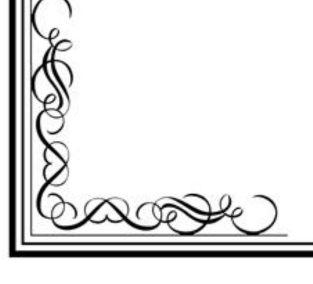
مسائل العقيدة الواردة في الإلهيات

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول: توحيد الربوبية

الفصل الثاني: توحيد الألوهية

الفصل الثالث: توحيد الأسماء والصفات





تمهيد:

تنوعت عبارات علماء أهل السنة في التعبير عن أنواع التوحيد، ولكنها مع ذلك التنوع متفقة في المضمون، ولعل السبب في ذلك هو أن تلك التقسيمات مأخوذة من استقراء النصوص، ولم ينص عليها باللفظ مباشرة، ولذلك فمن العلماء من قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام[1]، هي:

١- توحيد الربوبية.

٢- توحيد الألوهية.

٣- توحيد الأسماء والصفات.

ومن العلماء من قسم التوحيد إلى قسمين، وهذا هو الأغلب في كلام أهل العلم المتقدمين؛ لأنهم يجمَعون بين توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وذلك بالنظر إلى أنهما يشكلان بمجموعهما جانب العلم بالله ومعرفته ﷻ، فجمعوا بينهما لذلك، بينما توحيد الألوهية يشكل جانب العمل لله.

وتقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام راجع إلى اعتبار متعلَّق التوحيد، وتقسيمه إلى قسمين راجع إلى اعتبار ما يجب على الموحِّد.

فمن العلماء من يقول: التوحيد قسمان[2]:

---

(١) انظر: « طريق الهجرتين وباب السعادتين »؛ لابن قيم الجوزية (ص:٣٠)، و« لوامع الأنوار البهية »؛ للسفاريني، (١/ ١٢٨)، و« أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن »، للشنقيطي، (٣/ ٤١٠).

(٢) ممن ذكر ذلك: العلامة ابن القيم في كتابه « مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين » (٣/ ٤٤٩).

القسم الأول: توحيد المعرفة والإثبات: ويريد به توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات. وسمي بتوحيد المعرفة؛ لأن معرفة الله ﷻ إنما تكون بمعرفة أسمائه، وصفاته، وأفعاله.

والإثبات: أي إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات والأفعال.

القسم الثاني: توحيد القصد والطلب: ويراد به الألوهية، وسمي بتوحيد القصد والطلب؛ لأن العبد يتوجه بقلبه ولسانه وجوارحه بالعبادة لله وحده رغبة ورهبة، ويقصد بذلك وجه الله، وابتغاء مرضاته.

ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين أيضًا؛ هما[1]:

القسم الأول: التوحيد العلمي الخبري: والمقصود به توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات.

وسمي بالتوحيد العلمي: لأنه يعتني بجانب معرفة الله، فالعلمي؛ أي (العلم بالله)، والخبري: لأنه يتوقف على الخبر؛ أي: (الكتاب والسنة).

القسم الثاني: التوحيد الإرادي الطلبي: والمقصود به توحيد الألوهية، وسمي بالتوحيد الإرادي؛ لأن العبد له في العبادات إرادة، فهو إما أن يقوم بتلك العبادة أو لا يقوم بها، وسمي بالطلبي؛ لأن العبد يطلب بتلك العبادات وجه الله ويقصده ﷻ بذلك.

ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين فيقول[2]:

(١) المصدر السابق (٣/ ٤٥٠)، و« الصفدية »؛ لابن تيمية (٢/ ٢٢٨).

(٢) « مجموع الفتاوى » (١/ ٣٦٧).

القسم الأول: التوحيد القولي: والمراد به توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وسمي بالقولي؛ لأنه في مقابل توحيد الألوهية الذي يشكل الجانب العلمي من التوحيد، وأما هذا الجانب فهو مختص بالجانب القولي العلمي.

القسم الثاني: التوحيد العملي: والمراد به توحيد الألوهية، وسمي بالعملي؛ لأنه يشمل كلًا من عمل القلب، وعمل اللسان، وعمل الجوارح، التي تشكل بمجموعها جانبُ العمل من التوحيد، فالتوحيد له جانبان: جانب تصديقي علمي، وجانب انقيادِيٌّ عملي.

ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين فيقول:

القسم الأول: توحيد السيادة:

ويُعنَى بذلك توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وسمي بذلك؛ لأن تفرد الله بأفعاله وأسمائه وصفاته يوجب له السيادة المطلقة، والتصرفَ التامَّ في هذا الكون خَلْقًا، ورزقًا، وإحياءً، وإماتةً، وتصرفًا وتدبيرًا، سبحانه وتعالى. فمن واجب الموحد أن يفرد الله بذلك.

والقسم الثاني: توحيد العبادة:

المراد به توحيد الألوهية، وتسميته بذلك واضحة لا تحتاج إلى مزيد تفصيل[1].

---

(١) « معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات » لمحمد بن خليفة التميمي (ص:٣٧).

الفصل الأول
توحيد الربوبية

تعريف توحيد الربوبية:

الرب: مصدر أريد به اسم الفاعل؛ أي أنه راب، قال الراغب الأصفهاني: « الرب مصدر مستعار للفاعل »[1]، قال ابن الأنباري: « الرب: ينقسم إلى ثلاثة أقسام: يكون الرب: المالك، ويكون الرب: السيد المطاع...، والرب: المصلح.. ». فهذه ثلاثة أصول ترجع إليها معاني كلمة الرب.

فالأصل الأول: بمعنى المالك والصاحب، ومن هذا المعنى قول الرسول ﷺ في ضالة الإبل: « فذرها حتى يلقاها ربها »[2].

والأصل الثاني: بمعنى السيد المطاع، قال الطبري: « وأما تأويل قوله: (رب) فإن الرب في كلام العرب متصرف على معان: فالسيد المطاع فيها يدعى ربًا، ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة العامر:

وأهلكن يومًا رب كندة وابنه ... ورب معد بين خبت وعرعر

يعني رب كندة: سيد كندة » اهـ[3].

ومن هذا المعنى قول الرسول ﷺ في حديث أشراط الساعة: « أن تلد الأمة ربها »[4] - أي: سيدها - وهذا لفظ البخاري.

---

(١) « المفردات في غريب القرآن » للراغب الأصفهاني (ص: ٣٣٦).

(٢) « صحيح البخاري » (١/ ٣٠).

(٣) « جامع البيان في تأويل القرآن » لمحمد بن جرير الطبري (١/ ١٤١).

(٤) صحيح البخاري (٣/ ١٤٦).

وأما الأصل الثالث: فبمعنى المصلح للشيء المدبر له، ولذلك قال بعض أهل العلم باشتقاق كلمة الرب من التربية. قال الراغب: « الرب في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء حالًا فحالًا إلى حد التمام »[1].

وقال الطبري بعد أن ذكر المعاني الثلاثة لكلمة (الرب) قال: « وقد يتصرف معنى الرب في وجوه غير ذلك، غير أنها تعود إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة »[2].

اصطلاحًا: هو الإقرار الجازم بأن الله تعالى ربُّ كل شيء ومليكُه، وخالقُه، ومدبِّرُه، والمتصرِّفُ فيه، لم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، ولا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، ولا مضاد له (ولا مماثل له)، (ولا سمي له)، ولا منازع في شيء من معاني ربوبيته ومقتضيات أسمائه وصفاته[3].

ومنهم من عرفه بأنه: « الاعتقاد بأن الله هو الخالق الرازق المدبر لكل شيء وحده لا شريك له »[4].

وهو يشتمل على ما يلي:

١- الإيمان بوجود الله تعالى.

٢- الإقرار بأن الله تعالى خالقُ كل شيء، ومالكُه، ورازقُه، وأنه المحيي، المميت، النافع، الضار، المتفرد بإجابة الدعاء، الذي له الأمر كله، وبيده الخير

---

(١) « المفردات »؛ للراغب الأصبهاني (ص: ٣٣٦).

(٢) « جامع البيان في تأويل القرآن »؛ لمحمد بن جرير الطبري (١/ ١٤١)، و« منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى »؛ للدكتور خالد عبد اللطيف (١/ ٢١٥).

(٣) « أعلام السنة المشهورة »؛ لحافظ بن أحمد الحكمي (ص: ٣٠).

(٤) « مجموعة التوحيد » (١/ ٥).

كله، القادر على ما يشاء، المقدر لجميع الأمور، المتصرف فيها، المدبر لها، ليس له في ذلك كله شريك[(١)].

وعرفه الشيخ صالح آل الشيخ بقوله: « فأما توحيد الربوبية: فمعناه توحيد الله بأفعاله. وأفعال الله كثيرة، منها: الخلق، والرِّزق، والإحياء، والإماتة، وتدبير الملك، والنفع، والضُّر، والشفاء، والإجارة كما قال تعالى في التنزيل: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون:٨٨] وإجابة دعوة المضطر، وإجابة دعوة الداعي، ونحو ذلك من أفراد الربوبية، فالمتفرد بذلك على الكمال هو الله جل وعلا. فتوحيد الربوبية: هو توحيد الله بأفعاله سبحانه »[(٢)].

وتفصيل ذلك:

١- بالنسبة لإفراد الله تعالى بالخلق؛ فالله تعالى وحده هو الخالق لا خالق سواه، قال الله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [فاطر:٣]، وقال تعالى مبينًا بطلان آلهة الكفار: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]، فالله تعالى وحده هو الخالق، خلق كل شيء فقدره تقديرًا. وخَلقُهُ يشمل ما يقع من مفعولاته، وما يقع من مفعولات خلقه أيضًا، ولهذا كان من تمام الإيمان بالقدر أن تؤمن بأن الله تعالى خالقٌ لأفعال العباد، كما قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، ووَجْهُ ذلك أن فعل العبد من صفاته، والعبدُ مخلوق لله، وخالقُ الشيء خالق لصفاته، ووجهٌ آخر

---

(١) انظر: « مدارج السالكين »؛ لابن القيم (١/ ٣٣-٤٦) (٣/ ٤٦٨)، و« معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول »؛ لحافظ بن أحمد الحكمي (١/ ٩٩).
(٢) « التمهيد لشرح كتاب التوحيد » (ص: ٦).

أن فعلَ العبد حاصل بإرادة جازمة وقدرة تامة، والإرادة والقدرة كلتاهما مخلوقتان لله ﷻ وخالق السبب التام خالق للمسبب[(١)].

٢- إفراد الله تعالى بالملك؛ فالله تعالى وحده هو المالك كما قال الله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ﴾ [المؤمنون:٨٨]، فالمالك الملك المطلق العام الشامل هو الله ﷻ وحده، ونسبة الملك إلى غيره نسبة إضافية، فقد أثبت الله ﷻ لغيره الملك كما في قوله تعالى: ﴿أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ [النور: ٦١]، إلى غير ذلك من النصوص الدالة على أن لغير الله تعالى ملكًا؛ لكن هذا الملك ليس كملك الله ﷻ، فهو ملك قاصر، وملك مقيد، ملك قاصر لا يشمل، فالبيت الذي لزيد لا يملكه عمرو، والبيت الذي لعمرو لا يملكه زيد، ثم هذا الملك مقيد بحيث لا يتصرف الإنسان فيما ملك إلا على الوجه الذي أذن الله فيه، ولهذا نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا﴾ [النساء:٥]، وهذا دليل على أن ملك الإنسان ملك قاصر وملك مقيد، بخلاف ملك الله ﷻ فهو ملك عام شامل وملك مطلق يفعل الله ﷻ ما يشاء ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون[(١)].

٣- التدبير؛ فالله ﷻ منفرد بالتدبير فهو الذي يدبّر الخلق ويدبّر السماوات والأرض كما قال الله ﷻ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الأعراف: ٥٤]، وهذا التدبير شامل لا يحول دونه شيء ولا يعارضه شيء، والتدبير الذي يكون

---

(١) «الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة» لعبد الله الأثري (ص:٨٤)، و«مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين» (١/ ٢٠).

لبعض المخلوقات كتدبير الإنسان أمواله وغلمانه وخدمه وما أشبه ذلك هو تدبير ضيق محدود، ومقيد غير مطلق.

مقتضيات الإقرار لله تعالى بالربوبية:

إذا أقر العبد لله تعالى بالربوبية، فإن إقراره هذا يقتضي أمورًا لا بد منها، فإن لم يلتزم هذه المقتضيات لم نفعه إقراره بالربوبية لله. وهذه المقتضيات هي:

الأول: ألا يعتقد العبد نفعًا ولا ضرًا ولا حركة ولا سكونًا ولا بسطًا ولا خفضًا ولا رفعًا ولا إعطاء ولا منعًا ولا إحياءً ولا إماتةً ولا تدبيرًا ولا تصريفًا إلا والله ﷻ هو فاعله وخالقه لا يشركه في ذلك ولا يملك واحد منه شيئًا، وقد دخل في هذا: الإيمان بالقضاء والقدر.

الثاني: إثبات رب مباين للعالم، يقول ابن القيم رحمه الله: « إنّ الربوبية المحضة تقتضي مباينة الرب للعالم بالذات كما باينهم بالربوبية وبالصفات والأفعال، فمن لم يثبت ربًا مباينًا للعالم فما أثبت ربًا »[1]، وهذا قاله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة: ٢]، والعالم هو كل ما سوى الله تعالى.

الثالث: أن يتوصل العبد بالإقرار بالربوبية إلى الإقرار بالألوهية، فيجردها لله تعالى؛ فلا يصرف أي نوع من أنواع العبادات لغير الله تبارك وتعالى[2].

---

(١) « مدارج السالكين »؛ لابن القيم (١/ ٨٤).

(٢) « منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى »؛ للدكتور خالد عبد اللطيف (١/ ٢٣٢).

ومن الآيات التي تحدثت عن توحيد الربوبية ما يأتي:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٥].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وقوله جَلَّ: ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ ، وفي آية أخرى قال: ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الحج: ٦٤]. يعني له الظرف والمظروف. وفي سورة طه قال جَلَّ: ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾ [طه: ٦]؛ وهكذا استوعبت الآيات الكونَ كله، وجعلته مِلكًا لله تعالى، الكون كله بسمائه وأرضه، ما في السماء وما في الأرض، وما بين السماء والأرض، وما تحت الأرض؛ كُلّه مِلكُ الله »[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « انظر التقديم بكلمة رب، قبل «لا إله إلا هو» كلمة «رب» هذه هي حيثية «لا إله إلا هو»؛ لأن إلهًا تعني معبودًا، ومعبودًا يعني مُطاعًا، ومطاعًا يعني له أوامر ونواهٍ، ولماذا ولأي سبب؟. السبب أنه الرب المتولي الإيجاد والتربية. ومن الواجب والمعقول أن نسمع كلامه؛ لأنه هو الرّب والخالق وهو الذي يرزق، بدليل أننا حين نسأل أهل الكُفر في غفلة شهواتهم: من خلق السموات والأرض؟ تنطق فطرتُهم ويقولون: الله هو الذي خلق السموات والأرض... وما دام هو خالق لكل شيء وهو الباقي فهو الأحق بالعبادة؛ لأن العبادة - كما قلنا - معناها طاعة الأمر وطاعة النهي - وما دام سبحانه الذي

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٢٢/ ١٣٩٦٣).

خلق فهو الذي يضع قانون الصيانة للإنسان والكون، وإن خالفت المنهج يفسد الكون والإنسان، وإذا فسد الكون أو الإنسان فأنت تلجأ إلى منهج الخالق لتعيد لكل منهما صلاحيته؛ لذلك هو الأولى بالعبادة »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رحمه الله هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأعراف: ٥٤].

قال الشعراوي رحمه الله: « ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ والخلق إيجاد الأشياء من عدم، فبعد أن خلق الله الكون لم يترك شؤون الكون لأحد، بل - سبحانه - له الأمر بعد ذلك. وقيوميته؛ لأنه لم يزاول سلطانه في ملكه ساعة الخلق ثم ترك النواميس تعمل، لا، فبأمره يُعطل النواميس أحيانًا، ولذلك شاء الحق أن تكون معجزات الأنبياء لتعطيل النواميس؛ لنفهم أن الكون لا يسير بالطبع أو بالعلة. لذلك يقول: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ وإذا نظرت إلى كلمة «الأمر» تجد الحق يقول: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. والمقصود هو الأمر الكوني، أما الأمور الاختيارية فلله فيها أمر يتمثل في المنهج، وأنت لك فيها أمر إما أن تطيع وإما أن تعصي، وأنت حر »[2].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٦/ ٣٨٣٨- ٣٨٣٩).

(٢) « تفسير الشعراوي » (٧/ ٤١٧٢-٤١٧٣).

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾[الدخان: ٧-٨].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « إنَّ الآيات الكونية واضحة الدلالة على خالقها عَزَّ وَجَلَّ، هذه السماء التي تُظِلُّكم، وهذه الأرض التي تُقِلُّكم، وما بينهما من خيرات وأسرار، بل وما تحت الثرى من ثروات، كلها تدلُّ على الله. وإذا كان هذا الذي نراه في الأرض والسماء عالم الملك؛ فما بال عالم الملكوت؟!!. عالم الملك تستطع أن تقف عليه بحواسك، أما عالم الملكوت فغيب لا نعرف منه إلا ما أخبرنا الله به، كما قال عَزَّ وَجَلَّ في شأن سيدنا إبراهيم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾[الأنعام: ٧٥] »[١].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[الزمر: ٦٢-٦٣].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « بعد أن ذكر الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعده ووعيده وبيّن عاقبة الكافرين وعاقبة المؤمنين؛ عاد إلى قضية عقدية أخرى ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ وكأنه يقول: ما الذي صرفهم عن أن يؤمنوا بالله الإله الحق، وهو سبحانه خالق كل شيء؟!.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٢٢/ ١٣٩٨٤).

ثم قال: وما دام أن الله تعالى هو خالق كل شيء وهو وكيل على كل شيء؛ فلا بدَّ أن يكون له مُلك السماوات والأرض؛ لذلك قال بعدها: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾... فالله ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وهي جمع مقلاد على وزن مفتاح، أو جمع مقليد، وفي لغة أخرى يقولون: أقاليد جمع إقليد؛ ومعناها التملُّك والتصرف والحفظ والصيانة، فلله تعالى مُلك السماوات والأرض، وله مُطلق التصرف في أمورهما، وله سبحانه حفظهما وتدبير شؤونهما»[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

---

(١) «تفسير الشعراوي» (٢١/ ١٣٢١٥-١٣٢٢١).

الفصل الثاني
توحيد الألوهيـة

تعريف توحيد الألوهية:

الإله في اللغة:

هو المعبود[1]، وتوحيد الألوهية هو إفراد الله ﷻ بالعبادة بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحدًا يعبده ويتقرب إليه كما يعبد الله تعالى ويتقرب إليه[2].

المراد بتوحيد الألوهية:

إفراد الله – جل وعلا – بالتعبد في جميع أنواع العبادات[3].

ويُعبِّر بعض أهل العلم بالعبادة بدل التعبد، ولا فرق، إذ مراده بالعبادة معناها المصدري وهو التعبد. والتعبد له ركنان وشرطان لصحته، أما الركنان: فغايةُ الخضوع والتذللِ لله، وكمالُ المحبة له. وأما الشرطان: فمعرفة المعبود – وهو الله ﷻ –، ومعرفةُ دينهِ الشرعي الجزائي. والمقصود بالعبادات: ما يتعبد به لله تعالى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، ولها شرطان: المتابعة فيها – أي أن تكون وفق ما جاء به الرسول ﷺ – والصدق والإخلاص لله جل وعلا فيها.

وهذا هو معنى شهادة ألا إله إلا الله. وتمام تحقيقها بشهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ.

---

(١) «لسان العرب» (١٣/ ٤٦٧).

(٢) «قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني»؛ لعبد المحسن بن حمد ابن عبد المحسن العباد البدر (ص: ٤٦).

(٣) «رسالة في معنى العبادة»؛ لأبي بطين (١/ ١٧٠).

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: « هو إخلاَصُ العبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحده لا شريك له، فلا يُعبد إلَّا الله وَحدَه، ولا يُدعَى إلَّا هو، دون غيره من الملائكة والنَّبيين والأولياء الصَّالحين وغيرهم. ولا يُلتَجَأ لكشف الضُّر إلَّا إليه، ولا لجَلب الخير إلَّا إليه، ولا يُنذَر إلَّا له، ولا يُذبح إلَّا له، ولا يُتَوكَّل إلَّا عليه، ولا يُخَاف إلَّا منه سبحانه، ولا يُستَعان ولا يُستَغَاثُ إلَّا به وحده. إلى غير ذلك من أنواع العبادة، كالرَّغبة والرَّهبة، والإنابة إلى الله، والخُشوع له، فَصَرْفُ شَيءٍ منها إلى غير الله شِركٌ مُنَاف للتَّوحيد الذي أُرسِل لأجله الرُّسل. فجميع الرُّسل أُرسلوا لتحقيق هذا النوع من التَّوحيد »[1].

وهذا النوع من التوحيد هو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستباح دماءهم وأموالهم وأرضهم وديارهم، وسبى نساءهم وذريتهم، وهو الذي بعثت به الرسل وأنزلت به الكتب مع أخويه توحيدي الربوبية، والأسماء والصفات، لكن أكثر ما يعالج الرسل أقوامهم على هذا النوع من التوحيد[2].

وتوحيد الألوهية بحيث لا يصرف الإنسان شيئًا من العبادة لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، ولا لولي صالح، ولا لأي أحد من المخلوقين؛ لأن العبادة لا تصح إلا لله عَزَّ وَجَلَّ، ومن أخل بهذا التوحيد؛ فهو مشرك كافر وإن أقر بتوحيد الربوبية، وبتوحيد الأسماء والصفات، فلو أن رجلًا من الناس يؤمن بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المستحق لما

---

(١) « التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية »؛ لعبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن حسين بن حميد (ص: ٢١).

(٢) « فتاوى ابن عثيمين » (ص: ٩).

يستحقه من الأسماء والصفات لكن يعبد مع الله غيرَه؛ بأن يذهب إلى القبر فيعبد صاحبه، أو ينذر له قربانًا يتقرب به إليه؛ فإن هذا مشرك كافر خالد في النار[1]، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢]، ولم ينفعه إقراره بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات[2].

ومن المعلوم لكل من قرأ كتاب الله ﷻ أن المشركين الذين قاتلهم النبي ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم، وسبى نساءهم، وذريتهم، وغنم أرضهم، كانوا مقرين بأن الله تعالى وحده هو الرب الخالق لا يشكون في ذلك، ولكن لما كانوا يعبدون معه غيره صاروا بذلك مشركين مباحي الدم والمال[3].

وقد تكرر في القرآن بيان أن الخالق هو الذي يستحق أن يُعبد، وأن المتفرد بالنعم الظاهرة والباطنة هو الذي يستحق أن يُعبد دون ما سواه.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[البقرة: ٢١-٢٢].

قال عكرمة: « نهاهم الله تعالى أن يشركوا به شيئًا وأن يعبدوا غيره أو يتخذوا له ندًا وعدلًا في الطاعة فقال: كما لا شريك لي في خلقكم وفي رزقكم الذي أرزقكم وملكي إياكم ونعمتي التي أنعمتها عليكم فكذلك فأفردوا لي الطاعة

---

(١) أقول: إن مات على ذلك.

(٢) « فتاوى ابن عثيمين » (ص: ٩).

(٣) « مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين » لابن عثيمين (١/ ٢٠).

وأخلصوا لي العبادة ولا تجعلوا لي شريكًا وندًا من خلقي فإنكم تعلمون أن كل نعمة عليكم مني »[(١)].

فقد بين الله تعالى استحقاقه للعبادة لأنه هو الخالق والرازق، وأمرهم أمر إيجاب بقوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾.

وقال الله تعالى: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٤ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ١٦ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٤-١٨].

ففي هذه الآيات تقرير التوحيد لله تعالى؛ فالاستفهام في قوله تعالى أَغَيرَ اللّهِ إنكاريٌّ، أي: كيف أتخذ وليًا غير الله فأطيعه وأعبده والله هو خالق السموات والأرض الذي يرزق الخلق ولا يحتاج إليهم، فهو الغني عن كل ما سواه، فلذلك أمره الله بعبادته وحده ونهاه عن الشرك. ثم بيّن الله تعالى أن الثواب والعقاب بيده، وبيّن تعالى أنه على كل شيء قدير ولا يعجزه شيء، وأنه المتصرف وحده، فله القدرة الكاملة والعزة الظاهرة، فإذا كان ذلك كذلك كيف لا تُخلص له العبادة![(٢)].

وقال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ

---

(١) « جامع البيان في تأويل القرآن » للطبري (١/ ٣٦٩-٣٧٠).

(٢) انظر: « جامع البيان في تأويل القرآن » (١١/ ٢٨٧-٢٨٨)، و« تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان » (٢/ ١٧٧).

﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ [الأنعام: ١٠١-١٠٢]، وفيها أن الخالق والوكيل على كل شيء بحفظه ورزقه وتصريفه هو الذي يستحق أن يعبد.

قال ابن جرير: « يقول جل ثناؤه لهم: أيها الجاهلون: إنه لا شيء له في الألوهية والعبادة إلا الذي خلقَ كلَّ شيءٍ وهُو بكُلِّ شيءٍ علِيمٌ، فإنه لا ينبغي أن تكون عبادتُكم وعبادةُ جميع من في السموات والأرض إلا له خالصة بغير شريك تشركونه فيها. فإنه خالق كل شيء وبارئه وصانعه، وحَقٌّ على المصنوع أن يفرد صانعه بالعبادة »[1].

هذا وقد كان المشركون يقرون بتوحيد الربوبية، ولذلك قال الله جل وعلا عنهم: ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

قال عكرمة مولى ابن عباس في تفسيرها: « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولون الله فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره »[2].

ومثل هذا التفسير منقول عن ابن عباس وغيره[3].

ولذلك فإن الله قررهم بهذا النوع من التوحيد؛ أي إذا كنتم أيها المشركون تقرون لله بأنه خالق كل شيء ورازقه فعليكم أن تقروا كذلك لله تعالى بالألوهية وحده وتتقوه ولا تعبدوا غيره.

قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

---

(١) « جامع البيان في تأويل القرآن » للطبري (١٢/ ١٢-١٣).

(٢) المرجع السابق (١٦/ ٢٨٦).

(٣) المرجع السابق (١٦/ ٢٨٨).

قال ابن جرير عند قوله ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: «أفلا تخافون عقاب الله على شرككم وادِّعائكم ربًا غير من هذه الصفة صفته، وعبادتكم معه من لا يرزقكم شيئًا ولا يملك لكم ضرًا ولا نفعًا؟»[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل: ٥٩-٦٤].

فهذه الآيات جاءت بعد أن ذكر الله إهلاكَه لفرعونَ وقومِه وذهابَ ملك سبأ وإهلاكَ ثمود قوم صالح عليه السلام وإهلاكَ قوم لوط عليه السلام؛ ووجهُ المناسبة كما **قال ابن جرير** رحمه الله: «قل يا محمد لهؤلاء الذين زَيَّنا لهم أعمالهم من قومك فهم يعمهون: آللَّهُ الذي أنعم على أوليائه هذه النعم التي قصها عليكم في هذه السورة، وأهلك أعداءه بالذي أهلكهم به من صنوف العذاب التي ذكرها لكم فيها خيرٌ أمّا تشركون من أوثانكم التي لا تنفعكم ولا تضركم ولا تدفع عن أنفسها ولا عن أوليائها سوءًا ولا تجلب إليها ولا إليهم نفعًا؟ يقول: إن هذا الأمر لا يشكل على من له عقل، فكيف تستجيزون أن تشركوا عبادةَ من لا نفعَ عنده لكم ولا

(١) «جامع البيان في تأويل القرآن» للطبري (١٥/ ٨٤).

دفع ضر عنكم في عبادة من بيده النفعُ والضرُّ وله كلُّ شيء؟ ثم ابتدأ تعالى ذكره تعديد نِعَمِهِ عليهم »[1]. ثم ذكر الآيات وتفسيرها.

وقد بيّن الله تعالى خصائص ربوبيته في هذه الآيات الدالة على أنه المعبود وحده، وأن ما سواه لا يستحق شيئًا من العبادة، فإنه كلما ذكر شيئًا من خصائصه قال: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾، أي: يقدرُ على ذلك أو يفعَلُه؟ والجواب: لا. وإذا كان كذلك كان هو المستحِقَّ لأن يعبد وحده، ولذلك نص الله على ذلك بقوله: ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بعد أن ابتدأ الآيات بقوله: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ثم بيّن تعالى عَجْز كلِّ من يدعي شيئًا من خصائص ربوبيته لغيره تعالى، فقال آمرًا نبيه ﷺ بأن يخاطبهم بصيغة التعجيز: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾. وبعد هذا التقرير يظهر جليًا أن التوكل والاستعانة ونحوها إنما تكون بالله رب الأرض والسموات الذي بيده الأمر كله - وهذا هو الذي تقتضيه الفطرة السليمة - فإن الذي خلق وقدر وهدى والذي بيده ملكوت كل شيء هو الذي يُتوكَّلُ عليه ويُستعانُ به وحده، وأن الذي أنعم على الحق بأنواع النعم التي لا تعد ولا تحصى كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]؛ هو الذي يُشكَر ويُحَبُّ لما أنعم به، وهو الذي يُرجى ويُرغَبُ إليه وحده[2].

---

(١) « جامع البيان في تأويل القرآن » للطبري (١٩/ ٤٨٣).

(٢) « منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى » (١/ ١٠٧).

ومن الآيات التي تحدثت عن توحيد الألوهية ما يأتي:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢٣].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « والعبادة طاعة عابد لأمر معبود، والعبادة تقتضي تكليفًا بأمر ونهي. فالألوهية تكليف وعبادة، أما الربوبية فعطاء وتربية؛ لذلك قال سبحانه: ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[هود: ٣٤]. أي: ربكم جميعًا: ربّ المؤمن، وربّ الكافر، وربّ الطائع، ورب العاصي.

وكما قلنا: الشمس والقمر والأرض والمطر.. الخ كلها تخدم الجميع، لا فرقَ بين مؤمن وكافر؛ لأن ذلك عطاء الربوبية، وإن سألت الكافر الجاحد: من خلقك؟ من رزقك؟ فلن يملك إلا أن يقول: الله، إذن: فليخزَ هؤلاء على أعراضهم، وليعلموا أنه تعالى وحدة المستحق للطاعة وللعبادة. فمقتضيات الربوبية والإيمان بها تقتضي أن نؤمن بالألوهية. **ثم قال**: وقوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾. أي: معبود غيره »(١).

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حين قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ قَصَرَ العبادةَ على ذاته الكريمة، لأنه لو قال نعبدك وحدك فهي لا تؤدي المعنى نفسه، لأنك قد

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١٦/ ١٠٠٠١- ١٠٠٠٤).

تقول نعبدك وحدك ومعك كذا وكذا. ولكن إذا قلت ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وقدمت إيّاك؛ تكون قد حسمت الأمر بأن العبادة لله وحده، فلا يجوز العطف عليها. فالعبادة خضوع لله ﷻ بمنهجه افعل ولا تفعل... وقول الحق ﷻ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تنفي العبودية لغير الله؛ أي لا نعبد غير الله ولا يعطف عليها أبدًا. إذًا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أعطت تخصيص العبادة لله وحده لا إله غيره ولا معبود سواه »[1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « ونقف بالتأمل الآن عند قول الحق: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾... وبعد ذلك جاء بالقضية الأساسية وهي قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وهنا نجد النفي ونجد الإثبات، النفي في ﴿لَآ إِلَٰهَ﴾، والإثبات في ﴿إِلَّا هُوَ﴾. والنفي تخلية والإثبات تحلية. خلّى سبحانه نفسه من وجود الشريك له ثم أثبت لنا وحدانيته.

و« لا إله إلا الله »؛ أي: لا معبود بحق إلا الله. ونعرف أن بعضنا من البشر في فترات الغفلة قد عبدوا أصنامًا وعبدوا الكواكب. ولكن هل كانت آلهة بحق أم بباطل؟ لقد كانت آلهةً بباطل. ودليل صدق هذه القضية التي هي «لا إله إلا الله»؛ أي: لا معبود إلا الله، أن أحدًا من تلك الآلهة لم يعترضْ على صدق هذه القضية. إذن فهذا الكلام هو حق وصدق.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١/ ٧٨).

وإن ادعى أحد غير ذلك، نقول له: إن الله قد أخبرنا أنه لا معبود بحق غيره؛ لأنه هو الذي خلق وهو الذي رزق، وقال: أنا الذي خلقت.

ثم قال: إذًا « لا إله إلا الله » هي قضية تمتلئ بالصدق والحق، والله هو المعبود الذي يُتَوَجّه إليه بالعبادة، والعبادة هي الطاعة »(١).

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رحمه الله هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

قال الشعراوي رحمه الله: « ﴿ ذَٰلِكُمُ ﴾ أي: الذي فعل هذا وقدره ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ ﴾ أي: العالم المُحسّ المشاهد لك، أما الذي لا تراه من مُلك الله فهو عالم الملكوت، وهو ما غاب عنك، ولا تُدركه حواسُّك.

ثم قال: قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴾ يعني: إن كان الإلهُ الحقُّ خلق لكم كذا وكذا، وسخر لكم الشمس والقمر، فإن آلهتكم المدَّعاةَ المزعومةَ ﴿مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ فما القطمير؟... وهو الغشاء الشفاف الذي يُحيط بالنواة، ونجد مثله بين بياض البيضة وقشرتها... ثم يقول الحق سبحانه: ﴿ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴾. قوله: ﴿ إِن تَدۡعُوهُمۡ ﴾ الدعاء هنا

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٢/ ١٠٨٦-١٠٨٨).

معناه العبادة، فقد كان الواحد منهم يقف أمام صنمه يدعوه وتوسل إليه ويكلمه... الخ، لكن هيهات، فهذا حجر لا يسمع، فدعاؤه غباء فضلًا عن كونه كفرًا.

ومعنى ﴿لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾: أي الآلهة التي لا تعقل ولا تسمع، كالشجر والحجر وغيره... وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾ أي: على فرض أنهم عبدوا بشرًا يسمعهم ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ يعني: ما وافقوا على عبادتكم لهم، ولرفضوا أن يكونوا آلهة، مثال ذلك الذين عبدوا عيسى عليه السلام من دون الله.

ثم قال: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي: هؤلاء الذين توجهتم إليهم بالعبادة واتخذتموهم آلهة سيتبرؤون منكم ومن شرككم»[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رحمه الله هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥].

قال الشعراوي رحمه الله: «معنى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ استفهام غرضه النفي، يعني: لا أحد أشد ضلالًا من هذا الذي يدعو من دون الله من لا يستجيب له، لا الآن ولا في المستقبل ولا يوم القيامة خاصة، وهو يعلم أن إلهه الذي يدعوه لا يستجيب له.

الله سبحانه وتعالى هو المعبود بحقّ، وهو الكبير المتعال، لذلك الكافر حين يصيبه ضُرٌّ لا يلجأ إلى آلهته الباطلة، فلا يُنادي يا هبل أبدًا، لا يقولها في وقت الشدة؛ لأنه

(١) «تفسير الشعراوي» (٢٠/ ١٢٤٦٣-١٢٤٦٨).

يعلم أن هبل لا يسمعه ولا يجيبه، وهو لا يخدع نفسه ولا يكذب عليها في هذه الحالة، فتراه يلجأ إلى الله ويدعوه رغم أنه كافر به. يقول ﷻ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ...﴾ [الإسراء: ٦٧].

نعم ساعة الضيق يبحث عن الإله الحق الذي يملك له النفع ويملك له الضر فيقول: يا رب، لكن ساعةَ يكشف الله عنه ضُرّه يعود إلى كفره وعناده »[١].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رحمه الله هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

قال الشعراوي رحمه الله: « والحق - تبارك وتعالى - يضرب لكم هذا المثل ويقول: خذوه في بالكم، وانتبهوا له، وافتحوا له آذانكم جيدًا واعقلوه؛ لأنه سينفعكم في علاقتكم برسول الله وبالمؤمنين.

والخطاب هنا مُوجَّه للناس كافّة، لم يخُصّ أحدًا دون أحد: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾... ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾ يعني: انصتوا وتفهَّموا مراده ومرماه، لتسيروا في حركتكم على وَفق ما جاء فيه، وعلى وَفق ما فهمتم من مغزاه. فما هو هذا المثَل؟

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٢٣/ ١٤١٥٨).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: الذين تعبدونهم وتتجهون إليهم من دون الله ﴿لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابًا﴾ وهو أصغر المخلوقات ﴿وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ يعني: تضافرَت جهودُهم، واجتمع أمرُهم جميعًا لا واحدًا، وهذا ترقٍّ في التحدي، حيث زاد في قوة المعاند.

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ يعني: هؤلاء الكفار الذين عبدوا من دون الله آلهة لا تستطيع أن تخلق ذبابًا، ولا تستطيع حتى أن تردَّ من الذباب ما أخذه، هؤلاء ما عرفوا لله قدْرَه، ولو عرفوا قَدر الله ما عبدوا غيره »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر: ٢- ٣].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ فشرط العبادة الإخلاص، والعبادة تعني طاعة العابد لأمر معبوده ونهيه، وهذا التحديد لمعنى العبادة يُبطل عبادة كلّ ما سوى الله تعالى، فالذين عبدوا غير الله من شمس أو قمر أو نجوم أو أشجار أو أحجار؛ عبدوا آلهة - كما يزعمون - بلا منهج وبلا تكليف.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١٦/ ٩٩٣٢-٩٩٣٤).

إذًا فكلمة العبادة هنا خطأ وهي باطلة، فماذا قالت لهم هذه الآلهة؟ بمَ أمَرَتْهُم وعَمَّ نهَتهم؟ ماذا أعدّت هذه الآلهة لمن عبدها؟ وماذا أعدت لمن كفر بها؟ فأول ما يُبطل عبادة غير الله أنها آلهة بلا منهج وبلا تكاليف.

أما الذين قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ فالله سبحانه نهى عن هذه الزُّلفى، ونهى أن يكون بينه وبين عباده واسطة أو وسيلة »[1].

ثم قال: « ثم يذكر سبحانه مقابل إخلاص العبادة لله فيقول: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ قائلين ومبررين موقفهم حين تبيَّن لهم كذبهم في عبادة ما دون الله، وحين تقول لهم إن هذه الآلهة لا ترى ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع، وحين تضيق عليهم الخناق؛ يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾، الذي يُقرِّبك إلى الله لابُدَّ أن يكون مشهودًا بالتبعية لله تعالى، وهذه الآلهة التي تعبدونها ليست مشهودة بالتبعية لله تعالى... إذًا فعبادتكم لها باطلة، وأنتم كاذبون في هذه العبادة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ »[2].

– يرى الباحث أن كلام الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم، لكن كلامه هنا حجة عليه؛ حيث إنه يرى في – مواقع أخرى – جواز بناء القبور على المساجد والطواف عليها، وحالُ عُبّاد القبور أنهم يعتقدون أنها تنفع وتضر من دون الله، وأقلّ كلام للعلماء في هذه المسألة أنها ذريعة للشرك – والعياذ بالله –.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٢١/ ١٣٠٢٢).

(٢) « تفسير الشعراوي » (٢١/ ١٣٠٢٦).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦١].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « يقول تعالى للذين لا تكفيهم آياتِ القرآنِ التي نزلت على رسول الله، ويطلبون منه آياتٍ أخرى، يقول لهم: لقد جعل الله لكم الآيات في الكون قبل أن يرسل الرسل، آيات دالة على الإعجاز في السماوات وفي الأرض، فهل منكم مَن يستطيع أن يخلق شيئًا منها مهما صَغُر؟ إن خلق السماوات والأرض معجزةٌ كونية لا تنتهي، فلماذا تطلبون المزيد من الآيات، وما جعلها الله إلا لبيان صِدق الرسل في البلاغ عن الله ليؤمن الناس بهم.

لذلك يقول سبحانه في الرد عليهم: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان: ١١]؛ فخَلْقُ السماوات والأرض والشمس والقمر إعجازٌ للدنيا كلها، وخصوصًا الكفرة فيها.

ومسألة الخَلق هذه من الوضوح بحيث لا يستطيع أحد إنكارها - كما سبق أن أوضحنا - لذلك يقولون هنا في إجابة السؤال ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ﴾، وهذا الاعتراف منهم يستوجب من المؤمن أن يحمد الله عليه، فيقول: الحمد لله أن اعترفوا بهذه الحقيقة بأنفسهم، الحمد لله الذي أنطقهم بكلمة الحق، وأظهر الحجة التي تبطل كفرهم. وقوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ أي: كيف بعد هذا الاعتراف ينصرفون عن الله، وينصرفون عن الحق؟ »[١].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١٨/ ١١٢٥٤).

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾[يونس: ٣١-٣٢].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾: إذًا: أما كان يجب أن نرهفَ الآذان، ونُعمِلَ الأبصار؛ لنرى قدرة الله سبحانه الذي وهب لنا كل تلك النعم من رزق، وسمع، وبصر، وإحياء، وإماتة، وإحياء من ميت، وتدبير الأمر كله؟، أما كان يجب أن نقول: يا مَن خَلَقتَنَا ماذا تنتظر مِنَّا؛ لنعمِّر الكون الذي أوجدتنا فيه؟ فكيف إذن يتجه البعض بالعبَادة لغير الله تعالى؛ لشمسٍ أو قمرٍ، أو ملائكة، أو نبيّ، أو صنمٍ؟ كيف ذلك والعبادة معناها إطاعة العابد للمعبود فيما يأمر به؟ وهل هناك إلهٌ بغير منهجٍ يأمرُ به عباده، ومن عبد الشمس هل كَلَّفته بشيء؟.. لا. إذًا: يتساوى عندها مَن عبدها، ومَن لم يعبُدْها، وفي هذا نقض لألوهية كل معبود غير الله تعالى. ولذلك يُنهي الحقُّ سبحانه الآية بقوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

فما دام الله سبحانه هو الذي خلق كل ذلك، وأنزل منهجًا، فعليكم أن تجعلوا بينكم وبينه وقاية؛ تحميكم من صفات الجلال، وتقرّبكم من آثار صفات الجمال، وأن تسمعوا إلى البلاغ من الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وإلى مطلوباته سبحانه؛... والعجيب أن الجميع يجيب بأن الله سبحانه هو الذي خَلَق، فالحق سبحانه يقول: ﴿ وَلَئِن

سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧]. ويقول أيضًا: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥].

ثم قال: إذن: فقوله سبحانه: ﴿فَذَٰلِكُمُ﴾ إشارة إلى أشياء ونعم كثيرة ومتعددة أشار إليها بلفظ واحدٍ؛ لأنها كلَّها صادرةٌ من إله واحد. ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ ولا يوجد في الكون حقَّان، بل يوجد حق واحد، وما عداه هو الضلال؛ لذلك يقول الحق سبحانه: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾... فيقول سبحانه: ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ أي: أنكم إن انصرفتم عن الحق ﷻ، فإلى الضلال»[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رحمه الله هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

❀ ❀ ❀

(١) «تفسير الشعراوي» (١٠/ ٥٩١٢-٥٩١٥).

الفصل الثالث

توحيد الأسماء والصفات

تعريف توحيد الأسماء والصفات:

هو إفراد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى الواردة في القرآن والسنة، والإيمان بمعانيها وأحكامها[1].

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ: « وهو اعتقاد انفراد الله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال، وذلك بإثبات ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رَسُوله ﷺ من الأسماء والصفات، بغير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، بل نعتقد أن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فلا ننفي عنه ما وصف به نفسه، ولا نحرف الكلم عن مواضعه، ولا نلحد في أسماء الله وآياته »[2].

والإيمان بما سمى الله به نفسه ووصف به نفسه على وجه الحقيقة لا المجاز، من غير تكييف ولا تمثيل لصفات الله ﷻ، هذا النوع من أنواع التوحيد ضلَّ فيه طوائفُ من هذه الأمة من أهل القبلة الذين ينتسبون للإسلام على أوجه شتى:

فمنهم من غلا في النفي والتنزيه غلوًّا يخرج به من الإسلام، ومنهم متوسط، ومنهم قريب من أهل السنة[3].

---

(١) « معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات » لمحمد بن خليفة التميمي (ص: ٢٩).

(٢) « التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية » لعبد الله بن حميد (ص: ٤٦).

(٣) « الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها » لمحمد بن خليفة بن علي التميمي (ص: ٧٩).

مثال ذلك: أن الله ﷻ سمى نفسه بالحي القيوم؛ فيجب علينا أن نؤمن بأن الحي اسم من أسماء الله تعالى، ويجب علينا أن نؤمنَ بما تضمَّنَه هذا الاسمُ من وصف، وهي الحياةُ الكاملة التي لم تُسبَقْ بعدَمٍ ولا يلحقُها فناء. وسمى الله نفسَه بالسميع فعلينا أن نؤمن بالسميع اسمًا من أسماء الله ﷻ وبالسمع صفة من صفاته، وبأنه يسمع وهو الحكم الذي اقتضاه ذلك الاسم وتلك الصفة، فإن سميعًا بلا سمع، أو سمعًا بلا إدراك مسموع، هذا شيء محال؛ وعلى هذا فقس[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، فأثبت لنفسه يدين موصوفتين بالبسط؛ وهو العطاء الواسع، فيجب علينا أن نؤمن بأن لله تعالى يدين اثنتين مبسوطتين بالعطاء والنعم، ولكن يجب علينا أن لا نحاول بقلوبنا تصورًا، ولا بألسنتنا نطقًا أن نكيف تلك اليدين ولا أن نمثلهما بأيدي المخلوقين؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]، ويقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، ويقول ﷻ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[الإسراء:٣٦]، فمَن مَثَّل هاتين اليدين بأيدي المخلوقين؛ فقد كذب قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، وقد عصى الله تعالى في قوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، ومن كيَّفَهما وقال:

---

(١) «مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين» لابن عثيمين (١/ ٢١).

هما على كيفية معينة أيًّا كانت هذه الكيفية، فقد قال على الله ما لا يعلم وقفى ما ليس له به علم[1].

معنى قول أهل السنة: (من غير تكييف ولا تمثيل):

هذه العبارة فيها تمييز لعقيدة أهل السنة عن عقيدة المشبهة.

فالتكييف: هو جعل الشيء على حقيقة معينة من غير أن يقيدَها بمماثل[2]؛ مثال ذلك: قول الهشامية عن الله: « طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه »[3].

أو قولهم: « طوله طول سبعة أشبار بشبر نفسه ».

وعلى هذا التعريف يكون هناك فرق بين التكييف والتمثيل:

فالتكييف: ليس فيه تقيد بمماثل، **وأما التمثيل**: فهو اعتقاد أنها مثل صفات المخلوقين.

ولعلَّ الصواب أن التكييف أعمُّ من التمثيل، فكل تمثيل تكييف؛ لأن من مَثَّلَ صفات الخالق بصفات المخلوقين فقد كيَّفَ تلك الصفة؛ أي جعل لها حقيقة مُعينة مشاهدة.

وليس كل تكييف تمثيلًا؛ لأن من التكييف ما ليس فيه تمثيل صفات المخلوقين، كقولهم: طوله كعرضه.

---

(١) « مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين » لابن عثيمين (١/ ٢١).

(٢) « القواعد المثلى في صفات الله وأسمـائه الحسنى » لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ص: ٢٧).

(٣) « مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين » لأبي الحسن الأشعري (ص: ٣١).

ومعنى قول أهل السنة: « **من غير تكييف** » أي من غير كيف يعقله البشر، وليس المراد من قولهم: « من غير تكييف » أنهم ينفون الكيف مطلقًا؛ فإن كل شيء لا بد أن يكون على كيفية ما، ولكن المراد أنهم ينفون علمَهم بالكيف؛ إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه[1].

فمن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفاته ﷻ؛ لأنه تعالى أخبرنا عن الصفات ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تعمُّقُنا في أمر الكيفية قَفْوًا لما ليس لنا به علمٌ، وقولًا بما لا يمكننا الإحاطةُ به.

(ولا تمثيل): المثيل لغة: هو النِّدُّ والنظير. **والتمثيل**: هو الاعتقاد في صفات الخالق أنها مثل صفات المخلوقين.

وهو قول الممثل: له يد كيدي، وسمع كسمعي؛ تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا.

والتمثيل والتشبيه هنا بمعنى واحد، وإن كان هناك فرق بينهما في أصل اللغة[2].

فالمماثلة: هي مساواة الشيء لغيره من كل وجه، **والمشابهة**: هي مساواة الشيء لغيره في أكثر الوجوه.

ولكن التعبير هنا بنفي (التمثيل) أولى لموافقة لفظ القرآن؛ في قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤].

---

(١) « شرح العقيدة الواسطية » لمحمد بن صالح العثيمين (ص: ٢١).

(٢) « القواعد المثلى » لمحمد بن صالح العثيمين (ص: ٢٧).

وقد وقع في التمثيل والتكييف (المُشَبهةُ) الذين بالغوا في إثبات الصفات إلى درجة تشبيه الخالق بالمخلوق[1].

عقيدة أهل السنة والجماعة بريئة من التعطيل:

فأهل السنة والجماعة لا يُعَطِّلون أي اسم من أسماء الله، أو أي صفة من صفات الله ولا يجحدونها، بل يقرون بها إقرارًا كاملًا .

الفرق بين التعطيل والتحريف: التحريف يكون في الدليل، والتعطيل يكون في المدلول؛ فمثلًا:

إذا قال قائل: معنى قوله تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤]، أي: بل قُوَّتاه، هذا محرِّفٌ للدليل، ومعطل للمراد الصحيح، لأن المراد اليد الحقيقية، فقد عطل المعنى المراد، وأثبت معنى غير المراد. وإذا قال: بل يداه مبسوطتان، لا أدري! أُفوِّضُ الأمر إلى الله، لا أثبت اليد الحقيقية، ولا اليد المحرَّفَ إليها اللفظ، نقول: هذا معطِّلٌ، وليس بمحرف، لأنه لم يغير معنى اللفظ، ولم يفسره بغير مراده، لكن عطل معناه الذي يراد به، وهو إثبات اليد لله ﷻ.

أهل السنة والجماعة يتبرؤون من الطريقتين: الطريقة الأولى: التي هي تحريف اللفظ بتعطيل معناه الحقيقي المراد إلى معنى غير مراد، **والطريقة الثانية**: وهي طريقة أهل التفويض. فهم لا يفوِّضون المعنى كما يقول المفوضة بل يقولون:

---

(١) « معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات » لمحمد بن خليفة التميمي (ص: ٦٤).

نحن نقول: بَل يَدَاهُ، أي: يداه الحقيقيتان مَبسُوطَتَان، وهما غير القوة والنعمة؛ فعقيدة أهل السنة والجماعة بريئة من التحريف ومن التعطيل[1].

الفرق بين التحريف والتأويل:

لما كان الإيمانُ بخبر الله ورسوله أصلَ هذا الدين، لم يَسَعْ أحدًا من أهل البدع المنتسبين إلى الملة رد ألفاظ النصوص الثابتة المتواترة من كتاب وسنة مما يخالف أصل بدعتهم، لكنهم سلكوا مسلكًا آخر وهو رد معانيها الثابتة الصحيحة التي فهمها سلف هذه الأمة عن الله ورسوله ﷺ، واستبدالها بمعان محدثة ابتكروها لتوافق بدعتهم؛ وهذه حقيقة التحريف، إلا أنهم تلطيفًا لبشاعة مسلكهم هذا سمَّوْه بغير اسمه، وزعموا أنه (تأويل) لا (تحريف)، حتى شاع هذا المصطلحُ وذاع في المتأخرين، وعُدَّ من طريقة أهل السنة والجماعة، ووصف بـ(العلم) و(الحكمة) حتى قيل: « طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم ».

لكن التواضع على الخطأ لا يقلب الباطل حقًا، ولا يغير حقائق الأشياء؛ لا سيما ما كان صادرًا عن معصوم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: « **الأقوال نوعان: أقوال ثابتة عن الأنبياء:** فهي معصومة؛ يجب أن يكون معناها حقًا، عرفه من عرفه، وجهله من جهله، والبحث عنها إنما هو عما أرادته الأنبياء، فمن كان مقصوده معرفة مرادهم من الوجه الذي يعرف مرادهم فقد سلك طريق الهدى، ومن قصد أن يجعل ما قالوه تبعًا له؛ فإن وافقه قبله وإلا رده وتكلف له من التحريف ما يسميه تأويلًا، مع

---

(١) « شرح العقيدة الواسطية » لمحمد بن صالح العثيمين (ص: ١/ ٩١).

أنه يعلم بالضرورة أن كثيرًا من ذلك أو أكثره لم تُرِدْهُ الأنبياء، فهو محرّف للكلم عن مواضعه، لا طالبٌ لمعرفة التأويل الذي يعرفه الراسخون في العلم.

النوع الثاني: ما ليس منقولًا عن الأنبياء، فمن سواهم، ليس معصومًا، فلا يقبل كلامه ولا يرد إلا بعد تصور مراده، ومعرفة صلاحه من فساده »[1].

وعليه، فلا يسلم لهم تسمية (تحريفهم) (تأويلًا) بإطلاق؛ وسبب ذلك أن: « **لفظ التأويل قد صار بتعدد الاصطلاحات مستعمَلًا في ثلاثة معان:**

أحدهما: وهو اصطلاح كثير من المتأخرين المتكلمين في الفقه وأصوله؛ أن التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به.

وهذا هو الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات وترك تأويلها، وهل هذا محمود أم مذموم، وحق أو باطل؟.

والثاني: أن التأويل بمعنى التفسير، وهذا هو الغالب على اصطلاح مفسري القرآن، كما يقول ابن جرير وأمثاله من المصنفين في التفسير: (واختلف علماء التأويل)[2].

والثالث: من معاني التأويل: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٣].

---

(١) « مجموع الفتاوى » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ١٩١).

(٢) « جامع البيان في تأويل القرآن » للطبري (١/ ٢٣٧) (١/ ٢٧٨).

فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد هو ما أخبر الله تعالى به فيه، مما يكون من القيامة، والحساب، والجزاء، والجنة، والنار، ونحو ذلك، كما قال في قصة يوسف عليه السلام لما سجد أبواه وإخوته: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[يوسف: ١٠٠] فجعل عينَ ما وُجِدَ في الخارج هو تأويل الرؤيا »[(١)].

فلما كان لفظ (التأويل) تتنازعه هذه المعاني، وإنما أراد مُدَّعوه المعنى الأول منها فقط، كما أن ذلك المعنى قد يكون صحيحًا وقد يكون فاسدًا بحسب صحة الدليل الصارف أو فساده، لم يَجُزْ أن يسمى صنيعهم ذلك تأويلًا، وقد قام على شبهة فاسدة، فإطلاق القول يوقع في الوهم .

ولهذا فإن السلف رحمهم الله لم يمنعوا التأويل مطلقًا، وإنما منعوا التحريف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان ذلك: « ...كان الأئمة كالإمام أحمد وغيره ينكرون على الجهمية وأمثالهم - من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه - تأويلَ ما تشابه عليهم من القرآن على غير تأويله، كما قال أحمد في كتابه الذي صنفه في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأوَّلَتْه على غير تأويله. وإنما ذمهم لكونهم تأوَّلوه على غير تأويله، وذكر في ذلك ما يشتبه عليهم معناه، وإن كان لا يشتبه على غيرهم، وذمَّهم على أنهم تأولوه على غير تأويله، ولم ينف مطلق لفظ (التأويل) كما تقدم من أن لفظ التأويل يراد به

(١) « التدمرية » لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ٨٩-٩٧)، و« الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة » لابن قيم الجوزية (١/ ١٧٥-١٨٠).

التفسير المبين لمراد الله به؛ فذلك لا يعاب بل يحمد، ويراد بالتأويل الحقيقة التي استأثر الله بعلمها، فذاك لا يعلمه إلا هو.

وأما التأويل المذموم والباطل: فهو تأويل أهل التحريف والبدع، الذين يتأولونه على غير تأويله، ويَدَّعون صرف اللفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله، بغير دليل يوجب ذلك »[1].

الآثار الإيمانية العامة للأسماء والصفات:

إنَّ للتعبد بالأسماء والصفات آثارًا كثيرة على قلب العبد وعمله، **قال العز بن عبد السلام** رَحِمَهُ اللَّهُ: « اعلم أن معرفة الذات والصفات مثمرةٌ لجميع الخيرات العاجلة والآجلة، ومعرفة كل صفة من الصفات تثمر حالًا عَلِيَّةً، وأقوالًا سَنِيَّةً، وأفعالًا رَضِيَّةً، ومراتبَ دنيوية، ودرجات أخروية، فمثل معرفة الذات والصفات كشجرة طيبة أصلها - وهو معرفة الذات - ثابت بالحجة والبرهان، وفرعها - وهو معرفة الصفات - في السماء مجدًا وشرفًا ﴿تُؤْتِيَ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ من الأحوال والأقوال والأعمال ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٥]، وهو خالقها، إذ لا يحصل شيء من ثمارها إلا بإذنه وتوفيقه، مَنْبَتُ هذه الشجرة القلب الذي إن صلح بالمعرفة والأحوال صلح الجسد كله »[2].

وهذه إشارة موجزة إلى بعض تلك الآثار؛ إذ تقصي تلك الآثار أمر في غاية العسر، ويجزئ منها ما يبلغ القصد:

---

(١) « مجموع الفتاوى » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٦٦-٦٧)، و« مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات » لأحمد بن عبد الرحمن القاضي (ص: ١١٦).
(٢) « شجرة المعارف والأحوال » للعز بن عبد السلام (ص: ١٤-١٥)

أولًا: محبة الله:

من تأمل أسماء الله وصفاته وتعلق قلبه بها طرحه ذلك على باب المحبة، وفتح له من المعارف والعلوم أمورًا لا يعبَّر عنها[1]، وإن من عرف الله أورثه ذلك المحبة له سبحانه وتعالى.

قال ابن الجوزي رحمه الله: « فينبغي الاجتهاد في طلب المعرفة بالأدلة، ثم العمل بمقتضى المعرفة بالجد في الخدمة لعل ذلك يورث المحبة... ذلك الغنى الأكبر، ووافقراه »[2].

ومراده أن من عرف الله أحبه، ومن أحب الله أحبه الله، وذلك والله هو الفوز العظيم والجنة والنعيم، والمحبة هي المنزلة التي « فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون وإلى علمها شمر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تَرَوَّح العابدون، فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرة العيون، وهي الحياة التي من حُرِمَها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاءُ الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام، وهي روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال، والتي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه »[3].

ومن سلك طريق التأمل في الأسماء والصفات ولاحظ نعم الله عليه كيف لا يكون حب الله تعالى أعظم شيء لديه، قال أبو سليمان الواسطي رحمه الله: « ذكر

---

(١) « مفتاح دار السعادة » لابن القيم (١/ ٢٨٦).

(٢) « صيد الخاطر » لابن الجوزي (ص: ٧٠).

(٣) « مدارج السالكين » لابن القيم (٦/ ٣-٧).

النِعَم يُورث المحبة »[1].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فإذا انضم داعي الإحسان والإنعام إلى داعي الكمال والجمال لم يتخلف عن محبة من هذا شأنُه إلا أردأ القلوب وأخبثها وأشدها نقصًا وأبعدها من كل خير، فإن الله فطر القلوب على محبة المحسن الكامل في أوصافه وأخلاقه، وإذا كانت هذه فطرة الله التي فطر عليها قلوب عباده، فمن المعلوم أنه لا أحد أعظم إحسانًا منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا شيء أكمل منه ولا أجمل، فكل كمال وجمال في المخلوق من آثار صنعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو الذي لا يُحَدُّ كمالُه ولا يوصَف جلاله وجماله، ولا يحصي أحد من خلقه ثناءً عليه بجميل صفاته وعظيم إحسانه وبديع أفعاله، بل هو كما أثنى على نفسه. وإذا كان الكمال محبوبًا لذاته ونفسه وجب أن يكون الله هو المحبوب لذاته وصفاته؛ إذ لا شيءَ أكملُ منه، وكل اسم من أسمائه وصفة من صفاته وأفعاله دالة عليها، فهو المحبوب المحمود على كل ما فعل وعلى كل ما أمر؛ إذ ليس في أفعاله عبَثٌ ولا في أوامره سَفه، بل أفعاله كلها لا تخرج عن الحكمة والمصلحة والعدل والفضل والرحمة، وكل واحد من ذلك يستوجب الحمد والثناء والمحبة عليه، وكلامه كله صدق وعدل، وجزاؤه كله فضل وعدل، فإنه إن أعطى فبفضله ورحمته ونعمته، وإن منع أو عاقب فبعدله وحكمته:

ما للعباد عليه حق واجب ... كلا ولا سعي لديه ضائع

إن عُذِّبوا فبِعَدْله أو نُعِّموا ... فبفضله وهو الكريم الواسع[2]

---

(١) « المحبة لله سبحانه » لإبراهيم بن الجنيد (ص:٥٥).

(٢) « طريق الهجرتين » لابن القيم (ص: ٥٢٠-٥٢١).

ثانيًا: الذل والتعظيم:

من تحقق بمعاني الأسماء والصفات شهد قلبُه عظمةَ الله تعالى فأفاض على قلبه الذل والانكسار بين يدي العزيز الجبار.

سجود القلب:

ولا شك أن تمام العبودية لا يتم إلا بتمام الذل والانقياد لله، وأكمل الخلق عبودية أكملهم ذلًا وافتقارًا وخضوعًا، بحيث يحصل للقلب انكسار خاص لا يشبهه شيء، فهو يرى حينئذ أنه لا يصلح للانتفاع إلا بجَبْرٍ جديد من خالقه وربه ومولاه، وحينئذ يستكثر القليل من الخير على نفسه كأنه لا يستحقه، ويستكثر قليل معاصيه لعظمة الله تعالى في قلبه، وذلك هو سجود القلب، سئل بعض العارفين أيسجد القلب؟ قال: نعم يسجد سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء.

وإذا تأمل العبد ذلك ألا يدعوه إلى تعظيم الخالق العظيم، فلا يستصغر في حقه معصية قط مهما صغرت، ولا يستعظم في حقه طاعة قط مهما عظمت.

ثالثًا: الخشية والهيبة:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلما ازدادت معرفة العبد بربه ازدادت هيبته له وخشيته إيَّاه، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، أي العلماء به، وقال النبي ﷺ: «أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية»[1] »[2].

---

(١) صحيح البخاري (٦١٠١)، وصحيح مسلم (٢٣٥٦) بلفظ: «أنا أعلمهم بالله، وأشدُّهم له خشية».

(٢) «روضة المحبين» لابن القيم (ص: ٤٠٦).

وفي قول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾. **يقول ابن عباس** رضي الله عنه في معنى الآية: « إنّما يخافني مِن خَلقي من عَلِمَ جبروتي وعزتي وسلطاني »[1]، **وقال ابن كثير** رحمه الله: « إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفةُ به أتمَّ والعلمُ به أكمل كانت الخشيةُ له أعظمَ وأكثر »[2].

رابعًا: اليقين والسكينة والطمأنينة:

من عَبَدَ الله بأسمائه وصفاته وتحقق من معرفة خالقه جل وعلا، وعظَّمَه حق تعظيمه فإنه ولا شك يصل إلى درجة اليقين.

قال ابن القيم رحمه الله: « فاليقين هو الوقوف على ما قام بالحق من أسمائه وصفاته ونعوت كماله وتوحيده »[3].

وباليقين مع الصبر تنال الإمامة في الدين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

خامسًا: الرضا:

والرضا من ثمرات المعرفة بالله، فمن عرف الله بعدله وحكمه وحكمته ولطفه أثمر ذلك في قلبه الرضا بحكم الله وقدره في شرعه وكونه، فلا يعترض على أمره ونهيه ولا على قضائه وقدره، بل تراه: « قد يجري في ضمن القضاء مرارات يجد بعض طعمها الراضي، أما العارف فتقل عنده المرارات لقوة حلاوة المعرفة، فإذا ترقى بالمعرفة إلى المحبة صارت مرارة الأقدار حلاوة.

---

(١) « زاد المسير في علم التفسير » لابن الجوزي (٦/ ٤٨٦).

(٢) « تفسير القرآن العظيم » لابن كثير (٦/ ٤٨٢).

(٣) « مدارج السالكين » لابن القيم (٢/ ٤١٩-٤٢٠). وانظر: (١/ ٤١٣ وما بعدها).

وقد كان من سؤال الحبيب ﷺ: « أسألك الرضا بعد القضا »[1].

وإنما يرضى المؤمن العارف بأسماء الله وصفاته بحكم الله وقضائه؛ لأنه يعلم أن تدبير الله له خير من تدبيره لنفسه، وأنه تعالى أعلم بمصلحته من نفسه، وأرحم به من نفسه، وأبر به من نفسه، ولذا تراه يرضى ويسلم، بل إنه يرى أن هذه الأحكام القدرية الكونية أو الشرعية إنما هي رحمة وحكمة، وحينئذ لا تراه يعترض على شيء منها، بل لسان حاله: رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولًا، وذلك والله محض الإيمان.

سادسًا: التوكل:

إنَّ من أجل ما يثمره التعبد بالأسماء والصفات أن يعتمد القلب على الله ويخلصَ في تفويض أمره إليه، وذلك حقيقة التوكل على الله.

والتوكل من أعظم العبادات تعلقًا بالأسماء والصفات، ذلك أن مبناه على أصلين عظيمين:

الأول: علم القلب: وهو يقينه بعلم الله وكفايته وكمال قيامه بشأن خلقه، فهو القيوم سبحانه الذي كفى عباده شؤونهم، فبه يقومون وله يصمدون.

والثاني :عمل القلب: وهو سُكونُه إلى العظيم الفَعَّالِ لما يريد، وطمأنينته إليه، وتفويضُ أمره إليه، ورضاه وتسليمُه بتصرفه وفعله؛ إذ كل شيء يمضي ويكون فبحُكْمِه وحِكْمته وقَدَرِه وعِلْمه، لا ينفذ شيء في الأرض ولا في السماء عن قدرته، فله الحكم كله، وإليه يرجع الأمر كله[2].

---

(١) « المسند » للإمام أحمد (٥/ ١٩١) (٢١٧١٠).

(٢) « طريق الهجرتين » لابن القيم (ص: ٤٢٦).

ومتى ما أخلص القلب ذلك لله علمًا وعملًا كان من سابقي المتوكلين وصادقي المفوضين والمستسلمين، وإنه والله لغاية الأنس والعز أن يعتمد الإنسان في جميع أمره وشأنه على الله تعالى.

ولما كان هذان الأمران إنما يُبنيان على العلم بهذا الباب العظيم؛ باب الأسماء والصفات، قال بعض العلماء مفسرًا التوكلَ بأنه المعرفة بالله، وإنما أراد أنه بحسب معرفة العبد بالله تعالى وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا وتعبده بها وعلمه بقدرة الله وكفايته وتمام علمه وقيوميته وصدور الأمور عن مشيئته، يصح له التوكلُ ويتِمُّ له ويتحقق.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: « كلما كان بالله أعرف كان توكله عليه أقوى »، ولذا قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: « لا يصح التوكل ولا يتصور من فيلسوف، ولا من القدرية النفاة القائلين بأنه يكون في ملكه ما لا يشاء، ولا يستقيم أيضًا من الجهمية النفاة لصفات الرب جَلَّ جَلَالُهُ، ولا يستقيم التوكل إلا من أهل الإثبات »[1].

سابعًا: الدعاء:

إن من تأمل شيئًا من أسماء الله وصفاته فإنها بلا شك ستقوده إلى أن يتضرع إلى الله بالدعاء ويبتهلَ إليه بالرجاء، فمن تأمل قربَ الله تعالى من عبده المؤمن، وأن الله تعالى هو القريب المجيب والبَرُّ الرحيم والمحسن الكريم، فإن ذلك سيفتح له باب الرجاء وإحسانَ الظن بالله، وسيدفعه إلى الاجتهاد في الدعاء والتقرب إلى الله به.

---

(١) انظر: « مدارج السالكين » لابن القيم (٢/ ١٢٣)، و« طريق الهجرتين » لابن القيم (ص: ٤٢٣).

بل إن من تأمل وتعبد بالأسماء والصفات لا يقتصر على مجرد الدعاء، بل سيفيض عليه ذلك الأمر حضورَ القلب وجمعيته بكليته على الله تعالى، فيرفع يديه مُلِحًّا على الله بالدعاء والسؤال والطلب والرجاء.

وإنما كان الدعاء من أجلِّ ثمرات العلمِ بالأسماء والصفات، وكان هو سلاحَ المؤمن، وميدانَ العارف، ونجوى المحب، وسلم الطالب، وقرة عين المشتاق، وملجأ المظلوم، لما فيه من المعاني الإلهية العظيمة.

ولذا **قال ابن عقيل** رَحِمَهُ اللَّهُ – مبينًا شيئًا من هذه المعاني –: « قد ندب الله تعالى إلى الدعاء، وفي ذلك معان:

أحدها: **الوجود**؛ فإن من ليس بموجود لا يدعى، **الثاني**: **الغنى**؛ فإنَّ الفقير لا يُدعى، **الثالث**: **السمع**؛ فإنَّ الأصم لا يُدعى، **الرابع**: **الكرم**؛ فإنَّ البخيل لا يُدعى، **الخامس**: **الرحمة**؛ فإنَّ القاسي لا يُدعى، **السادس**: **القدرة**؛ فإنَّ العاجز لا يُدعى »[1].

ثامنًا: الإخلاص:

إنَّ إدراك معاني الأسماء والصفات على التحقيق؛ يحمل العبد على إفراد الله بالقصد والابتعاد عن صرف شيء من العبادة لغيره تعالى، ولذا كان من أعظم ما يخلِّصُ العبد من دنس الرياء ملاحظةُ أسماء الله وصفاته، فمن لاحظ من أسماء الله الغنيَّ دفعَه ذلك إلى الإخلاص لغنى الله تعالى عن عمله وفقره هو إلى الله عَزَّ وَجَلَّ قال الله تبارك وتعالى: « أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركْتُه وشركَه »[2].

---

(١) « شرح العقيدة الطحاوية » لابن أبي العز الحنفي، تخريج: ناصر الدين الألباني (ص: ٦٧٨).

(٢) صحيح مسلم (٢٩٨٥) (٤/ ٢٢٨٩).

ومن تأمل اسم الله العليم فإنه يعلم أن ما أخفاه عن أعين الناس لا يخفى على الله لعلمه التام بكل شيء، ومن تأمل اسم الله الحفيظ حمله ذلك على ترك الرياء؛ لأن كل ما يفعله العبد محفوظ عليه سيوافى به يوم القيامة.

وإذا صنع ذلك كان عملُه كلُّه لله، فحبُّه لله، وبغضُه لله، وقوله لله، ولحظه لله، وعطاؤه لله، ومَنْعُه لله، فلا يريد من الناس جزاءً أو شكورًا، ولسان حاله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩].

وإن تقصير العبد في إخلاصه ووقوعه في الرياء أو قصد غير الله إنما هو بسبب جهله بأسماء الله وصفاته؛ **ولذا قال ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ما تظاهر المرائي إلى الخلق بعمله إلا بجهله بعظمة الخالق »[١].

تاسعًا: التلذذ بالعبادة:

إنَّ من أعظم المنح الربانية منحةَ التلذذ بالعبادة، فإذا قام العبد بالعبادة وجد لها من اللذة كما يجد المتذوقُ طعم الحلاوة في فمه، ووجد في قلبه من الأنس والانشراح والسعادة ما لا يجده في وقت آخر، وحينئذ تكون العبادة راحةَ نفسه وطرب قلبه، فيكون لسان حاله: أرِحْنا بالعبادة يا بلال، كما كان النبي ﷺ يقول في الصلاة: « قم يا بلال فأرحنا بالصلاة »[٢]، فتكون الصلاة لما فيها من القرب لله، والمناجاة له، والتلذذ بكلامه، والتذلل له، والتعبد بأسمائه؛ قرة العين وسلوة الفؤاد، ولذا كان النبي ﷺ يقول: « وجعلت قرة عيني في الصلاة »[٣].

---

(١) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها - ضمن مجموعة رسائل لابن رجب - (ص: ٥٣).

(٢) سنن أبي داود (٤٩٨٦)؛ قال الزيلعي في (تخريج الكشاف): إسناده على شرط البخاري (١/ ٦٣).

(٣) المسند للإمام أحمد (٣/ ١٢٨)، وسنن النسائي (٧/ ٦١)، والمستدرك للحاكم (٢/ ١٧٤) وقال: صحيح على شرط مسلم.

ومن الآيات التي ورد فيها ذكر الأسماء والصفات ما يأتي:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة: ٢٢].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾، أندادًا: جمع نِدّ، والند هو النظير أو الشبيه. وأي عقل فيه ذرّة من فكر يبتعد عن مثل هذا، فلا يجعل لله تعالى شبيهًا ولا نظيرًا ولا يُشَبِّهُ بالله تعالى أحدًا. فالله واحد في قدرته، واحدٌ في قوته، واحد في خلقه. واحد في ذاته، وواحد في صفاته.

ولا توجد مقارنة بين صفات الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وصفات الخلق، والله خلق لكل منا عقلًا يفكر به، لو عرضت هذه المسألة على العقل لرفضها تمامًا، لأنها لا تتفق مع عقل أو منطق، ولذلك يقول الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي: تعرفون هذا جيدًا بعقولكم لأن طبيعة العقل ترفض هذا تمامًا »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١/ ١٨٩-١٩٠).

- السميع، البصير:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ له مناسبته هنا، فلما تكلم الحق سبحانه عن الأزواج في كل شيء؛ أراد سبحانه أن ينزِّهَ ذاتَه تعالى عن هذه المسألة، فقال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾، ولنفي المماثلة نقول: ليس مثلَه شيء... إذًا الأسلوب هنا في نفي المثلية أن يقول: ليس مثلَه شيء، إنما أراد سبحانه أن يؤكد هذه المسألة ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ يعني: لو كان هناك مثل لله لا يكون له شبه، فكيف بالله تعالى؟!. وكلمة ﴿شَيۡءٞ﴾ تُطلق على جنس الأجناس، يعني: كلُّ ما يُقال له شيء، كلُّ: ما يُطلَق عليه شيء ليس كمثله.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾: أتى هنا بصفتين شركة بين الحق سبحانه وبين خلقه، فأنت تسمع والله يسمع، وأنت تبصر والله يبصر، لكن ينبغي أن نأخذ هذه الصفات لله تعالى في إطار ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ فليس السمع كالسمع، وليس البصر كالبصر. معنى ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾؛ أي: للأصوات، ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾: للمرئيات.

ثم قال: وهذه الآية ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ تُعلِّمنا كيف ننزِّهُ اللهَ تعالى عن كل شبيه أو نظير أو مثيل، وتُعلِّمنا أن نأخذ كلَّ وصفٍ مشترَك بين الحق وبين الخلق في هذا الإطار الإيماني»[1].

- يرى الباحث أن الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وافق السلف - من أهل السنة والجماعة - في إثبات هاتين الصفتين لله تعالى - وهما السمع والبصر-؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

---

(١) «تفسير الشعراوي» (٢٢/ ١٣٧١٨-١٣٧٢٠).

- الأسماء والصفات التي تحدث عنها الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ من آية الكرسي: (الله، الحيّ، القيوم، العلم، الإحاطة، السِنة، النوم، العلي، العظيم):

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾[البقرة: ٢٥٥].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « إنَّ كلمة ﴿ ٱللَّهُ ﴾ هي عَلَمٌ على واجب الوجود. وعندما نقول: « الله » فإن الذهن ينصرف إلى الذات الواجبة الوجود.

ما معنى « واجبة الوجود »؟ إن الوجود قسمان: قسم واجب، وقسم ممكن. والقسم الواجب هو الضروري الذي يجب أن يكون موجودًا، والحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حين أعلمنا باسمه ﴿ ٱللَّهُ ﴾ أعطانا فكرة على أنَّ كلمة ﴿ ٱللَّهُ ﴾ هذه يتحدى بها سبحانه أن يُسمى بها سواه. ولو كنا جميعًا مؤمنين لكان احترامنا لهذا التحدي نابعًا من الإيمان. ولكنْ هنا كافرون بالله ومتمردون وملحدون يقولون: « الله خرافة »، ومع ذلك هل يجرؤ واحد من هؤلاء أن يسمي نفسه ﴿ ٱللَّهُ ﴾؟، لم يفعل أحد هذا؛ لأن الله تحدى بذلك، فلم يجرؤ واحد أن يدخل في هذه التجربة. وعدم جرأة الكفار والملاحدة في أن يدخلوا في هذه التجربة دليل على أن كفرَهم غيرُ وطيدٍ في نفوسهم، فلو كان كفرُهم صحيحًا لقالوا: سنسمي ونرى ما يحدث، ولكن هذا لم يحدث.

إذن ﴿ ٱللَّهُ ﴾؛ علم واجب الوجود المتصف بكل صفات الكمال.

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رحمه الله في اسم (الله) صحيح؛ لكنه استخدم جملَ وكلماتِ ومصطلحاتِ أهل الكلام، فهذا الاسم ذكر بعض أهل العلم أنه اسم الله الأعظم.

ولهذا الاسم خصائص منها: أنه الأصل لجميع الأسماء الحسنى، وسائرُ الأسماء مضافةٌ إليه ويوصف بها؛ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف: ١٨٠].

ومن خصائصه أنه الاسمُ الذي اقترنَت به عامَّةُ الأذكار المأثورة؛ كالتهليل والتكبير والتحميد وغيرها.

ومن خصائصه أنه أكثر أسماء الله الحسنى ورودًا في القرآن.

ثم قال الشعراوي رحمه الله: « ولله أسماء كثيرة كما روي في الحديث[(١)] عن رسول الله ﷺ حين سأل الله بكل اسم هو له أنزله في كتابه، أو علَّمَه أحدًا من خلقه - أي خصّه به -، أو استأثر به في علم الغيب عنده، فلا تظننَّ أن أسماء الله هي كلها هذه الأسماء التي نعرفها، ولكن هذه الأسماء هي التي أذن الله سبحانه وتعالى بأن نعلمها.

ومن الجائز، أو من لفظ الحديث نعلم أن الله قد يُعلّم بعضًا من خلقه أسماء له، ويستأثر لنفسه بأسماء سنعرفها يوم القيامة حين نلقاه، وحين نتكلم عن الأسماء

---

(١) إشارة إلى حديث: « اللهمَّ إنِّي عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكلِّ اسمٍ هو لك سمَّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همِّي »؛ المسند؛ للإمام أحمد، (٦/ ٢٤٧)، برقم (٣٧١٢)، ورقم (٤٣١٨)؛ والحاكم، (١/ ٥٠٩)، وحسنه الحافظ ابن حجر في تخريج الأذكار، وصححه الألباني في تخريج الكلم الطيب، (ص:٧٣).

الأخرى نجد أنها ملحوظ فيها الصفة، ولكنها صارت أسماءً لأنها الصفة الغالبة، فإذا قيل: « قادر » نجد أننا نستخدم هذه الكلمة لوصف واحد من البشر، ولكن « القادر » إذا أطلق انصرف إلى القادر الأعلى وهو الله. وكذلك « السميع »، و« البصير »، و« العليم ».

إننا نجد أن بعضًا من أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له مقابل، ومن أسماء الله الحسنى ما لا تجد له مقابلًا. فإذا قيل « المحيي » تجد « المميت »، و« المعز » تجد « المذل »، لأنها صفة يظهر أثرها في الغير، فهو مميت لغيره، ومعزّ لغيره، ومذل لغيره، لكن الصفة إن لم يوجد لها مقابلٌ نسميها صفة ذات، فهو « حي » ولا نأتي بالمقابل، إنما « مُحيي » نأتي بالمقابل وهو « المميت »، فهذه اسمها صفةُ فِعْل[1].

فصفات الفعل يتصف بها وبمقابلها لأنها في الغير، لكنّ صفة الذات لا يتصف إلا بها ».

ثم قال: « و﴿ٱلۡحَيُّ﴾ هو أول صفة يجب أن تكون لذلك الإله، لأن القدرة بعد الحياة، والعلم بعد الحياة. فكل صفة لا بد أن تأتي بعدها الذكر، وإلا فليست صفةٌ من صفاتِ الله أسبقَ من صفة ولا متقدمةً عليها، فكلها قديمة لا أول لها، فلو كان عدمًا فكيف تأتي الصفات على العدم؟ وكلمة « حيّ » عندما نسمعها نقول: ما هو الحي؟.

---

(١) الصحيح أن: « المحيي » و« المميت »، و« المعز » و« المذل »؛ ليست من الأسماء الحسنى، وإنما هي من باب الإخبار عن صفات الله تعالى.

إن الفلاسفة قد احتاروا في تفسيرها؛ فمنهم من قال: الحيّ هو الذي يكون على صفة تجعله مُدرِكًا إن وُجِدَ ما يُدرَك. كأن الفيلسوف[1] الذي قال ذلك: يعني بالحياة حياتنا نحن، وما دوننا كأنه ليس فيه إدراك.

ونقول لصاحب هذا الرأي: لا، إن أردت الحياة بالمعنى الواسع الدقيق فلا بد أن تقول: الحياة هي أن يكون الشيء على الصفة التي تبقى صلاحيته لمهمته، هذا هو ما يجب أن يكون عليه التعريف، فـ﴿ ٱلۡحَيُّ ﴾ هو الذي يكون على صفة تبقى له صلاحيته لمهمته[2].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صفة (الحيّ) لله؛ ملخصه أنه أثبت لله صفة الحياة، وأنها ليست كحياتنا، وأنها أولُ صفة يجب أن تكون لذلك الإله، وغير ذلك، ثم قال: « إن هذا هو ما يجب أن يكون عليه التعريف، فـ﴿ ٱلۡحَيُّ ﴾ هو الذي يكون على صفة تُبقى له صلاحيته لمهمته »، والأفضل أن يقول: إنها صفة لله وإنها حياة كاملة ليست مسبوقة بعدم ولا يلحقها زوال وفناء، ولا يعتريها نقص وعيب؛ حياة تستلزم كمال صفاته من علمه وسمعه وبصره وقدرته وإرادته ورحمته وفعله ما شاء، إلى غير ذلك من صفات كماله.

ثم قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ﴿ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ والقيوم هو صفة مبالغة في قائم. ومثلها قولنا: « الله غفور » لكن ألا يوجد غافر؟ يوجد غافر، لكن « غفور » هي صفة مبالغة.

---

(١) الفلسفة هي كلمة مشتقة من اللفظ اليوناني (فيلسوفيا)، دخلت اللغة العربية في عصر الترجمة؛ ومعناها: محبة الحكمة، أو طلب المعرفة، أو البحث عن الحقيقة.

(٢) تفسير الشعراوي (٢/ ١٠٩٢).

وقد يقول قائل: هل صفات الله فيها صفة قوية وأخرى ضعيفة؟ نقول: لا، فصفات الله لا يصح أن توصف بالضعف أو بالقوة، صفات الله نظام واحد... والحق هنا يقول: « قيوم » وهذه صفة مبالغة من قائم، فالأصل فيها: القائم على أمر بيته، والقائم على أمر رعيته، والقائم على أمر المدرسة، والقائم على أمر هذه الإدارة، ومعنى قائم على أمرها: أنه متولي شئونها، فكأن القيام هو مظهر الإشراف. فنحن لا نقول: « قاعد على إدارتها ». وعندما نقول « قيوم » فمعناها أنه أوسع في القيام. كيف جاء هذا الاتساع؟ لأن القائم قد يكون قائمًا بغيره، لكن حين يكون قائمًا بذاته، وغيرُه يستمِدُّ قيامَه منه، فهو قائم على كل نفس، وهو سبحانه القائل: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٣٣]...

إنَّ الحق سبحانه قائم بذاته، وقائم على غيره، والغير إن كان قائمًا إنما يستمد منه القيام، فلا بد أن يكون « قيومًا »، ومن قيوميته أنه ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ ».

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ في صفة « القيوم » جميل ومفيد، ولا إشكال فيه عقائديًا؛ والله أعلم، فأهل السنة أثبتوا لله اسم « القيوم » لأن فيه إثبات القيومية صفةً لله، وهي كونه قائمًا بنفسه مقيمًا لخلقه؛ فهو اسم دال على أمرين:

الأول: كمال غنى الرب سبحانه؛ فهو القائم بنفسه الغني عن خلقه.

الثاني: كمال قدرته وتدبيره لهذه المخلوقات؛ فهو المقيم لها بقدرته، وجميع المخلوقات فقيرة إليه.

فائدة: « الحيّ، القيوم » اسمان وردا في القرآن مقترنين في ثلاثة مواضع؛ أولها في آية الكرسي في سورة (البقرة)، والثاني في أول سورة (آل عمران)، والثالث في سورة (طه) آية (١١١)، ولهذا ذهب بعض أهل العلم إلى أنهما اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: « فإنَّ صِفَةَ الحيَاةِ مُتضَمِّنةٌ لجمِيعِ صِفاتِ الكَمالِ، مُستَلزمَةٌ لهَا، وَصفَةُ القَيُّوميَّة مُتضَمِّنَةٌ لجمِيع صِفاتِ الأفعَالِ، ولهذَا كَانَ اسمُ اللَّه الأَعظَمُ الَّذي إذَا دُعيَ به أجابَ، وإذَا سُئلَ به أعطَى: هوَ اسمُ الحيِّ القَيُّوم »[1].

ثم قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « وهو سبحانه ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾: و« السِّنَةُ » هي أول ما يأتي من النعاس؛ أي: النوم الخفيف... ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ أتريدون تطمينًا من إله لمألوه، ومن معبود لعابد، ومن خالق لمخلوق أكثر من أنه يقول للعابد المخلوق: « نم أنت ملء جفونك، واسترح؛ لأن ربك لا ينام ». ماذا تريد أكثر من هذا؟ هو سبحانه يعلم أنه خلقك، وأنك تحتاج إلى النوم، وأثناء نومك فهناك أجهزة في جسمك تعمل. أإذا نمت وقف قلبك؟ أإذا نمت انقطع نفسك؟ أإذا نمت وقفت معدتك من حركتها الدورية التي تهضم؟ أإذا نمت توقفت أمعاؤك عن امتصاص المادة الغذائية؟ لا، بل كل شيء في دولابك يقوم بعمله. فمن الذي يُشرف على هذه العمليات لو كان ربك نائما؟. إذن: فأنت تنام وهو لا ينام.

وبالله هل هذه عبودية تُذلنا أو تُعزنا؟ إنها عبودية تُعزنا؛ فالذي نعبده يقول: ناموا أنتم؛ لأنني لا تأخذني سنة ولا نوم. وإياك أن تفهم أنه لا تأخذه سنة ولا

---

(١) « زاد المعاد في هدي خير العباد » لابن القيم (٤/ ١٨٧).

نوم، وأن شيئًا في كونه يخرج على مراده، لا؛ لأن كل ما في السماوات والأرض له، فلا شيء ولا أحد يخرج عن قدرته، ولذلك يقول الحق: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ».

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

ثم قال الشعراوي رَحِمَهُ اللهُ: « ويقول الحق: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾. ساعة يتعرض العلماء إلى: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يشرحون لنا أن ما بين اليدين، أي: ما أمامك، وما خلفك، أي: ما وراءك، وما بين يدي الإنسان يكون: مواجهًا لآلة الإدراك الرائدة وهي العين، فهو أمر يُشهد.

والذي في الخلف يكون غيبًا لا يراه، كأن ما بين اليد يراد به المشهود، والذي في الخلف يراد به الغيب، فهو ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي يعلم مشهدَهم وغيبهم.

ويطلق « ما بين اليد » إطلاقًا آخر؛ إننا قد نسأل عمّا بين يديك، هل هو مواجِهٌ لك أو غير مواجه؟ فلو كان أمامك بشر، فهل هم قادمون إليك أو راحلون عنك؟

إنهم إن كانوا راحلين عنك فقد سبقوك وقد جئت أنت من بعدهم، ومن وراءك سيأتي من بعدك؛ أي: أن الحق سبحانه يخبرنا أنه يعلم الماضي والمستقبل، فمرة يعلم الحق ما بين أيديهم، أي: العالم المشهود ويسمونه « عالم الملك »، وما خلفهم، أي: الغيب، ويسمونه «عالم الملكوت». إنه يعلم المشهود لهم والخفي عنهم. وكما يقول الحق: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ

﴿ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، إن عند الله علم جميع الغيب ويحيط علمه بكل شيء، ولا تخفى عليه خافية. إنها إحاطة من كل ناحية. ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ ﴾. إنَّه الحق يعلم مطلق العلم ».

ثم قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويقول سبحانه: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾، و« العلم » هو الصفة التي تعلم الأشياء على وفق ما هي عليه، هذا هو العلم. وصفةُ الله وعلمهُ أعظم من أن يحاط بهم، لأنها لو أحيطت لحددت، وكمالات الله لا تحدد، مثلما ترى شيئًا يعجبك فتقول: هذه قدرة الله، هل هي قدرة الله أو مقدور الله؟ إنها مقدور الله؛ أي: أثر القدرة، فعندما يقول: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ ﴾ أي: من معلومه.

« ويحيطون » هي دقة في الأداء، لأنك قد تدرك معلومًا من جهة وتجهله من جهات، فأوضح سبحانه: أنك لا تقدر أن تحيط بعلم الله أو قدرته؛ لأن معنى الإحاطة أنك تعرف كل شيء، مثل المحيط على الدائرة، لكن ذلك لا يمنع أن نعلم جزئية ما، ونحن نعلم بما آتانا الله من قوانين الاستنباط، فهناك مقدمات نستنبط منها نتائج، مثل الطالب الذي يحل مسألة جبر، أو تمرين هندسة، أيعلم هذه الطالب غيبًا؟ لا، ولكنه يأخذ مقدمات موضوعة له ويصل إلى نتائج معروفة سلفًا لأستاذه. وأنت لا تحيط بعلم إلا بما شاء لك الله أن تحيط، ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ ﴾.

وقول الله: ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ هو إذن منه سبحانه بأنه سيتفضل على خلقه بأن يشاء لهم أن يعلموا شيئًا من معلومه، وكان هذا المعلوم خفيًا عنهم ومستورًا في أسرار الكون، ثم يأذن الله للسر أن ينكشف، وكل شيء اكتشفه العقل البشري، كان مطمورًا في علم الغيب وكان سرًا من أسرار الله، وبعد ذلك أَذِنَ اللهُ للسر أن ينكشف فعرفناه، بمشيئته سبحانه »[1].

كلام الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ عن الكرسي:

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « فإذا قال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ نقول: هو قال هذا، وما دام قال هذا فسنأخذ هذه الكلمة في إطار ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فلا تقل له كرسي وسيقعد عليه مثلنا، لا، لقد وجدنا من قال: أين يوجد الله؟! متى وجد؟، وقلنا ونقول: « متى » و« أين » لا تأتي بالنسبة لله، إنها تأتي بالنسبة لكم أنتم، لماذا؟ لأن « متى » زمان و« أين » مكان. والزمان والمكان ظرفان للحدث، فالشيء الحادث هو الذي له زمان ومكان... إذًا فما دام الله ليس حدثًا، فإياك أن تقول فيه متى، وإياك أن تقول فيه أين، لأن « متى » و« أين » وليدة الحدث ».

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ بعدم جواز السؤال عن الله بـ(أين) فهذا لا يصح، وهو من أقوال الأشاعرة، وقد ثبت هذا عن رسول الله ﷺ؛ فعَن مُعاويَةَ بن الحكَم السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: وكَانَت لي جاريَةٌ ترعَى غَنمًا لي قِبلَ أُحُدٍ والجَوَّانيَّةِ، فاطَّلعتُ ذَات يومٍ فإذَا الذِّيبُ قد ذهبَ بشاةٍ مِن غنمهَا،

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٢/ ١٠٨٦-١١٠٠).

وأنَا رجُلٌ من بني آدمَ، آسفُ كما يأسَفُون، لكنِّي صككتُهَا صكَّةً، فأتَيتُ رسُولَ الله ﷺ فعَظَّمَ ذلكَ عليَّ، قلتُ: يا رسُولَ الله أفلَا أُعتِقُهَا؟ قالَ: « ائتنِي بهَا » فأتَيتُهُ بهَا، فقَالَ لهَا: « أينَ اللهُ؟ » قالَت: في السَّمَاء، قالَ: « مَن أنَا؟ » قالَت: أنتَ رسُولُ الله، قالَ: « أعتِقهَا، فإنَّهَا مؤمنَةٌ »[1].

ثم قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « وقول الحق: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ﴾ نأخذه كما قلنا في إطار ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾، الكرسي: في اللغة من الكِرس. والكِرسُ هو: التجميع، ومنه الكراسة وهي عدة أوراق مجمعة، وكلمة « كرسي » استعملت في اللغة بمعنى الأساس الذي يُبنى عليه الشيء، فمادة « الكرسي » (الكاف والراء والسين) تدل على التجميع وتدل على الأساس الذي تثبت عليه الأشياء؛ فنقول: اصنع لهذا الجدار كرسيًّا، أي ضع لهذا الجدار أساسًا يقوم عليه. وتطلق أيضًا على القوم والعلماء الذين يقوم بهم الأمر فيما يشكل من الأحداث، والشاعر العربي قال: « كراسي في الأحداث حين تنوب » أي: يعتمد عليهم في الأمور الجسيمة.

وحين يُنسب شيء من ذلك للحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإن السلف لهم فيها كلام والخلف لهم فيها كلام ».

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا في صفات الله أن السلف لهم فيها كلام والخلف لهم فيها كلام مخالف للسلف؛ هذا غير صحيح، فإن

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٣٨١).

الذي خالف السلف هم الأشاعرة[1]، والماتريدية[2]، أما الخلف من شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره إلى عصرنا هذا لم يخالفوا السلف.

ثم قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « والسلف يقولون: كما قال الله نأخذها ولكن نضع كيفيتها وتصورها في إطار ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

وبعضهم قال: نؤولها بما يُثبت لها صفة من الصفات، كما يثبتون قدرة الحق بقوله الحكيم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[الفتح: ١٠]. أي: أن قدرة الله فوق قدرتهم، وكما قال سبحانه عن قدرته في الخلق: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[الذاريات: ٤٧].

---

(١) الأشاعرة: هم فرقة كلامية نشأت بعد القرون الثلاثة المفضلة وتنسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، المولود سنة (٢٥٠هـ وقيل ٢٧٠هـ)، والمتوفى سنة (٣٣٠هـ) على الأرجح. وكان له ثلاثة أطوار في الاعتقاد:

الطور الأول: على مذهب المعتزلة الذي تركه عام (٣٠٠) تقريبًا.

الطور الثاني: على مذهب الكلابية نسبة إلى سعيد بن كلاب الذي كان على مذهب أهل السنة في الاعتقاد ثم تعلم علم الكلام ليجادل ويناقش المعتزلة، وفعلًا هزمهم، لكن النتيجة أنه غيَّر عقيدته. والأشاعرة هم على اعتقاد أبي الحسن الأشعري في طوره الثاني أي أنهم كلابية.

الطور الثالث: على مذهب أهل السنة فقد ترك المذهب الكلابي، وهو الذي كتب كتبه الأخيرة عليه مثل الإبانة عن أصول الديانة وكتابه المقالات، وكتابه رسالة إلى أهل الثغر.

(٢) الماتريدية: هم اتباع أبي منصور محمد الماتريدي أصله من ماتريد منطقة من نواحي سمرقند وقد توفي سنة (٣٣٣هـ) وكان على المذهب الحنفي في الفقه، وكان معاصرًا للأشعري، وقد اتحد معه في الهدف في محاربة المعتزلة ومجادلتهم عن طريق علم الكلام، وكان يلقب فيها وراء النهر بإمام السنة، وكان في الاعتقاد أقواله قريبة جدًا من أقوال الأشاعرة، ويأخذ بمذهبه أكثر الأحناف، ونشأت الماتريدية بعد القرون المفضلة، وانتشرت في بلاد الشرق كما انتشرت الأشعرية في بلاد المغرب. وللماتريدية مؤلفات من أهمها كتاب التوحيد وهو أهم مصدر للتعرف على العقيدة الماتريدية وكتاب تأويلات القرآن.

إنَّ كمالَ قدرة الله أحكمَتْ خلق السماء، والحق سبحانه مقدس وَمُنَزَّهٌ عن أن يتصور المخلوق كلمة « يد » بالنسبة لله. ونحن نقول: الله قال ذلك، ونأخذها من الله؛ لأنه أعلم بذاته وبنفسه، ونُحيلها إلى ألاَّ يكون له شبيه أو نظير، كما أثبتنا لله كثيرًا من الصفات، في خلق الله مثلها ومع ذلك نقول: علمُه لا كعِلْمِنا، وبصرُه لا كبَصَرِنا، فلماذا يكون كرسيُّه مثل كرسِيّنا؟. فتكون في إطار ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

والعلماء قالوا عن الكرسي: إنه ما يُعتمد عليه، فهل المقصود علمه؟ نعم. وهل المقصود سلطانه وقدرته؟ نعم، لأن كلمة « كرسي » توحي بالجلوس فوقه، والإنسان لا يجلس عن قيام إلا إذا استتب له الأمر، ولذلك يسمونه « كرسي الملك »؛ لأن الأمر الذي يحتاج إلى قيام وحركة لا يجعلك تجلس على الكرسي، فعندما تقعد على الكرسي، فمعنى ذلك أن الأمر قد استتب، إذن فهو بالنسبة لله السلطان، والقهر، والغلبة، والقدرة ».

- يرى الباحث أن الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يُوافق السلف في إثبات صفة (الكرسي)، فإنّه أثبته على مذهب الأشاعرة بأن المقصود وسع علمه ووسعت قدرته، فأوّل (الكرسي) بالسلطان، والقهر، والغلبة، والقدرة؛ وهذا باطل، والصواب أنه مخلوق حقيقي، وهو موضع قدمي الله تعالى؛ وهذا هو قول عدد من الصحابة وكذا التابعين، وهو معتقَدُ السلف الصالح؛ **قال ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: « الكرسي موضِعُ القدَمين، والعرشُ لا

يقدر أحد قدره »[1]، **وقال أبو موسى الأشعري** ﷺ: « الكرسي موضع القدمين، وله أطيط كأطيط الرحل »[2].

ثم قال الشعراوي رحمه الله: « أو نقول: ما دام قال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ فوسع الشيء، أي: دخل في وسعه واحتماله. « والسماوات والأرض » نحن نفهمها أنها كائنات كبيرة بالنسبة لنا، إنه سبحانه يقول: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: ٥٧].

وعندما يقول: إن الكرسي وسع السماوات والأرض، إذن؛ فهو أعظم من السماوات والأرض، أي: دخل في وسعه السماوات والأرض.

ولذلك **يقول أبو ذر الغفاري** ﷺ: سألت النبي ﷺ عن الكرسي فقال: « يا أبا ذر ما السماوات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة »[3].

ثم قال الشعراوي رحمه الله: إنَّ الحق يقول: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾، ومعنى آدَهُ الشيءُ، أي: أثقله... إذًا فمعنى ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ أي: أنه لا يثقل على الله حفظُ السماوات والأرض.

ثم قال: إنّ الحق سبحانه وتعالى يعطينا تذييلًا منطقيًا يقتضيه ما تقدمت به الآية الجليلة: آية الكرسي، إنه الحق يقول: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ وكلمة « عليّ » صيغة مبالغة في العلو. و« العليّ » هو الذي لا يوجد ما هو أعلى منه، فكل شيء دونه.. وهو العليّ فلا أعلى منه، وهو العظيم بمطلق العظمة.

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في « السنة » (١/ ٣٠١).

(٢) صححه الشيخ الألباني في « مختصر العلو » (١٢٤).

(٣) أخرجه ابن حبان، وضعفه الألباني في « الضعيفة » (١٩١٠ و٦٠٩٠).

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل، ولا إشكال فيه عقائديًا؛ فهو في إثبات أسماء لله - « العلي، والعظيم » - التي تدل على علوه المطلَقِ من جميع الوجوه والاعتبارات؛ فهو « العلي » علو ذات قد استوى على العرش، وعلا على جميع الكائنات وباينها؛ قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وهو « العلي » علو قدر؛ وهو علو صفاته وعظمتها، فإن صفاته عظيمة لا يماثلها صفة أحد، وهو « العلي » علو قهر؛ حيث قهر كل شيء، ودانت له كل الكائنات بأسرها.

وأما « العظيم » له وجهان: **أحدهما**: يرجع إلى صفاته وأن له جميع معاني العظمة والجلال.

والثاني: أنه لا يستحق أحد التعظيم غيره؛ فيجب على العباد أن يعظموه بقلوبهم وألسنتهم وأعمالهم. ومن تعظيمه أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر.

ثم قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « إذًا هي آية قد جمعت قدرًا كبيرًا من أسماء الله، ومن ذلك جاءت عظمتها. وهذه الآية الكريمة قد بيّنت ووضحت قواعد التصور الإيماني، وأنشأت عقيدة متكاملة يعتز المؤمن أن تكون هذه العقيدة عقيدته.

والآية في ذاتها تتضمن حيثيات الإيمان، إنه ما دام هو الله لا إله إلا هو، وما دام هو الحيّ القيوم على أمر السماء والأرض، وكل شيء بيده، وهو العلي العظيم، فكل هذه مبررات لأن نؤمن به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن نعتز بأن نعتقد هذه المعتقدات، وتكون هي الدليل على أن المؤمن فخور بهذا الدين الذي كان أمرُ الألوهية المطلقة واضحًا وبيّنًا فيه »[1].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٢/ ١١٠٣-١١١١).

- **الحق، العلي، الكبير:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[الحج: ٦٢].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ذلك﴾ أي الكلام السابق أمر معلوم انتهينا منه ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ والحق: هو الشيء الثابت الذي لا يتغير أبدًا، فكُلُّ ما سِوى الله يتغير، وهو سبحانه الذي يُغيِّر ولا يتغير؛ ولذلك أهل المعرفة يقولون: إن الله تعالى لا يتغير من أجلكم، لكن يجب عليكم أن تتغيروا أنتم من أجل الله».

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ وكلامه على اسم الله **(الحق)**؛ ومعناه: الذي لا شك فيه ولا ريب؛ لا في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في ألوهيته؛ فهو المعبود بحق ولا معبود بحق سواه، وفي الحديث: «ولَكَ الحَمدُ، أَنتَ الحَقُّ، ووَعدُكَ حَقٌّ، وقَولُكَ حَقٌّ، ولقَاؤُكَ حَقٌّ...»[1].

ثم قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾؛ العليّ يعني: كل خَلقه دونه، وكبير يعني: كل خَلقه صغير.

ومن أسمائه تعالى ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ ولا نقول أكبر إلا في الأذان، وفي افتتاح الصلاة، والبعض يظن أن أكبر أبلغ في الوصف من كبير، لكن هذا غير صحيح؛ لأن أكبر مضمونه كبير، إنما كبير مقابله صغير، فهو سبحانه الكبير؛ لأن ما دونه وما عداه صغير»[2].

---

(١) صحيح البخاري (٨/ ٧٠).

(٢) «تفسير الشعراوي» (١٦/ ٩٩٠٧-٩٩٠٨).

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، لكن ليته أضاف أنه «العلي» علو ذات، وهو «العلي» علو قدر، وهو «العلي» علو قهر.

وأما «**الكبير**»: فهو الكبير بصفاته، و«الكبير» بذاته، وأنه أكبر من كل شيء، وأن كل شيء مهما كبر فإنه يصغر عند كبرياء الله وعظمته.

- القوي، العزيز:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾: هذا خطاب لمحمد ﷺ تسلية وتسرية عنه وتقوية لعزمه، فالحق سبحانه مقتدر يأخذ كل كافر، ولا يغلبه أحد ولا يعجزه شيء، وفي هذا إنذار لمن كفروا برسالة رسول الله ﷺ»[(١)].

وقال: «وكلمة «العزيز» تفيد الغلبة والقهر فلا يستطيع أحد أن يعلو عليه...»[(٢)].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، لكنه لم يذكر معنى اسم الله «القوي»؛ أي الذي لا يعجزه شيء، ولا يغلبه غالب، ولا يرد قضاءه رادٌّ؛ ومن شواهد قوته نصرُه لأنبيائه وتأييدُه لأوليائه، وأن إيمان العبد بهذا الاسم يثمر فيه انكسارًا بين يدي الله، وخضوعًا لجنابه، وخوفًا منه سبحانه.

---

(١) «تفسير الشعراوي» (١١/ ٦٥٤٣).

(٢) «تفسير الشعراوي» (٦/ ٣٨١٣).

وأما كلامه في اسم الله « العزيز » مفيد، ومعنى « **العزيز** »: أي الذي له جميع معاني العزة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يونس: ٦٥].

- التواب، الرحيم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾: كلمة (تواب) تدل على أن الله تعالى لا يأخذ عبادَه بذنب واحد؛ لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حتى لو تاب عن ذنب واحد لكل عبد من عباده كان توابًا. والمبالغة في الصفة تأتي من ناحيتين:

أولًا: أن الأمر يتكرر عدة مرات من عدد قليل من الأشخاص، أو من شخص واحد. أو أن الأمر يقع مرة واحدة ولكن من أشخاص كثيرين... كلمة تواب تدل على أنه يُضْبَط بعد مرتين أو ثلاث، فالله يستر عبده مرة ومرة، ولكن إذا ازداد وتمادى في المعصية، يُوقِفُه الله عند حدِّه، وهذا هو معنى تواب.

والحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تواب برحمته؛ لأن هناك من يعفو ويظل يَمُنُّ عليك بالعفو؛ حتى إنّ المعفو عنه يقول: ليتك عاقبتني ولم تمن علي بالعفو كل ساعة، لكن الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تواب رحيم، يتوب على العبد، ويرحمه فيمحو عنه ذنوبه »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١/ ٢٧٥-٢٧٦).

ومعنى « **التواب** »: هو الذي يتوب على من يشاء من عباده؛ بالتوفيق للتوبة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]، و« **الرحيم** »: دائمًا ما تأتي مقرونة بـ« الرحمن »؛ وكل منهما دال على ثبوت الرحمة صفة لله، فـ « **الرحمن** »: أي الذي الرحمةُ وَصْفُه، و« **الرحيم** »: أي الراحم لعباده.

- البرُّ، الرحيم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « و﴿ٱلۡبَرُّ﴾ واسع الكرم والإحسان،﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ كثير الرحمة بخلقه تعالى؛ لأنه ربهم وخالقهم والمتكفِّل بهم، خلقهم من عدم وأمدّهم من عدم، ولم يُكلِّفهم إلا بعد البلوغ واستواء العقل إلى غير ذلك من النعم »[(١)].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، وعرّف صفة (البر) بواسع الكرم والإحسان، وقد ورد في القرآن الكريم في موضع واحد؛ وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾، ومعناه: أي الذي شمل الكائناتِ بأسرها ببَرِّه ومَنِّه وعطائه، وبَرُّه سبحانه بعباده نوعان: عام، وخاص؛ فالعام: وسع الخلق كلهم، والخاص: هو هدايته من شاء منهم لهذا الدين القويم.

وأما « **الرحيم** » فقد مرّ معنا الكلام عليه.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٢٣/ ١٤٦٤٧).

- **الحقّ، المُبين:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾[النور: ٢٥].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ثم يقول تعالى: ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾: هو الشيء الثابت الذي لا يتغير، فكلُّ ما عدا الله تعالى مُتغير، إذن: فالله بكل صفات الكمال فيه سبحانه لا تغييرَ فيه، لذلك يقولون: إن الله تعالى لا يتغير من أجلنا، ولكن يجب أن نتغير نحن من أجل الله، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[الرعد: ١١].

فالله هو الحقُّ الثابت، هذا بالبراهين العقلية وبالواقع، وقد عرفنا الكثير من البراهين العقلية، أما الواقع فإلى الآن لم يظهر مَن يقول أنا الله ويدَّعي هذا الكون لنفسه، وصاحب الدعوى تثبت له إن لم يَقُم عليها معارض.

ومعنى ﴿ٱلْمُبِينُ ﴾: الواضح الظاهر الذي تشمل أحقيتُه الوجودَ كله »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

ومعنى « **الحق** »: الذي لا شك فيه ولا ريب؛ لا في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في ألوهيته؛ فهو المعبود بحق ولا معبود بحق سواه، ومعنى « **المبين** »: أي المبين لعباده سبيل الرشاد.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١٦/ ١٠٢٤٢).

- **المُتعال:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾[الرعد: ٩].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « وقول الحق سبحانه في وصف نفسه ﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾ يعني: أنه المُنزَّه ذاتًا وصفاتًا وأفعالًا؛ فلا ذات كذاته؛ ولا صفة كصفاته، ولا فعل كفعله، وكل ما له سبحانه يليق به وحده، ولا يتشابه أبدًا مع غيره »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

- **الوكيل:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[آل عمران: ١٧٣].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، لقد فطنوا إلى أن قوة الله هي التي تنصرهم، والله حسبهم وكافيهم عن أي عدد من الأعداد وهو نعم الوكيل، ومعنى « الوكيل » أنني عندما أعجز عن أمر أُوَكِّلُ أحدًا فهو وكيل عني، وعندما نوكلُ الله فيما عجزنا عنه فهو نعم الوكيل... »[2].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١٢/ ٧٢٣٤).

(٢) « تفسير الشعراوي » (٣/ ١٨٧٦).

و« **الوكيل** »: هو الكافي الكفيل، وهو عام وخاص؛ أما العام: يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢]؛ أي: المتكفل بأرزاق جميع المخلوقات والقائم بتدبير شؤونهم، والخاص: يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾؛ أي نعم الكافي لمن التجأ إليه، وهو خاص لعباده المؤمنين.

- عالم الغيب والشهادة، الحكيم، الخبير:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ٧٣].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وكلمة ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ تشرح لنا أنه سبحانه ما دام عالم الغيب فمن باب أولى أنه يعلم المشهود. وهذا تعبير دقيق، فهو يعلم الغيب ويعلم الشهادة، وعلمُه يترتب عليه جزاء، لا عن تحكم، ولكن عن حكمة. ويذيل الحق الآية بقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ و(الحكيم) هو الذي يضع كل أمر في مكانه، و(الخبير) هو من يعلم كل شيء بإحاطة تامة »[١].

- يرى الباحث أن كلام الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا مفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية، و« **الحكيم** »: يدل على كمال الحكم لله وكمال الحكمة، أما كمال الحكم لله: فهو يحكم بين عباده بما شاء، ولا راد لحكمه؛ ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾[الأعراف: ٨٧]، وكمال الحكمة: فبثبوت الحكمة له في خلقه وأمره وشرعه؛ حيث يضع الأشياء في مواضعها.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٦/ ٣٧٣٠-٣٧٣١).

- **السميع، العليم:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: أي أنت يا رب السميع الذي تسمع دعاءنا وتسمع ما نقول. و«العليم»: بنيَّتِنا ومدى إخلاصنا لك؛ وإننا نفعل هذا العمل ابتغاءً لوجهك ولا نقصد غيرك ...»[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

ومعنى **(السميع)**: هو الذي يسمع جميع الأصوات على اختلاف اللغات، واستوى في سمعه سر القول وجهره؛ قال تعالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾ [الرعد: ١٠]، والسمع المضاف إلى الله ينقسم قسمين:

الأول: سمع يتعلق بالمسموعات؛ فيكون معناه: أدراك الصوت، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١].

الثاني: سمع بمعنى الاستجابة؛ أي: مجيب الدعاء، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وأما **(العليم)**: أي الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن؛ فلا يخفى عليه شيء ﴿وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [الأنعام: ٨٠].

---

(١) «تفسير الشعراوي» (١/ ٥٨٥-٥٨٦).

- **القادر:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٠].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وكلمة « قادر » تعني تمام التمكن وأنه لا قدرة ولا حيلة لأحد حيال قدرة الله؛ لأن الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يملي للقوم الظالمين ويمد لهم الأمر ثم يأخذهم بغتة بالعذاب... »(١).

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

و« **القادر** »: يدل على ثبوت القدرة صفة لله تعالى.

- **الواحد، القهار:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [الزمر: ٤].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ...نزّهوا الله عن اتخاذ الولد؛ لأنه ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾ الذي له كُلّ صفات الكمال، ﴿ٱلْوَٰحِدُ﴾ الذي ليس معه غيره، ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ أي: الذي لا يحتاج إلى عزوة، ولا يحتاج إلى مُعين »(٢).

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٦/ ٣٦٩٧).

(٢) « تفسير الشعراوي » (٢١/ ١٣٠٣٠).

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

فـ« **الواحد** »: يدل على أحدية الله، وأنه سبحانه هو المتفرد بصفات الجلال والكمال، واحد في ذاته لا شبيه له، وواحد في صفاته لا مثيل له، وواحد في أفعاله لا شريك له.

وأما « **القهار** »: صيغة مبالغة من القاهر، ومعناهما: الذي قهر جميع الكائنات، وذلَّتْ له جميعُ المخلوقات.

- المُقيت:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴾ [النساء: ٨٥].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ويختم الحق الآية: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴾ جاء هذا القول بعد الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة، وفي ذلك تنبيه لكل العباد: إيّاكم أن يظن أحدُكم أن هناك شيئًا مهما صغر يفلت من حساب الله، فلا في الحسنة سيفلت شيء، ولا في السيئة سيضيع شيء.

وأخذت كلمة « مُقيتًا » من العلماء أبحاثًا مستفيضة، فعالم قال في معناها: إن الحق شهيد، وقال آخر: « إن الحق حسيب »، وقال ثالث: إنَّ « مقيتًا » معناها « مانح القوت » ورابع قال: « إنه حفيظ » وخامس قال: « إنّه رقيب » .

ونقول لهم جميعًا: لا داعي للخلاف في هذه المسألة، فهناك فرق بين تفسير اللفظ بلازم من لوازمه وقد تتعدد اللوازم، فكل معنى من هذه المعاني قد يكون

صحيحًا... فهو مقيت بمعنى أنه يعطيهم ما يحفظ حياتهم، ومعناها أيضًا: المحافظ عليهم فهو الحفيظ. وبما أنه سبحانه يعطي القوت ليظل الإنسانُ حيًا، فهو مشاهِدٌ له فلا يغيب المخلوقُ عن خالقه لحظة، وبما أنه يعطي القوت للإنسان على قدر حاجته فهو حسيبٌ، وبما أنه يرقب سلوكَ الإنسان فهو يجازيه. إذًا كل هذه المعاني متداخلةٌ ومتلازمة... »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

- الواسع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾[النور: ٣٢].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « ﴿ **وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾؛ فعطاء الله دائم لا ينقطع؛ لأن خزائنه لا تنفد ولا تنقص، والإنسان يُمسِك عن الإنفاق؛ لأنه يخاف الفقر، أمّا الحق - تبارك وتعالى - فيعطي العطاء الواسع؛ لأن ما عنده لا ينفد »[2].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

فـ**(الواسع)**: معناه الواسع الصفات والنعوت؛ فهو سبحانه وسع كل شيء علمًا؛ قال تعالى: ﴿ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾[الأنعام: ٨٠]، ووسعت رحمته كل

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٤/ ٢٤٩٤).

(٢) « تفسير الشعراوي » (١٦/ ١٠٢٦٣).

شيء ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف: ١٥٦]، ورزقه ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾[النساء: ١٣٠].

- الغني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلْغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٦٨].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾؛ وسبحانه تعني: التنزيه، وهو الغني؛ أي: المستغني عن مُعِين، كما تستعينون أنتم بأبنائكم، وهو دائم الوجود؛ فلا يحتاج إلى ابن مثل البشر...»[1].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ **عند تفسير قوله تعالى:** ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [لقمان: ٢٦]: «فمعنى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ...﴾ فالله سبحانه هو الغنيُّ الغِنَي المطلق؛ لأنه خلق هذا الخَلق وهو غني عنه، ثم أعطاه لعبيده وجعله في خدمتهم، فكان من الواجب لهذا الخالق أن يكون محمودًا.

﴿ٱلْحَمِيدُ﴾؛ وحميد فعيل بمعنى محمود»[2].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

فـ«**الغني**»: هو الغني بذاته؛ الذي له الغنى المطلق من جميع الوجوه.

---

(١) «تفسير الشعراوي» (١٠/ ٦٠٧٢).

(٢) «تفسير الشعراوي» (١٩/ ١١٧١٩).

- **الحليم، الغفور:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ثم يُذيّل الحق سبحانه هذه الآية بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾: لأن الإنسانَ كثيرًا ما يغفِلُ الاستدلال بظواهر الكون وآياته دلالة الحال، فيقف على قدرة الله وبديع صُنعه، وكذلك كثيرًا ما يغفل عن تسبيح الله تسبيح المقالة؛ لذلك أخبر سبحانه أنه حليمٌ لا يعاجل الغافلين بالعقوبة، وغفور لمن تاب وأناب... »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية، فـ« **الحليم** »: الذي لا يعجل على عباده بعقوبتهم على ذنوبهم، ويحلم بهم، و« **الغفور** »: هو الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي.

- **اللطيف، العليم، الحكيم:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ١٠٠].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ويُذيِّل الحق سبحانه الآية الكريمة بقول يوسف: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾؛ فسبحانه هو المدير الذي لا تَخفى عليه

(١) « تفسير الشعراوي » (١٤/ ٨٥٦٧).

خافية أبدًا، وكلمة « لُطف » ضد كلمة « كثافة » فاللطيف هو الذي له جِرم دقيق، والشيء كلما لَطُف عَنُفَ؛ لأنه لا توجد عوائق تمنعه. ولا شيء يعوق الله أبدًا، وهو العليم بموقعِ وموضعِ كلِّ شيء، فهو يجمَعُ بين اللُّطْفِ والخبرة، فلُطفُه لا يقف أمامه أي شيء، ولا يوجد ما هو مستور عنه، ولا يقوم أمام مرادِهِ شيء، وسبحانه خبير بمواضع الأشياء، وعلمه سبحانه مُطلق، وهو حكيم يُجرِي كل حَدَث بمراد دقيق، ولا يضيف إليه أحد أيَّ شيء، فهو صاحب الكمال المطلق »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية. فـ« **اللطيف** »: له معنيان: **أحدهما**: بمعنى الخبير؛ وهو أن علمه دق ولطف حتى أدرك السرائر، و**الثاني**: الذي يوصل إلى عباده وأوليائه مصالحهم بلطفه وإحسانه من طرق لا يشعرون بها. و« **العليم** » و« **الحكيم** » سبق الكلام عليهما.

- الشّاكر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٧].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « فالله شاكر بمعنى أن البشر إن أحسنوا استقبال النعمة بوضع كل نعمة في مجالها؛ فلا تتعدى نعمة جادة على نعمة هازلة، ولا نعمة هازلة على نعمة جادة، فالله يرضى عن العباد.

(١) « تفسير الشعراوي » (١٢/ ٧٠٨٦).

ومعنى رضاء الله: أن يعطي البشر أشياء ليست من الضرورات فقط ولكن ما فوق ذلك. فسبحانه يعطي الضرورات للكل حتى الكافر، ويعطي سبحانه ما فوق الضرورات، وهي أشياء تسعد البشر.

إذًا: فمعنى أن الله شاكر: أي أن ﷻ راضٍ، ويثيب نتيجة لذلك ويعطي الإنسان من جنس الأشياء ويسمو عطاؤه، مصداقًا لقول الحق: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]؛ فالشكر هنا موجَّهٌ من العبد للرب، والزيادة من الرب إلى العبد... »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رحمه الله هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

ف « **الشاكر** »: هو الذي لا يضيع عنده عمل عامل؛ بل يضاعف الأجر بلا حساب.

- المُحيط:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩].

قال الشعراوي رحمه الله: « ثم يلفتنا الحق ﷻ إلى قضية هامة؛ وهي أن خوفهم من زوال متع الدنيا ونفوذها لن يفعل لهم شيئًا. لأن الله محيط بالكافرين، والإحاطة معناها: السيطرة التامة على الشيء بحيث لا يكون أمامه وسيلة للإفلات، وقدرة الله ﷻ محيطة بالكافرين وغير الكافرين »[2].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٥/ ٢٧٥٦-٢٧٥٧).

(٢) « تفسير الشعراوي » (١/ ١٧٩).

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رحمه الله هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

فـ« **المحيط** »: اسم دال على إحاطة الله بكل شيء؛ علمًا وقدرةً.

- الحفي:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم:٤٧].

قال الشعراوي رحمه الله: « ثم يقول: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾... وحَفيًا: من الفعل حَفِيَ يَحفيَ كرَضِي يرضى، ويأتي بعده حرف جر يُجدِّد معناها. تقول: حفيٌّ به: أي بالغَ في إكرامِه إكرامًا يستوعب متطلباتِ سعادته، وقابله بالحفاوة: أي: بالإكرام الذي يتناسب مع ما يُحقِّق له السعادة... »[١].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رحمه الله هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

فـ« **الحفي** »: أي الذي من صفاته أنه يحفى بعباده المؤمنين.

- القريب، المُجيب:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

قال الشعراوي رحمه الله: « ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾؛ فإن استغفر الإنسان، فالحق سبحانه قريب من كل عبد يستغفر عن ذنوب لا تمثل حقوقًا

(١) « تفسير الشعراوي » (١٥/ ٩١٠٥).

للناس، والله سبحانه وتعالى يجيب لطالب المغفرة »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رحمه الله هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

فـ« **القريب** »: قرب الله يدل على قربه من عباده المؤمنين قربَ صفاتٍ لا قربَ ذات.

واسم الله « **المجيب** »: يدل على أنه يسمع دعاء الداعين، ويجيب سؤال السائلين.

- العليم، القدير:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

قال الشعراوي رحمه الله: « وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ أي: أن هذا الخَلق ناشيء عن علم؛ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، لكن العلم وحده لا يكفي؛ فقد تكون عالمًا لكنك غير قادر على تنفيذ ما تعلم، كمهندس الكهرباء، لديه علم واسع عنها، لكنه لا يستطيع تنفيذ شبكة أو معمل كهرباء، فيذهب إلى أحد الممولين ليعينه على التنفيذ؛ لذلك وصف الحق سبحانه نفسه بالعلم والقدرة.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١١/ ٦٥٣١).

إذًا: هذا هو الدليل النفسي على الموجد الحق الفاعل المختار الذي يفعل الأشياء بعلم وقدرة، ولا يكلفه العمل شيئًا ولا يستغرق وقتًا؛ لأنه سبحانه يقول للشيء: كن فيكون... »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

فـ« **القدير** »: تدل على ثبوت القدرة صفة لله، وأنه سبحانه كامل القدرة، أما « **العليم** »: فسبق الكلام عليه.

- الحفيظ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكٍّۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴾ [سبأ: ٢١].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴾؛ حفيظ: صيغة مبالغة من الحفظ، فالله تعالى حفيظ على الكنوز وعلى الأرزاق وعلى العلم وعلى كل شيء، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴾ [الحجر: ٢١] وما دام الله تعالى هو الحفيظ؛ فلا أحد يستطيع أن يخل بهذه القضية »[2].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

فـ « **الحفيظ** »: يدل على أن الله موصوف بالحفظ، وهذا الوصف يتناول أمرين:

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١٨/ ١١٥٣٢).

(٢) « تفسير الشعراوي » (٢٠/ ١٢٣١١).

الأول: الحفظ بعلمه جميع المعلومات؛ فلا يغيب عنه شيء منها.

والثاني: أنه تعالى الحافظ لمخلوقاته؛ لتبقى مدة بقائها.

- الفتاح:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[سبأ: ٢٦].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿ ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: يحكم ويقضي، وفي بعض بلادنا حتى الآن يقولون للقاضي: الفتاح. ﴿ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ أي: الذي يحكم عن علم، ولا تخفى عليه خافية. وسُمِّي الحُكْمُ فتحًا؛ لأنه يفتح شيئًا عن شيء، ويُحدث فرجة بينهما؛ فكأنهما كانا متشابكين، بحيث يلتبس الحق بالباطل، وكأنها معركة؛ فيأتي الحكم فيفض هذا الاشتباك، وفَضُّ الاشتباك هذا هو الفتح، ولا يفتح بين الحق والباطل إلا الله »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

وأضيف أبياتًا للإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان هذا الاسم وإيضاح مدلوله ومعناه:

وكــذلك الفتــاح مــن أسمائــه ... والفــتح في أوصــافه أمــران

فــتح بحكــم وهــو شــرع إلاهنـا ... والفــتح بالأقــدار فــتح ثــان[2].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٢٠/ ١٢٣٢٦).

(٢) « نونية ابن القيم؛ الكافية الشافية » (ص: ٢١٠).

- **الرَّزَّاق، المتين:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « السياق هنا يؤكد على هذه الحقيقة ليرسخها في الأذهان ليطمئن كلٌ منا على أن رزقَه مضمون؛ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ﴾ فاستخدم (إنَّ) ثم الضمير المنفصل (هو) ﴿ ذُو ٱلْقُوَّةِ ﴾ أي: صاحب القوة. وهذا يعني أن الذات شيء، والقوة شيء منفصل عنها. وفي موضع آخر يتكلم عن القوة والغلبة فيقول: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢١] فالقوة هنا في الذات، فلم يقل هنا ذو القوة؛ لأن المقام مقام بيان للغلبة في وجه المعاندين. لذلك قال: ﴿ قَوِىٌّ ﴾ والقوي: هو الذي يغلب، لكن قد تتكاتف عليه قوى أخرى تغلبه، فقال: ﴿ عَزِيزٌ ﴾ يعني: لا يُغلب أبدًا. وهنا قال: ﴿ ٱلْمَتِينُ ﴾ أي: الشديد في قوته، لأن القوة قد يُصيبها الوهن فتضعف »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا مفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية، فـ« **الرزاق** »: المتكفل بأرزاق العباد، والقائم على كل نفس بما يقيمها، و« **المتين** »: أي شديد القوة، و« **القوي** »: الذي لا يعجزه شيء، ولا يغلبه غالب.

- **العزيز، الحكيم، الملك، الأول، الآخِر، الظاهر، الباطن:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ١-٣].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٢٣/ ١٤٦٢٠).

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ العزيز: هو الغالب الذي لا يُغلب، والعزيز: الشيء النادر الذي ليس له مثيل؛ فجمعت الآية المعنيين، كما قال سبحانه: ﴿ ...وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[المؤمنون: ٨٨].

وهو أيضًا سبحانه: ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾، والحكيم: الذي يضع الشيء في موضعه بحكمة وعلم، حتى لا نأخذ العزة على أنها جبروتٌ وبطش؛ فهي عزةٌ بحكمةٍ وبقدر.

﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ قلنا: في مادة (ملك) أنها تأتي بالفتح (مَلك)؛ كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴾ [طه: ٨٧].

والمَلْكُ: المقدرة والإرادة، وتأتي بالكسر (مِلْك)؛ وتعني: أي شيء تمتلكه فهو مِلك لك، وتأتي بالضم - كما هنا - (مُلك)، والمُلك: أن تملك من يملك. فالأرض مثلًا ملك للناس، والله سبحانه له مُلك هذه الأشياء؛ يملكها ويملك مَن يملكونها. ﴿يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾: يُحينا نحن ويُميتنا، أحيانا أولًا لما خلَقَنا من عَدَمٍ، ثم يميتنا ثم يُحيينا في الآخرة. والإحياء والإماتة له وحده سبحانه لا يشاركه فيها أحد، وقد قصَّ علينا القرآنُ الكريم قصة الذي حاجّ إبراهيم في ربه، وأنه ادَّعى الإحياء والإماتة؛ فجادله سيدنا إبراهيم حتى كشف كذبه...، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ لا يعجزه شيء، ولا يمتنع منه شيء؛ فالذي أوجد من عَدَمٍ أقْدَرُ على الإعادة...، فالحق سبحانه مالك الملك، وبيده الإحياء والإماتة، فأوجد من عدم وأمدَّ من عدم، وله قيوميته تبقيه على ما هو عليه، فلم يخلق الخلق ثم تركه هملًا، إنما قائم عليه بقيوميته سبحانه ».

ثم قال: « ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ ما دام أنه تعالى هو الذي أوجد كل موجود؛ فهو بالتالي ﴿ٱلۡأَوَّلُ﴾ أي: قبل كل موجود، ﴿وَٱلۡأٓخِرُ﴾: الباقي بعد فناء كل موجود، لذلك قلنا في الثناء على الله: يا أول لا قبل آخر، ويا آخر لا بعد أول، ولكن ذاك في ذاك، فقف أيها العقل عند منتهاك.

﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ﴾ الظاهر لنا جميعًا، والباطن: أي: المستور عنا جميعًا. فهو سبحانه ظاهر وباطن معًا؛ ظاهر بآثاره وآياته في الوجود التي لم يدّعها غيره سبحانه، والدَّعوى تُسَلَّمُ لصاحبها ما لم يَقُم لها معارض: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾[الزخرف: ٨٧]، ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥].

وباطن بذاته: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾[الأنعام: ١٠٣]؛ فالأبصار لا تُدرك إلا المحدود بحدود المكان، والله تعالى لا يحدّه زمان ولا مكان؛ لأن الزمان والمكان خَلق من خَلقه تعالى، لذلك لا يُقال فيه متى وأين، فمنه جاءت متى وأين ».

ثم قال: « وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: لا يخفى عليه شيء، فهو سبحانه يعلم الباطن كما يعلم الظاهر؛ لأنه سبحانه الظاهر الباطن »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

(١) « تفسير الشعراوي » (٢٤/ ١٤٨٩٨-١٤٩٠٢).

فـ« **العزيز** »: الذي له جميع معاني العزة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٦٥]، و« **الحكيم** »: يدل على ثبوت الحكم لله، وكمال الحكمة؛ وقد سبق الكلام عليه.

و« **الأول والآخر والظاهر والباطن** »: فسرها رسول الله ﷺ فقال: « اللهُمَّ أنتَ الأوَّلُ فلَيسَ قبلَكَ شيءٌ، وأنتَ الآخِرُ فلَيسَ بعدَكَ شيءٌ، وأَنتَ الظَّاهِرُ فلَيسَ فوقَكَ شيءٌ، وأَنتَ البَاطِنُ فلَيسَ دُونَكَ شَيءٌ »[1]؛ ولذا يقول العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « هذه أربعة أسماء كلها متقابلة في الزمان والمكان، تفيد إحاطة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بكل شيء أولًا وآخرًا، وكذلك في المكان ففيها الإحاطة الزمانية والإحاطة المكانية »[2].

- الله، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المُصور، العزيز، الحكيم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ﴿ ٱللَّهُ ﴾ علم على واجب الوجود سبحانه، واسمه الدال على ذاته تعالى، وما عداه من الأسماء فهي صفات، كما تقول: الحي القيوم

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٨٤).

(٢) شرح العقيدة الواسطية؛ للعثيمين (ص: ١٨٠-١٨١).

القادر المحيي.. لذلك علمنا رسول الله ﷺ أن نبدأ كل شيء ذي بال ببسم الله؛ لأنه الاسم الذي تنفعل له الأشياء، وبه تطاوعك جوارحك وتنفعل لك.

ثم قال: ﴿ٱلْمَلِكُ﴾ اسم من أسمائه تعالى... فالحق سبحانه هو (الملك) الذي يملك الأشياء ويملك مالكيها؛ فهم عباده وصنعته، ولم يصف الحق سبحانه نفسه بأنه مالك إلا يوم القيامة﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة:٤]؛ فهو سبحانه في هذا اليوم المالك؛ حيث لا مالك غيره سبحانه، ففي هذا اليوم تُنتزع الأملاك من أصحابها فلا أحدَ يملك شيئًا.

ومعنى ﴿ ٱلْقُدُّوسُ ﴾ مبالغة في التنزّه عن كلِّ نقيصة، وزيادة في الطهر: الطهور؛ الذي يُطهر كل شيء، لذلك تقول الملائكة في تسبيح الله: سبوح قدوس رب الملائكة والروح[1]، أنت يا ربنا سُبوح تُسبِّحك كلُّ المخلوقات، قدوس: أي: منزه عن كل عيب ونقيصة.

ثم قال: ومعنى ﴿ ٱلسَّلَٰمُ ﴾ أي: السلام في ذاته سبحانه، والسلام مُشتق من السلامة، أي: سلامة الجوارح من التعارض والتنافر مع ذاتها؛ فهي منسجمة مع بعضها البعض.

ثم قال: وكلمة ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ أيضًا من أسمائه تعالى، وصفة من صفاته، ومادة (أمن) تتعدى بنفسها في مثل قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾[قريش: ٤]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا ﴾[القصص: ٥٧].

(١) «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٧١٧).

وتتعدى بالباء، كما في قوله تعالى: ﴿ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ...﴾ [آل عمران: ١١٤] وهي هنا بمعنى اعتقد، ومرة تتعدى باللام: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ [يوسف: ١٧] أي مُصدِّق.

فمعنى ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُ ﴾ الذي يُؤمِّن عباده مما يُخيفهم، أو هو المؤمن بمعنى الإيمان؛ فهو سبحانه أول من آمن بنفسه تعالى، كما قلنا شهادة الذات للذات في: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ... ﴾ [آل عمران: ١٨]، وإذا كانت بمعنى التصديق فهو سبحانه المصدِّق لرسله بالمعجزات.

﴿ٱلۡمُهَيۡمِنُ ﴾؛ المهيمن على الشيء يعني: القيِّم عليه المتصرف فيه، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ ...﴾ [المائدة: ٤٨]، فالقرآن مهيمن على الكتب قبله، والكلمة له؛ والله تعالى المهيمن على خلقه، القائم عليهم، المتصرف فيهم.

﴿ٱلۡعَزِيزُ ﴾ هو الشيء النادر الوجود الذي لا مثيل له، والعزيز: هو الغالب الذي لا يُغلب.

﴿ٱلۡجَبَّارُ ﴾ صفة من صفات الجلال للحق ﷻ[1] يقهر بها المخالفين لمنهجه، وهي أيضًا من صفات الخَلق، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ﴾[الشعراء: ١٣٠]، وقال: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ ...﴾ [ق: ٤٥] يعني: مسيطر عليهم، تقهرهم على أن يؤمنوا.

والله ﷻ أيضًا جابر؛ نقول: يا جابر كلَّ كَسير، وجابرُ العَثرات؛ يجبر كسر الفقير فيغنيه، ويجبر كسر الجاهل فيعلمه، ويجبر كسر الضعيف فيقويه.

---

(١) الصحيح أنه اسم من أسماء الله تعالى.

وكذلك من الخلق من هو جابر العظام؛ يسمونه مُجبِّر أو مُجبراتي، وهو الذي يُعيد العظام إلى موضعها ويربط عليها بالجبيرة.

مع الفارق بين صفة الحق وصفة الخلق؛ صفة الحق سبحانه ذاتية فيه، والصفة في الخلق موهوبة قد تُسلب منه. والجبروت في الخلق فيه ظلم وتعدٍّ، أما الجبروت في حقه تعالى ففيه حلم وحكمة وعدالة.

ومعنى ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ من الكبر؛ وهي صفة مذمومة في الخلق، محمودة في الخالق سبحانه، في الخلق صفة نقص، وفي الخالق صفة عظمة وكمال.

والكبر صفة ذاتية في الله تعالى، وصفة مفتعلة في المخلوق؛ لأنه يتكبر بشيء موهوب له ليس ذاتيًا فيه، من الناس من يتكبر بماله أو صحته أو بجاهه؛ وهذه كلها عوارٍ مُستردة، وعَرَض زائل.

لذلك، الله وحده هو المتكبر بحق، وما سواه متكبر بباطل، الله متكبر لأنه الغني عن خلقه لا ينقصه شيء، وهو واهب كل شيء؛ لذلك من نعم الله علينا أنه هو المتكبر، لأن تكبره سبحانه يعني أنه لا يظلم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، فهذه من كبريائه تعالى؛ لأن الظلم يعني أن تأخذ ما ليس لك لتزيد فيما عندك، والله متكبر عن هذا؛ لأنه مالك كلّ شيء على الحقيقة ولا ينقصه شيء... ومن عرف أن الكبرياءَ لله وحده؛ استحيى أن يتكبر على خلقه.

ثم قال: ﴿ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾؛ هكذا في خيط واحد، لأنَّ هذه المعاني الثلاثة ما هي إلا مراحل متتالية لشيء واحد.

فالله هو ﴿ٱلْخَـٰلِقُ﴾؛ والخلق إيجاد من عدم، و﴿ٱلْبَارِئُ﴾: أي الذي يُسوي هذا المخلوق على هيئة صالحة ليؤدي مهمته التي جُعِلَ لها.

ثم ﴿ٱلۡمُصَوِّرُ﴾ الذي يُصوِّر هذا المخلوق كيف يشاء، ويُصوِّره على غير مثال سابق؛ فقال في الإنسان ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧]، وقال: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨]، فهنا طلاقة قدرة، أولًا: قدرة قادرة على أن توجدَ من عدم، وتُبرزَ إلى الوجود شيئًا لم يكن موجودًا، وقبلها إرادةٌ ترجّح المطلوب. وبعد ذلك يأتي المصوِّر فيعطيها الصورة اللائقة.

ثم قال: وقوله سبحانه: ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ قلنا: إن لفظ الجلالة (الله) هو عَلَم على واجب الوجود سبحانه، وهو الاسم وغيره من الأسماء هي في الحقيقة صفات، فالخالق البارئ المصور صفات للحق ﷻ، ولشهرتها انتقلت من الوصف إلى الاسم.

والدليل على أنها صفات: أن الله وصفها بالحسنى، والحسنى جمع لمؤنث، ولو كانت أسماء لقلنا الأسماء الحسان، إذًا هي صفات ولكن اشتهرت عنه سبحانه وخُصت به وحده فصارت اسمًا له... ومعنى ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ أي: التي تدل على صفات الكمال المطلق له سبحانه.

ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ العزيز: قلنا النادر الذي لا مثيل له، أو العزيز: يعني القوي الذي يَغلِبُ ولا يُغلَب؛ وهذه الغلبة منزَّهةٌ عن البطش والظلم والتعدي؛ لأنها محكومة بالحكمة.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ والحكيم الذي يضع الشيء في موضعه موضعًا يُناسب مهمته، فالقوة تُذم حينما تكون منفلتة لا ضابط لها »[1].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٢٤/ ١٥٠٩٤-١٥١٠٧).

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية - والله أعلم -؛ فقد أثبت لله تعالى ما في هذه الآية من أسماء وصفات؛ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف؛ فجزاه الله خيرًا ونفع بعلمه.

- الولي، الحميد:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[الشورى: ٢٨].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « ﴿ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ﴾؛ المتولي أمور عباده، المُحسن إليهم. ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ أي: المحمود على نعمه التي أسداها إلى الناس وتفضّل بها عليهم... »[(١)].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

- ربّ العزة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصافات: ١٨٠].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « ومعنى ﴿ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ ﴾ كلمة رب تفيد التربية وهي تأهيل المربي لأن ينجح في الغاية المنوطة به المطلوبة منه... إذًا العزة التي يتصف بها الحق سبحانه، ويفيض منها على عباده هي الغلبة التي لا تُقهر، والقدرة التي لا تحتاج إلى أحد... »[(٢)].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٢٢/ ١٣٧٧٨-١٣٧٧٩).

(٢) « تفسير الشعراوي » (٢١/ ١٢٨٦٨-١٢٨٧٠).

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

- الوهّاب:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ومعنى صيغة مبالغة، تدل على كثرة الوهب، وقلنا: الهبة عطاء بلا مقابل... »(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسير قوله تعالى:** ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ [ص: ٩]: « ﴿ٱلْوَهَّابِ﴾: الذي يهب من يشاء تفضلًا وتكرمًا منه سبحانه »(٢).

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

- رفيع الدرجات، ذو العرش:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « كلمة (رفيع) على وزن (فعيل)، وهذا الوزن يأتي بمعنى فاعل مثل (رحيم) مبالغة من راحم... كذلك كلمة (رفيع) يصح أن تكون بمعنى رافع؛ أي أنه سبحانه رافع لغيره، كما يرفع سبحانه بعض الخلق

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٢١/ ١٢٩٤٤).

(٢) « تفسير الشعراوي » (٢١/ ١٢٨٨٨).

على بعض.

ويصح أن تكون (رفيع) بمعنى مفعول؛ أي: مرتفع في ذاته، والرافع لا يرفع غيره إلا إذا مرتفِعًا في ذاته، فرفيع هنا بمعنى مرتفع عن كل شيء، كما نقول: الله أكبر والله أعلى وأجل.

فالله تعالى مرتفع الوجود؛ لأن وجوده أزليّ لا عن عدم، أما وجودنا نحن فعن عدم، ووجوده سبحانه إلى دوام ووجودنا إلى عدم، وهو موجود سبحانه بذاته، ووجودنا نحن به سبحانه؛ إذًا فهو سبحانه أحسن مرتفع في الوجود، نعم.

والله سبحانه مرتفع في قيوميته، فنحن نعمل ونتعب وننام لنرتاح، أما هو سبحانه فلا يتعبه عمل ولا ينام ليستريح... وبهذه القيومية يرفع الله من يشاء، وبطلاقة قدرته سبحانه يُبقي من يشاء في الرفعة، وينزل من يشاء إلى الضَّعَة ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[آل عمران: ٢٦].

ثم قال: وقوله تعالى:﴿ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ﴾ يعني: الذي يملك كونًا استقر له بدون شغب عليه، وهو المستقر في كمال قدرته وألوهيته، والملِك لا يُتاح له الجلوس والاستواء على عرشه إلا بعد أن يستتبَّ له الأمر، مع الفارق بين جلوسه سبحانه واستوائه على عرشه وبين جلوس ملوك الدنيا على عروشهم، فنحن نؤمن بهذا الجلوس دون تكييف أو تشبيه، وما دام وجوده تعالى ليس كوجودنا؛ فكذلك جلوسه ليس كجلوسنا، وقلنا: إننا نأخذ هذه المسائل في إطار ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾[الشورى: ١١]، والحق ﷻ استتبَّ له الأمر في الكون دون منازع »[١].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٢١/ ١٣٣٢٥-١٣٣٣٠).

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رحمه الله هنا مفيد، إلا أنه اثبت لله الجلوس على العرش؛ هذه المسألة مخالفة لمنهج السلف، ولم يَرِدْ نصٌّ صحيح عن رسول الله ﷺ؛ فنمسك عن القول بها، ونثبت أن لله العرشَ العظيم، وأنه استوى عليه سبحانه كما هو ثابت بالنص القرآني، وباقي كلامه هنا لا ملاحظة عليه؛ والله أعلم.

- المحبة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

قال الشعراوي رحمه الله: «إن الحق يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ والحب كما نعرفه: هو ميل قلب المحب إلى المحبوب، وذلك الأمر يكون بالنسبة للبشر، لكن بالنسبة للحق هو تودد الخالق بالرحمة والكرامة على المخلوق، والحق سبحانه وتعالى يحب من عباده أن يكونوا على خُلقه، فكما أن الله أحسن كل شيء خلقه ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ﴾ [السجدة: ٧]؛ يريد من عباده وقد تفضل عليهم بالعقل المفكر فيخطط، وبالطاقات فتبرز التفكير إلى عمل. يريد الحق منا أن يكون رائدُنا في كل عمل أن نحسِنَه، حتى نكون متخلقين بأخلاق الله، فتشيع كلمة (الله) هذا اللفظ الكريم الذي يستقبل به الإنسان كل جميل في أي صنعة فيقول: (الله)»[1].

---

(١) «تفسير الشعراوي» (٢/ ٨٣٥).

- يرى الباحث أن الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وافق السلف في إثبات هذه الصفة لله تعالى؛ لكن لم يوافقهم في إثبات معناها؛ فمحبة الله تختلف عن محبة العبد في كون الثانية ميلًا قلبيًّا في حين أن الأولى ليست كذلك؛ فلا يمكن التعبير عنها بالشغف والعشق ونحوهما مما لا يليق في حقه سبحانه جل شأنُه. وفي هذا دليل على بدعيّة الصوفية، خاصة شعرائهم، الذين دوّنوا الدواوين في هذه الألفاظ المزرية في حق الذات الإلهية العليّة، وإن كان أكثرُهم قصد بها محبة العبد لله سبحانه، إلا أن هذا أيضًا لا يجوز، وكم من مريدٍ للخير لا يبلغه.

إن من لوازم محبة الله تعالى عبدَه ما يلي: إرادة الله الخير لعبده المحبوب، وإرادته تعالى إثابة عبده، وعفوه عنه، وإنعامه عليه - بالغفران وغيره - وإثابته إياه، وتقريبه له، وإكرامه، والرضا عنه، والإحسان إليه، ومحبة الطاعة منه، وإيصال الخير إليه، وتوفيقه إيّاه.

هذا من لوازم محبة الله لعباده وليس معناها، وهذا من الفارق بين عقيدة أهل السنة والأشاعرة؛ فأهل السنة يثبتون لله المحبة كما تليق به.

- الرحمن الرحيم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « نلاحظ أن الرحمن الرحيم من صيغ المبالغة، يُقال راحم ورحمن ورحيم، إذا قيل راحم فيه صفة الرحمة، وإذا قيل رحمن تكون مبالغة في الصفة، وإذا قيل رحيم تكون مبالغة في الصفة، والله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ رحمن الدنيا ورحيم الآخرة.

صفات الله سبحانه وتعالى لا تتأرجح بين القوة والضعف، وإياكم أن تفهموا أن الله تأتيه الصفات مرة قليلة ومرة كثيرة؛ بل هي صفات الكمال المطلق، ولكن الذي يتغير هو متعلقات هذه الصفات.

ثم قال: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ رحمن في الدنيا لكثرة عدد الذين يشملهم الله سبحانه وتعالى برحمته، فرحمة الله في الدنيا تشمل المؤمن والعاصي والكافر؛ يعطيهم الله مقومات حياتهم ولا يؤاخذهم بذنوبهم، يرزق من آمن به ومن لم يؤمن به، ويعفو عن كثير، إذًا عدد الذين تشملهم رحمة الله في الدنيا هم كُلّ خلقه، بصرف النظر عن إيمانهم أو عدم إيمانهم.

ولكن في الآخرة الله رحيم بالمؤمنين فقط؛ فالكفار والمشركون مطرودون من رحمة الله »[1].

- يرى الباحث أن الشعراوي رحمه الله وافق السلف في إثبات هذين الاسمين لله تعالى؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وإنّ في هذين الاسمين دلالة على كمال الرحمة؛ التي هي صفة الله وسعتها، والرحمة المضافة إلى الله نوعان؛ رحمة عامة قَرَنَها اللهُ بالعلم في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا ﴾ [غافر: ٧]، ورحمة خاصة: وهي التي خص الله بها عباده المؤمنين؛ بالتوفيق للطاعات والثبات على الإيمان، والإكرام بدخول الجنة.

(١) « تفسير الشعراوي » (١/ ٤٩-٥٠).

- **النفس:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « ونأخذ كلمة «نفسه» في إطار ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ..﴾، ذلك أن النفس عند البشر هي الجسم والدم والحركة والحياة، ولكن ماذا عندما تأتي كلمة «النفس» منسوبة إلى الله؟ المراد - إذًا - هو الذات الإلهية. وإن لم تأخذ مراد الكلمة بهذا المعنى فأنت تدخل إلى مخالفات كثيرة وَقَانَا الله وإيّاك شرورها.

وأؤكد هذا المعنى ليستقر في ذهن كل مؤمن، أن النفس بالنسبة للكائن الحي غيرُها بالنسبة لله، ولا بد أن نأخذ أي شيء منسوب إلى الله في إطار ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ..﴾؛ لأن النفس بالنسبة للكائن الحي عبارة عن امتزاج الروح بالمادة، والمادة مكونة من أبعاض.

وإن لم تأخذ المراد من نفس الله على ضوء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ..﴾، فأنت - والعياذ بالله - تنفي عن الحق « الأحدية ».

ونعرف أن للحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ « وصفين » يتحدان في المادة وفي الحروف: الأول هو «واحد». والآخر هو « أحد ». والسطحيون في الفهم يظنون أن « واحدًا » معناها «أحد» . ونقول: لا، إن « واحدًا » لها مدلول، و« أحدًا » لها مدلول آخر. فعندما نقول: « إن الله واحد »؛ أي: لا يوجد فردٌ ثانٍ من نوعه، فليس له مثيل ولا شبيه ولا نظير. وعندما نقول: « إنّ الله أحد »؛ أي: أنه لا يتكون من

أبعاض يحتاج بعضها إلى البعض الآخر لتكوين الكل، لأن الشيء قد يكون واحدًا وليس أحدًا. ولذلك نؤكد الفارق بين: « واحد » و« أحد »، وحتى يعرفَه كل مؤمن جيدًا فهو - سبحانه - واحدٌ لا يوجد فردٌ ثانٍ يشاركه في وحدانيته، فهو واحد لا شريك له، وهو أحدٌ جل وعلا؛ أي: ليس له أبعاض يحتاج بعضها إلى بعض »[1].

- يرى الباحث أن الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ وافق السلف في إثبات هذه الصفة لله تعالى؛ فقد أثبتها على ظاهرها؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

- الإتيان:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [البقرة: ٢١٠].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « ساعة تقول: ﴿ يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أو ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر: ٢٢]، أو يأتي سبحانه بمَثَلٍ في القرآن مما نعرِفُه في المخلوقين من الإتيان والمجيء وكالوجه واليد، فلتأخذه في إطار ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ... ﴾ فالله موجود وأنت موجود، فهل وجودُك كوجوده؟ لا.

إن الله حي وأنت حي، أحياتك كحياته؟ لا. والله سميع وأنت سميع، أسمعك كسمعه؟ لا. والله بصير وأنت بصير، أبصرُك كبصره؟ لا. وما دمت تعتقد أن له صفات مثلها فيك، فتأخذها بالنسبة لله في إطار ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ .. ﴾.

(١) « تفسير الشعراوي » (٦/ ٣٦٥٥-٣٦٥٦).

ولذلك يقول المحققون: إنك تؤمن بالله كما أعطاك صورة الإيمان به، لكن في إطار لا يختلف عنه عمَّا في أنه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ..﴾، وإن أمكن أن تتصور أي شيء فربك على خلاف ما تتصور، لأن ما خطر ببالك فإن الله سبحانه على خلاف ذلك، فبالُ الإنسان لا يخطر عليه إلا الصور المعلومة له، وما دامت صورًا معلومة فهي في خلق الله وهو سبحانه لا يشبه خلقه.

إن ساعة يتجلى الحق، سيفاجأ الذين تصوروا الله على أية صورة، أنه سبحانه على غير ما تصوروا، وسيأتيهم الله بحقيقة لم تكن في رؤوسهم أبدًا؛ لأنه لو كانت صورةُ الحق في بالِ البشر لكان معنى ذلك أنهم أصبحوا قادرين على تصوره، وهو القادر لا ينقلب مقدورًا عليه أبدًا، ومن عظمته أن العقل لا يستطيع أن يتصوره ماديًا.

ثم قال: ونؤكد مرة أخرى أننا عندما نسمع شيئًا يتعلق بالحق فيما يكون مِثْلُه في البشر فلنأخُذْه في إطار ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ..﴾ فكما أنك آمنت بأن لله ذاتًا لا كالذوات، فيجب أن تعلم أن لله صفات ليست كالصفات، وأن لله أفعالًا ليست كالأفعال، فلا تجعل ذات الله مخالِفةً لذوات الناس؛ ثم تأتي في الصفات التي قال الله فيها عن نفسه وتجعلها مثل صفات الناس، فإذا كان الله يجيء؛ فلا تتصور مجيئه أنه سيترك مكانًا إلى مكان، فهو سبحانه يكون في مكان بما لا يخلو عنه مكان، تلك هي العظمة.

فإذا قيل: ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ فلا تظن أن إتيانه كإتيانك، لأن ذاته ليست كذاتك، ولأن الناس في اختلاف درجاتهم تختلف أفعالهم، فإذا كان الناس يختلفون في الأفعال باختلاف منازلهم، وفي الصفات باختلاف منازلهم، فالحق

منزه عن كل شيء وكل تصور، ولنأخذ كل شيء يتعلق به في إطار ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ ..﴾؛ ففِعْلُ ربك يختلف عن فعلك. وإياك أن تُخضع فعله لقانون فعلك؛ لأن فعلَك يحتاج إلى علاج وإلى زمن يختلف باختلاف طاقتك وباختلاف قدرتك، والله لا يفعل الأشياء بعلاج بحيث تأخذ منه زمنًا ولكنه يقول: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[يس:٨٢]»(١).

- يرى الباحث أن الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وافق السلف في إثبات هذه الصفة لله تعالى؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ فإتيان ومجيء الله صفة ثابتة له سبحانه، وهي من الصفات الفعلية التي يجب إثباتها على حقيقتها، ولا يجوز تأويلها؛ كما يفعله نفاة الصفات. وخالفَ الأشاعرةَ الذين يوؤلون الصفات.

- الوجه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[القصص: ٨٨].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ﴾ الوجه في عُرفنا ما به المواجهة في الإنسان، وكل شيء يصف به الحق سبحانه نفسه علينا أن نصفه سبحانه به، بناءً على وصفه في إطار قوله سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ ...﴾.

فالحق سبحانه له وجه، لكن ليس ككل الوجوه، وهكذا في كل الصفات التي يشترك فيها الحق سبحانه مع الخَلق، وأنت آمنتَ بوجود الله، وأن وجوده

---

(١) «تفسير الشعراوي» (٢/ ٨٩٠-٨٩٢).

ذاتي، ليس كوجودك أنت »[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ﴿ وَيَبْقَىٰ ﴾ أي: بعد فناء كل شيء، ﴿وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ الوجه يُعبّر به عن الذات، لأن الوجه في الخَلق جميعًا هو المُميِّز للشخص، بحيث لا يتشابه اثنان تشابهًا تامًا، فأطلق الوجه ليدل على الذات.

﴿وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ أي: ذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذه المسألة نرد بها على من لا يرى تأويلًا في القرآن، وإلا فكيف نقول في هذه الآية؟ »[2].

- يرى الباحث أن الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وافق بعض السلف في إثبات صفة **(الوجه)** لله تعالى؛ وفسره بالذات كابن كثير في تفسيره، وكلامه يشعر بأنه لا يثبت **(الوجه)** في كل النصوص الواردة في إثباته في القرآن والسنة، وأهل السنة يثبتون لله عَزَّ وَجَلَّ وجهًا يليق بجلاله وكماله؛ من غير تشبيه ولا تمثيل، ومن غير تكييف ولا تعطيل، ويردون على من يقولون أن المراد بـ(الوجه) الذات؛ بأمور:

١- أنه جاء عطف (الوجه) على الذات؛ كما في الحديث: عَن عَبدِ اللَّهِ بنِ عَمرو بن العاصِ، عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه كانَ إذَا دخلَ المسجِدَ قالَ: « أعُوذُ باللَّه العظِيمِ، وبوَجهِهِ الكَريمِ، وسُلطانهِ القَدِيم، منَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ »[3]، والعطف يقتضي المغايرة.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١٨/ ١١٠٥٠-١١٠٥١).

(٢) « تفسير الشعراوي » (٢٤/ ١٤٨٢٦).

(٣) سنن أبي داود (١/ ١٢٧)، وصححه الألباني في « مشكاة المصابيح » (١/ ٢٣٤).

٢- أنه أضاف (الوجه) إلى الذات؛ فقال: ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾، ووصف الوجه بقوله: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾؛ تبين أنه وصف للوجه لا للذات، وأن الوجه صفة للذات.

٣- أنه لا يعرف في لغة أمة من الأمم أن وجه الشيء بمعنى ذاته، أو الثواب، والوجه في اللغة: مستقبل كل شيء؛ لأنه أول ما يواجه منه، وهو في كل شيء، بحسب ما يضاف إليه.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ودعوى من يقول إن أهل السنة قد أوّلوا بعض النصوص ليلزموهم بتأويل البقية أو المداهنة فيها: هذه دعوى تلبيس وتشكيك، ولنا عنه جوابان:

الجواب الأول: أن نمنع أن يكون طريق أهل السنة في ذلك تأويلًا، لأن التأويل في اصطلاح المتأخرين - وهو الذي يعنيه هؤلاء - هو صرف اللفظ عن ظاهره.

وأهل السنة يقولون: ظاهر الكلام ما دل عليه الكلام باعتبار السياق، أو باعتبار حال المتكلم به، هذا هو ظاهر الكلام، وليس للكلمات معنى خلقت له لا تستعمل في غيره، ولكن معنى الكلمات إنما يظهر بسياقِ وبحالِ المتكلم بها. نحن كنا قرأنا في البلاغة أو بعض منا قرأ في البلاغة ورأى أن الاستفهام يأتي لعدة معانٍ، وقرأنا في حروف الجر ومعانيها، وعلمنا أن بعض الحروف يأتي لعدة معان، فما الذي يعين هذه المعاني؟ أليس السياق؟!

إذن: فحقيقة الكلام ما دل عليه سياقه، وظاهره ما دل عليه سياقه، وذلك باعتبار نظم الكلام وباعتبار حال المتكلم به.

فهذا الجواب جواب مجمل، أن نقول: لا نسلم بأن ظاهر الكلام خلاف ما دل عليه سياقه أو حال المتكلم به، بل ما دل عليه السياق فهو حقيقة الكلام وظاهره مطلقًا، حتى لو استعملت هذه الكلمة في غير هذا الموضع لمعنى آخر، فإن استعمالها في هذا الموضع للمعنى الذي دل عليه السياق هو في الواقع حقيقتها. هذا جواب.

الجواب الثاني: لو سلمنا أن في اللفظ إخراجًا له عن ظاهره، فإن أهل السنة والجماعة لا يمكن أبدا أن يخرجوا لفظًا عن ظاهره إلا بدليل من الكتاب والسنة، متصل أو منفصل... »[(١)].

- اليد:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « ويتابع سبحانه: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ ﴾، وهو يعطي من يريد، وكلمة « اليد » في اللغة تُطلق على الجارحة وتطلق على النعمة، فيقول الرجل: إن لفلان علي يدًا لا أنساها؛ أي أنه قدَّم جميلًا لا يُنسى. واستعملت اليد بهذا المعنى لأن جميع التناولات تكون باليد. وتُطلق اليد ويراد بها الملكية فيقول سبحانه: ﴿ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ ﴾ [البقرة: ٢٣٧]؛ أي:

(١) « أسماء الله وصفاته وموقف أهل السنه منها » لابن عثيمين (ص: ٣٥-٤٥).

الذي يملك أن يُنكح المرأة، هو الذي يعفو. وفي القتال نجد القول الحكيم: ﴿قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾[التوبة: ١٤]. أو تطلق اليد على من له ولاية في عمل من الأعمال، لذلك نجد الحق قد قال: ﴿ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾[ص: ٧٥]... وعندما نقرأ كلمة « يد الله » فهل نحصرها في نعمته أو ملكه؟ ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[الملك: ١].

والله ﷻ أعلم بذاته، فنقف عند الوصف، نعم له يد، وله يدان، وإياك أن تتصور أن كل ما يتعلق بالله مثل ما يتعلق بك؛ لأن الأصل أن لك وجودًا الآن، ولله وجود، لكن وجودك غير وجود الله، وكذلك يده ليست كيدك. حتى لا نشبِّهَ ونقولَ: إن له يدًا مثل أيدينا، فلنقل إن المراد باليد هو القدرة أو النعمة، والهدف الراقي هو تنزيه الحق. وهناك من يقول: إن لله يدًا ولكن ليست كأيدينا لأننا نأخذ كل ما يأتي وصفًا لله على أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ...﴾ والتأويل ممكن. مثلما بيّن الحق: أنه قد صنع موسى على عينيه.

وتأخذ أي مسألة تتعلق بوصف الله إما كما جاءت، بأنه له يدًا ولكن ليست كالأيدي، وله وجود لا كالوجود البشرى، وله عين ليست كالأعين، ولكن كل وصف لله نأخذه في إطار ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ...﴾. وإما أن نأخذ الوصف بالتأويل، ويراد بها النعمة ويراد بها القدرة.

ويقول الحق: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ والمراد هنا هو « النعمة »، ولم يكتف سبحانه بأن يرد بأن له يدًا واحدة تعطي، لا، بل يردُّ بما هو أقوى مما يمكن، فهو يعطي بيديه الاثنتين، وهو القائل: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[لقمان: ٢٠]. إنه يُعطي الظاهر ويُعطي الباطن. وإياك أن تقول تلك اليد اليمنى وتلك اليد

اليسرى؛ لأن كلتا يدي الله يمين: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ أي أنه سبحانه لا يمكن أن يكون بخيلًا، حتى وإن منع الحق فذلك منح وعطاء وإنفاق؛ لأن الذي يطغى بنعمة، قد يذهب به الطغيان إلى بلاء وسوء مصير؛ لذلك يقبض سبحانه عنه النعمة ليعطيه الأمن من أن ينحرف بالنعمة »[١].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ **عند تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]: « فبيعة الرسول هي في الحقيقة بيعة لله؛ لذلك قال: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: فوق الأيدي التي امتدت لتبايع رسول الله، فكانت يد الله فوق يد الجميع؛ لأن المنّة هنا من الله فلا تظنوا المنّة منكم بأن بايعتم، بل المنة من الله عليكم، ويده فوق أيديكم، وهو الذي ساق لكم هذا الخير الذي يسعدكم في الدنيا وفي الآخرة.

واليد هنا ليست هي اليد التي نعرفها كأيدينا، بل هي يد المنّة والمعروف، كما تقول مثلًا: فلان له عليَّ يد؛ يعني: نعمة أو مكرمة وجميل »[٢].

- يرى الباحث أن الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ لم يُوافق السلف في إثبات صفة **(اليد)** لله تعالى؛ فتارة يقر بأن له يدًا، وتارة بأن المراد بها النعمة أو القدرة؛ ويميل لهذا. وورد إثبات صفة **(اليدين)** في عدة مواضع من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أما الكتاب فقد ذكر الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ بعضًا منها، وأما في السنة فقد عقد البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ضمن كتاب التوحيد، أورد فيه جملة من الأحاديث الصحيحة كلها تثبت صفة اليدين لله

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٦/ ٣٢٦٤-٣٢٦٥).

(٢) « تفسير الشعراوي » (٢٣/ ١٤٣٩٢).

تعالى، منها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا في الشفاعة العظمى وفيه: « يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا يُرِحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم، أما ترى الناس؟ خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء، اشفع لنا إلى ربك »(١)، وحديث ابن عمر؛ وفيه أن رسول الله ﷺ قال: « إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السماوات بيمينه ثم يقول: أنا الملك »(٢)، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: « يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحَّاء الليل والنهار »(٣).

ولقد صرح الإمام أبو حنيفة رحمه الله أن من لم يحمل النصوص على الحقيقة وتأوَّل صفة اليدين بالقدرة أو بالنعمة فقد أبطل الصفة؛ فقد قال: « ولا يقال إن يده قدرتُه أو نعمتُه لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القَدَرِ والاعتزال، ولكن يَدُهُ صِفَتُهُ بلا كيف »(٤).

وقال ابن بطال رحمه الله في الرد على من أوَّل صفة اليدين بالقدرة أو النعمة: « ويكفي في الرد على من زعم أنهما بمعنى القدرة أنهم أجمعوا على أن له قدرة واحدة في قول المثبتة ولا قدرة له في قول النفاة. ويدل على أن اليدين ليستا بمعنى القدرة أن قوله تعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص: ٧٥] إشارة إلى المعنى الذي أوجب السجود، فلو كانت بمعنى القدرة لم يكن بين آدم وإبليس فرق لتشاركهما فيما خلق كل منهما به وهي قدرته، ولقال إبليس: وأي

---

(١) صحيح البخاري (٩/ ١٢١).

(٢) صحيح البخاري (٩/ ١٢٣).

(٣) صحيح البخاري (٩/ ١٢٢).

(٤) « الفقه الأكبر » لأبي حنيفة النعمان (ص: ٣٠٢).

فضيلة له عليَّ وأنا خلقتني بقدرتك، كما خلقته بقدرتك، فلما قال: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] دل على اختصاص آدم بأن الله خلقه بيديه، قال: ولا جائز أن يراد باليدين النعمتان لاستحالة خلق المخلوق بمخلوق لأن النعم مخلوقة »[١].

- العين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « ثم يقول سبحانه: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ أي: تُربَّى على عَين الله وفي رعايته، وإن كان الواقع أنه يُربّى في بيت فرعون، فالحق تبارك وتعالى يرعاه، فإن تعرَّض لشيء في التربية تدخَّل ربُّه عَزَّ وَجَلَّ ليعلمه ويُربّيه... كأن الحق تبارك وتعالى يُطمئِن نبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا تخف، فأنت تحت عيني وفي رعايتي، وإن فعلوا بك شيئًا سأتدخل، وفي آية أخرى قال: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه: ٤١]؛ فأنا أرعاك وأحافظ عليك؛ لأن لك مهمة عندي »[٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٧].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « وقوله تعالى: ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ دليل على أن نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن نجارًا كما يقول البعض، فلو كان نجارًا لهداه عقله إلى صناعتها، إنما

---

(١) « فتح الباري شرح صحيح البخاري » لابن حجر (١٣/ ٣٩٣ – ٣٩٤).
(٢) « تفسير الشعراوي » (١٥/ ٩٢٧٠-٩٢٧١).

هو صنعها بوحي من الله وتوجيهاته ورعايته، كما قال سبحانه: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ فالمعنى: اصنع الفُلك، وسوف أُوَفِّقُكَ إلى صناعتها، وأهديك إلى ما يجب أن يكون، وأُصحِّح لك إن أخطأت في وضع شيء في غيرموضعه، إذن: أَمَرتُ وأَعَنتُ وتابعتُ. والوحي: هو خطاب الله لرسوله بخفاء »[1].

- يرى الباحث أن الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وافق السلف في إثبات صفة **(العين)** لله تعالى؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ فهذه الآيات - وغيرها من الأدلة - تدل على أن لله تعالى **(عينين)** حقيقية تليق به.

- المكر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾[الأنفال: ٣٠].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾: وساعة تجد صفة تستبعد أن يوصف بها الله فاعلم أنها جاءت للمشاكلة فقط وليست من أسماء الله الحسنى، إن المؤمنين بإمكانهم أن يقولوا للكافرين: إنكم إن أردتم أن تُبيِّتُوا لنا، فإن الله قادر على أن يقلِبَ المكرَ عليكم، أما أسماء الله وصفاته فهي توقيفية، نزل بها جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على رسول الله ﷺ، لكن إذا وجد فعل لله لا يصح أن نشتق نحن منه وصفًا ونجعله اسمًا لله، ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]، فليس من أسماء الله مخادع، أو ماكر، إياك أن تقول ذلك، لأن أسماء الله وصفاته توقيفية، وجاء القول هنا بمكر الله

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١٦/ ١٠٠١٣).

كمقابل لفعل من البشر، ليدلهم على أنهم لا يستطيعون أن يخدعوا الله، ولا يستطيعون أن يمكروا بالله، لأن الله إذا أراد أن يمكر بهم، فهم لا يستطيعون مواجهة ذلك »[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ويُذيِّل الله آية سورة الرعد بقوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ ويُقال: « مُحَلَ فلانٌ بفلان » أي: كَادَ له كيدًا خفيًا ومكر به، والمحَال هو الكَيد والتدبير الخفيّ، ومَن يلجأون إليه من البشر هُم الضِّعاف الذين يعجزون عن مواجهة الخَصم علانية، فيبيِّتون له بإخفاء وسائل الإيلام.

وهذا يحدث بين البشر بعضهم البعض؛ لأن البشر لا يعلمون الغيب؛ لكن حين يكيد الله؛ فلا أحدَ بقادر على كَيده، وهو القائل سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ [الطارق: ١٥-١٧]، لأن كيد الله لا غالب له؛ وهو كَيد غير مفضوح لأحد، ولذلك قال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ »[2].

- يرى الباحث أن الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وافق السلف في إثبات صفة « **المكر** » لله تعالى؛ فالمكر من الله: إيصال المكروه إلى من يستحقه من حيث لا يشعر، ولا يوصف الله به على الإطلاق؛ فلا يقال: إن الله ماكرٌ.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٣/ ١٤٩٥).

(٢) « تفسير الشعراوي » (١٢/ ٧٢٥٨).

و« **المكر، والكيد، والمحال** »: من صفات الله الفعلية التي لا يوصف بها على سبيل الإطلاق، وأهل السنة يثبتون هذه المعاني على سبيل الحقيقة.

- الاسم لله ونفي المثل عنه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾[مريم: ٦٥].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وقوله تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾؟ سبق أن تكلمنا في معنى (السَّميّ)، وقد اختلف العلماء في معناها، قالوا: السَّميُّ: الذي يُساميك، أي: أنت تسمو وهو يسمو عليك، أو السَّميّ: النظير والمثيل.

والحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس له سميٌّ يُساميه في صفات الكمال، وليس له نظير أو مثيل أو شبيه، بدليل قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ... ﴾[الشورى: ١١].

وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾[الإخلاص: ١-٤].

وللسميِّ معنىً آخرُ أوضَحْناه في قصة يحيى، حيث قال تعالى: ﴿لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ﴾[مريم: ٧] أي: لم يسبق أن تسمَّى أحد بهذا الاسم »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

و« **السمي** »: الشبيه والنظير؛ بمعنى: هل تعلم له مساميًا أو نظيرًا يستحق مثل اسمه؟ الجواب: لا، فإنه إذا كان كذلك فالواجب أن تعبده وحده.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١٥/ ٩١٤٨-٩١٤٩).

- **الاستواء:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وسبحانه يقول: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: ولابد أن نعرف العرش ما هو، وسبحانه يقول في ملكة سبأ: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[النمل: ٢٣].

فالعرش إذن هو سرير الملك؛ لأن الملك لا يجلس على العرش إلا بعد أن تستقر الأمور.

فكأن قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ كناية عن تمام الأمور؛ وخلقها، وانتهت المسألة. لكن العلماء حين جاءوا في ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾، اختلفوا في فهمها؛ لأن العرش لو كان كرسيًا يجلس عليه الله، لكان في ذلك تحييز لله ووضعه وضمه في جرم ما، وسبحانه منزَّه عن أن يحيزه شيء. ولذلك أخذ العلماء يتلمسون معاني لكلمة ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ منهم من قال: إنّ معناها هو قصد إليها بخلقه واختراعه، ومنهم من قال: المقصود بها أنه استعلى وارتفع أمره، ومنهم من قال: «صعد» أمره إلى السماء واستند إلى قوله الحق: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]. وكلها معانٍ متقاربة.

وجماعة من العلماء أرادوا أن يخرجوا من التشبيهات؛ فقالوا: المقصود بـ « استوى » أنه استوى على الوجود، ولذلك رأوا أن وجود العرش والجلوس عليه هو سمة لاستقرار الملك. وحتى لا ندخل في متاهات التشبيهات، أو متاهات

التعطيل نقول: علينا أن نأخذ كل شيء منسوب إلى الله في إطار: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ...﴾.

فحين يقول سبحانه: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]؛ ونحن نفهم أن لليد مدلولًا، والقرآن لغة عربية يخاطبنا بها سبحانه، فالقول أن لله يدًا فهذا دليل على قدرته، واستخدام الحق كلمة اليد هنا كناية عن القدرة. والإنسان عليه أن يأخذ كل شيء منسوب إلى الله مما يوجد مثله في البشر، في إطار ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ...﴾، فنقول: سبحانه له يد ليست كيد البشر، وله وجود لكنه ليس كوجود البشر، وله عين ليست كعيون البشر، وله وجه ليس كوجه أحد من البشر. ولذلك حينما سئل سيدنا الإمام مالك عن هذه المسألة قال لمن سأله: « الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة » وأراك رجل سَوء! أخرجوه. نعم السؤال عنه بدعة لأنه يدخل بنا في متاهة التشبيه ومتاهة التعطيل، وهل سأل أحد من صحابة رسول الله ﷺ عن معنى الاستواء؟.. لا؛ لأنهم فهموا المعنى، ولم يعلق شيء من معناها في أذهانهم حتى يسألوا عنها رسول الله ﷺ. إنهم فهموها بفطرتهم التي فطرهم الله عليها في إطار ما يليق بجلال الله وكماله.

وإن قال قائل: أرسول الله كان يعلم المعنى أم لا يعلم؟.. إن كان يعلم لأخبرنا بها، وإن لم يخبرنا فقد أراد أن يكتمها. وإن لم يكن قد علم الأمر.. فهل تطلب لنفسك أن تعلم ما لم يعلمه ﷺ؟ أو أنّه ﷺ ترك لكل واحد أن يفهم ما يريد ولكن في إطار ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ...﴾.

والذين يمنعون التأويل يقولون: إيّاك أن تؤول اليد بالقدرة؛ لأنه إن قال: إنّ له يدًا، فقل ليست كأيدينا في إطار ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ...﴾؛ لأنه سبحانه

له حياة، وأنت لك حياة، أحياته كحياتك؟ لا، فلماذا إذن تجعل يده مثل يدك؟..
إذن لا بد أن ندخل على كل صفة لله فننفي عنها التعطيل وننفي عنها التشبيه.
ثم إن من يمنعون التأويل نقول لكل منهم: أنت ستضطر أخيرًا إلى أن تؤول؛
لأن الحق يقول: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، وما دام ﴿كُلُّ شَيْءٍ
هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فكل ما يطلق عليه شيء يهلك، ويبقى وجهه سبحانه فقط،
فلو أنت قلت الوجه هو هذا الوجه، فكأن يده تهلك ورجله تهلك وصدره
يهلك، وحاشا لله أن يحدث ذلك. وتكون قد دخلت في متاهة ما لها من آخر.
لذلك نقول: لنأخذ النص وندخله في إطار ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

وآية الاستواء على العرش هذه، مذكورة في سور كثيرة، وهي تحديدًا في
«سبعة مواضع»؛ في سورة الأعراف التي نحن بصددها، وسورة يونس، وسورة
الرعد، وسورة طه، وسورة الفرقان، وسورة السجدة، وسورة الحديد»[1].

- يرى الباحث أن الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ لم يُوافق السلف في إثبات صفة **(الاستواء)**
لله تعالى، وإن كان تارة يوافقهم ولكنه لا يخطّئ الذين أوَّلوا الاستواء.

وقد ورد ذكر الاستواء في غير هذا الموضع في ستة مواضع من كتاب الله
تعالى، وهذه الآيات تدل على استواء الله على عرشه وعلوه على خلقه تبارك
وتعالى، وكلها بلفظ استوى المتعدي بعلى، وقد فسره أئمة أهل السنة والجماعة
كأبي العالية، ومجاهد، وغيرهم بالعلو والارتفاع، وقد سئل الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ
عن الاستواء فقال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب،
والسؤال عنه بدعة»[2].

---

(١) «تفسير الشعراوي» (٧/ ٤١٦٨-٤١٧٠).

(٢) «اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث» لمحمد بن عبد الرحمن الخميس (ص: ٢٣).

وقال ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: « نعرف ربنا بأنه فوق سبع سماوات، على العرش استوى، بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية »[1].

وأجمع السلف على ذلك كما حكاه الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالته إلى أهل الثغر؛ فقد قال: « الإجماع التاسع: وأجمعوا ... وأنه تعالى فوق سماواته على عرشه دون أرضه، ... وليس استواؤه على العرش استيلاء كما قال أهل القدر؛ لأنه عَزَّ وَجَلَّ لم يزل مستوليًا على كل شيء »[2].

- المعية:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[العنكبوت: ٦٩].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾: كلمة (مع) تفيد المعية، والمعية في أعراف البشر أن يلتقي شيء بشيء، لكن إذا كانت المعية مع الله فافهم أنها معية أخرى غير التي تعرفها مع زميلك أو صديقك، خُذها في إطار ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ .. ﴾؛ فلك وجود ولله وجود، لكن أَوُجُودُكَ كَوُجودِ الله؟ »[3].

وقال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ **في تفسير قوله تعالى:** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]: « ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ هذه قضية معيّة الله لمن اتقاه، فمَنِ اتقى الله فهو في جواره ومعيته، وإذا كنت في معية ربك فمَن يجرؤ أن يكيدك، أو يمكرُ بك؟

---

(١) « الرد على الجهمية » للدارمي (ص: ٦٧).

(٢) « رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب » للأبي الحسن الأشعري (ص: ١٣٠-١٣١).

(٣) « تفسير الشعراوي » (١٨/ ١١٢٩٢).

وفي رحلة الهجرة تتجلى معية الله تعالى وتتجسد لنا في الغار، حينما أحاط به الكفار، والصِّدِّيق رضي الله عنه يقول للرسول ﷺ: لو نظر أحدهم تحت قدميه لَرَآنا، فيجيبه الرسول ﷺ وهو واثق بهذه المعية: « يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما »[1]. فما علاقة هذه الإجابة من رسول الله بما قال أبو بكر؟

المعنى: ما دام أن الله ثالثهما إذن فهما في معية الله، والله لا تدركه الأبصار، فمَن كان في معيته كذلك لا تدركه الأبصار »[2].

وقال الشعراوي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]: « لكن كيف يقول موسى عليه السلام هذه الكلمة (كلا) بملء فِيهِ، والأمر بقانون الماديات أنه عُرضة لأن يُدرَك قبل أن يكملها؟

والإجابة في بقية الآية: ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ فلم يقُل موسى: كَلاّ اعتمادًا على قوته واحتياطه للأمر، إنما قالها اعتمادًا على ربه الذي يَكْلَؤه بعينه، ويحرسُه بعنايته »[3].

وقال الشعراوي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]: « فكيف تحول الماء إلى جبال يفصل بينها سراديب وطرق يسير فيها موسى عليه السلام وقومه؟ كيف يسير موسى وقومه مطمئنين؟

لا بد إنها معية الله سبحانه التي تحميه، وهي تفسير لقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ »[4].

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٨٥٤).
(٢) « تفسير الشعراوي » (١٣/ ٨٣٠٠-٨٣٠١).
(٣) « تفسير الشعراوي » (١٧/ ١٠٥٧٨).
(٤) « تفسير الشعراوي » (١٠/ ٦١٧٩).

- يرى الباحث أن الشعراوي رحمه الله وافق السلف في إثبات هذه الصفة لله تعالى؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

و**(معية الله) تنقسم إلى قسمين**: عامة وخاصة:

أما العامة: هي التي تشمل كل أحد من مؤمن وكافر، ودليلها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

أما الخاصة: فتنقسم إلى قسمين:

١- مقيدة بوصف: مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

٢- مقيدة بشخص معين: مثل قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠].

- الكلام:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤].

قال الشعراوي رحمه الله: « وحين قال سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ إنما ينبهنا إلى أن الوحي لموسى ليس من الكلام الذي قسمه الحق في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى: ٥١]؛ لأن الله قال في كلامه لموسى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾.

ووقف العلماء هنا وقفة عقلية وقالوا: كيف يتكلم الله إذن؟ ونقول: إن كل وصف لله ويوجد مثله لخلقه إنما نأخذه بالنسبة لله في إطار: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ...﴾ فإن قلت: إن لله وجودًا وللإنسان وجودًا، فوجود الإنسان ليس كوجود الله، وإن قلنا: إن لله علمًا، وللإنسان علمًا، فعلم الإنسان ليس كعلم الله، وإن قلنا: إن لله قدرة، وللإنسان قدرة، فقدرة الإنسان ليست كقدرة الله، وإن قلنا: إن لله استواء على العرش وللإنسان استواء على الكرسي، فاستواء الله ليس كاستواء الإنسان. إذن فلا بد أن تؤخذ كل صفة من صفات الله التي يوجد مثلها في البشر في إطار قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ...﴾. وبذلك ينتهي الخلاف كله في كل ما يتعلق بصفات الحق.

فالحق له يدان وله وجه، ولكن لا يمكن للإنسان أن يتصور يدَ الله كيَدِ البشر، بل نأخذها في إطار ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ...﴾ وكذلك وجه الله. ومادمنا نأخذ صفات الله في إطار ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ...﴾ فلا داعي للمعركة الطاحنة بين العلماء في الصفات وفي تأويل الصفات، ولا داعي أن ينقسم العلماء إلى عالم يؤوّل الصفات وعالم لا يؤول؛ لا داعي أن يقول عالم: إن يد الله هي قدرته فيؤول، وعالم آخر لا يؤول ويقول: لا. إن لله يدًا ويسكت. ونقول للعالم الذي لا يؤول: قل: إن لله يدًا وهي تناسب قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ...﴾.

وإذا كنا نحن قد عرفنا في عالمنا أن الأشياء تختلف مواجيدها في الناس باختلاف الناس، فلا بد من أن نعرف أن الله لا مثيل له »[1].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٥/ ٢٨٤٦).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ وحين تقول كلم الله، إياك أن تغفل عن قضية كليّةٍ تحكم كلَّ وصف لله يوجّدُ في البشر، فأنا أتكلم والله يتكلم، لكن أكلامُه سبحانه مثل كلامي؟ إن كنت تعتقد أن وجودي مثل وجوده فاجعل كلامي ككلامه، وإن كان وجودي ليس كوجوده فكيف يكون كلامي ككلامه؟

ربما يقول أحد: إن الكلام صوت وأحبال صوتية وغير ذلك، نقول له: لا، أنت لا تأخذ ما يخص الله سبحانه إلا في إطار ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ .. ﴾ ونحن نأخذ كل وصف يرد عن الله بواسطة الله، ولا نضع وصفًا من عندنا، وبعد ذلك لا نقارنه بوصف للبشر. فلله حياة ولك حياة، لكن أَحَياةُ أيٍّ منا كحياته سبحانه؟ لا، إن حياته ذاتية، وحياة كل منا موهوبة مسلوبة، فليست مثل حياته »[1].

- يرى الباحث أن الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وافق السلف في إثبات صفة « **الكلام** » لله تعالى؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وهذه الآيات تدل على إثبات صفة الكلام لله، وأن القرآن من كلامه تعالى، وأهل السنة يثبتون أن الله يتكلم بكلام حقيقي متى شاء وبما شاء وكيف شاء؛ بحرف وصوت مسموع، لا يماثل أصوات المخلوقين، وهي من صفاته الذاتية والفعلية.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٢/ ١٠٧٤).

- **الرؤية:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[البقرة: ٥٥].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولابد أن نعرف أن قضيةَ رؤيةِ الله في الدنيا محسومةٌ، وأنه لا سبيل إلى ذلك والإنسانُ في جسده البشري؛ لأن هذا الجسد له قوانين في إدراكاته، ولكن يوم القيامة نكون خلقا بقوانينَ تختلف، ففي الدنيا لا بد أن تخرج مخلفات الطعام من أجسادنا، وفي الآخرة لا مخلفات. وفي الدنيا يحكمنا الزمن، وفي الآخرة لا زمن، إذ يظل الإنسان شبابًا دائمًا، إذًا فهناك تغيير..

المقاييس هنا غير المقاييس يوم القيامة، في الدنيا بإعدادك وجسدك لا يمكن أن ترى الله، وفي الآخرة يسمح إعدادك وجسدك بأن يتجلى عليك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا قمة النعيم في الآخرة. أنت الآن تعيش في أثار قدرة الله.. وفي الآخرة تعيش عيشة الناظر إلى الله تبارك وتعالى؛ وفي ذلك يقول الحق جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٢-٢٣].

والإنسان في الدنيا قد اخترع آلات مَكَّنَتْه من أن يرى ما لا يراه بعينه المجردة، يرى الأشياء الدقيقة بواسطة الميكرسكوب، والأشياء البعيدة بواسطة التلسكوب.. فإذا كان عمل الإنسان في الدنيا جعله يبصر ما لم يكن يبصره، فما بالك بقدرة الله في الآخرة.. وإذا كان الإنسان عندما يضعف نظره يطلب منه الطبيب استعمال نظارة، فإذا ذهب إلى طبيب أمهر؛ أجرى له عملية جراحية في عينه يستغني بها عن النظارة ويرى بدونها، فما بالكم بإعداد الحق للخلق

وبقدرة الله التي لا حدود لها في أن يعيد خلق العين بحيث تستطيع أن تتمتع بوجهه الكريم! »[1].

- يرى الباحث أن الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ وافق السلف في إثبات رؤية الله تعالى يوم القيامة.

- الإدراك، اللطيف، الخبير:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « وقد وقف العلماء وقفة كبيرة واختلفوا: هل الإنسان يرى ربه أو لا يراه، سواء في الدنيا أم في الآخرة؟ بعضهم قال: لا أحد يرى الله بنص الآية: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ ونقول: لكن هناك آيات في القرآن تقول: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

و « ناظرة » تضمن الرؤية وتفيدها، وأيضًا فالله يعاقب من كفر به بأن يحتجب عنه؛ لأنه القائل: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥].

فالكافرون محجوبون عن رؤية الله عقابًا لهم، ولو اشتركنا معهم وحُجِبنا كما حُجِبوا فما ميزتنا كمؤمنين؟ إذن فالعلماء المنكرون للرؤية لم ينتبهوا إلى أن هناك فرقًا بين الأداء القرآني وما يقولون. وحين يحتج عالم منهم بأن رؤية الله غير ممكنة لأن ربنا سبحانه قال لموسى: ﴿ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ فلماذا لم يلتفت هذا العالم إلى قول الحق:

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١/ ٣٤٧).

﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

إذًا، فالله تجلى لبعض خلقه، أما أن يراه الخلق في الدنيا فلا؛ لأن تكويننا غير مؤهل لأن يرى الحق، بدليل أن الأصلب والأقوى منا وهو الجبل حينما تجلى ربه عليه انْدَكَّ، فلما اندك الجبلُ خَرَّ موسى صعقًا، فإذا كان موسى قد خر صَعِقًا لرؤية المُتَجلَّى عليه وهو الجبل فكيف لو رآه؟! إذًا فهو غير مُعَدّ له.

لقد اختلف العلماء عند هذه الآية، وتجلَّى خلافهم إلى أبعد حد؛ فمنهم مجيز للرؤية، ومنهم منكر لها، وأرى أن خلافهم في غير محل نزاع؛ لأنهم تكلموا عن الرؤية، والكلام هنا عن نفي الإدراك، والإدراك إحاطة؛ والرؤية تكون إجمالًا، إنما الإحاطة ليست ممكنة، وعلى تقدير أن الرؤية والإدراك متحدان في المفهوم نقول: لماذا يكون الخلاف في أمر الآخرة؟ لو أن الخلاف في أمر الرؤية في الدنيا لكان هذا كلامًا جميلًا، ولكن الخلاف جعلتموه في الآخرة.

إنّ آيات القرآن صريحة في أن رؤية الحق ﷻ من نِعَمِ الله على المؤمنين، وهي زيادة في الحسنى عليهم، وحجبه سبحانه عن الكفار لون من العقوبة لهم. ونقول - أيضًا -: لماذا لا تقولون: إن الإدراك سيوجد في الآخرة بكيفية ليست موجودة في دنيانا؟ لأننا في هذه الدنيا معدُّون إعداد أسباب، وفي الآخرة سنكون معدين إعدادًا لغير أسباب.

أنت هنا إذا أحببت أن تشرب تطلب الماء أو تذهب للماء وتشرب، وحين تريد أن تأكل الشيء الفلاني، تقول لأهل البيت: اصنعوا لي كذا أو تشتري ما تريده، إنما هناك في الآخرة بمجرد أن يخطر ببالك ما تشتهيه تجده أمامك، وهذا

قانون جديد لا ارتباط له بقانون الدنيا، فلماذا لا يكون في تكويننا في الآخرة أيضًا قانون يمكن به أن نرى الله وفي إطار ليس كمثله شيء؟ ».

- يرى الباحث أن الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ وافق السلف في إثبات رؤية الله تعالى يوم القيامة.

ثم قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾: ولطيف تناسب ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ و﴿ ٱلْخَبِيرُ ﴾ يناسب ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾، ولطيف لها معنى خاص؛ فالشيء اللطيف يستعمل في دقيق التكوين.. وحين نقول: « لطيف، فهي مبالغة في اللطف؛ لأنه لاطف بكل إنسان وكل كائن وهذا يحتاج إلى مبالغة، ولذلك نقول: رحيم، وهي صيغة مبالغة؛ لأنه يسبغ رحمته على عباده، وأول مظهر من مظاهر اللطف، هو تدبير أمورهم الدقيقة تدبيرًا يحقق مصالحهم في وجودهم.. ومن مظاهر اللطف في الحق نجد أمورًا لا توصف، ولذلك كل واحد من العلماء انفعل لزاوية من زوايا لطف الله على خلقه.. فواحد قال: هو « سبوغ النعم »، وقال الثاني: « دقة التدبير »، وقال الثالث: إن من مظاهر لطف الحق أنه يستقل كثير من النعم على خلقه، فالنعم التي منحها خلقه قليلة لأن خزائنه - سبحانه - ملأى وعطاياه لا تنفد ولا يعتريها نقص، ولذلك قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

أي أن نعمه الكثيرة على عباده قليلة، وفي المقابل: يستكثر قليل الطاعة من خلقه، أي: يعتبرها - تفضلًا منه - كثيرة؛ لأنه هو الذي يجزي الحسنة بعشر أمثالها.

إذن فمظاهر اللطف لا حصر لها، وعلى قدر دقة اللطف تكون دقة مأتاه وإحصائه، فهو اللطيف الذي إذا ناديته لبّاك، وإذا قصدته آواك، وإذا أحببته

أدناك، وإذا أطعته كافاك، وإذا أعطيته وأقرضته من فضله وماله الذي منحك عافاك، وإذا أعرضت عنه دعاك، فهو القائل: « يا ابن آدم إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي، وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير منهم، وإن دنوت منّي شبرًا دنوت منك ذراعًا، وإن دنوت منّي ذراعًا دنوت منك باعًا، وإن أتيتني تمشي أتيتك أهرول »، وكلها مظاهر لطف. وهو المنادى: « توبوا إلى الله »، والرسول ﷺ هو القائل: « **لله أشد فرحًا بتوبة عبده من أحدكم إذا سقط على بعيره قد أضله بأرض فلاة** »[1]، وإذا قربت من الله هداك. ويأتي عالم آخر ممن انفعلوا بصفات اللطف، فيقول: الذي يجازيك إن وفيت، ويعفو عنك إن قصرت. وعالم آخر يضيف إلى معاني اللطف فيقول: من افتخر به أعزه، ومن افتقر إليه أغناه. وعالم ينفعل انفعالًا آخر بمظاهر اللطف فيقول: من عطاؤه خير، ومَنْعُه ذخيرة.

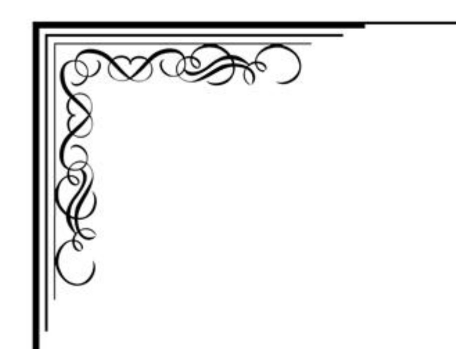
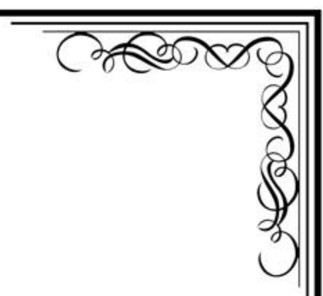
ثم قال: وقول الحق: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ مناسب لكلمة « خبير »، ونحن في حياتنا نسمع كلمة « خبير »، فعندما نقابل أي مشكلة من المشكلات نجد من يقول: نريد أن نسمع رأي الخبير فيها، وفي القضاء نجد القاضي يستدعي خبيرًا ليكتب تقريرًا في أمر يحتاج إلى من هو متخصص فيه وعليم به، إذن فالخبير في مجال ما هو الذي يعرف تفاصيل الأمر، فما بالنا بالخبير الأعلى الذي لا يستعصّي عليه شيء في ملكه!... »[2].

- يرى الباحث أن الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وافق السلف في إثبات هذه الصفة لله تعالى؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

---

(١) المسند؛ للإمام أحمد، (٢٠/ ٤٤٣). وأصله عند مسلم، (٤/ ٢١٠٤).

(٢) « تفسير الشعراوي » (٦/ ٣٨٤٢-٣٨٤٣).

الباب الثاني

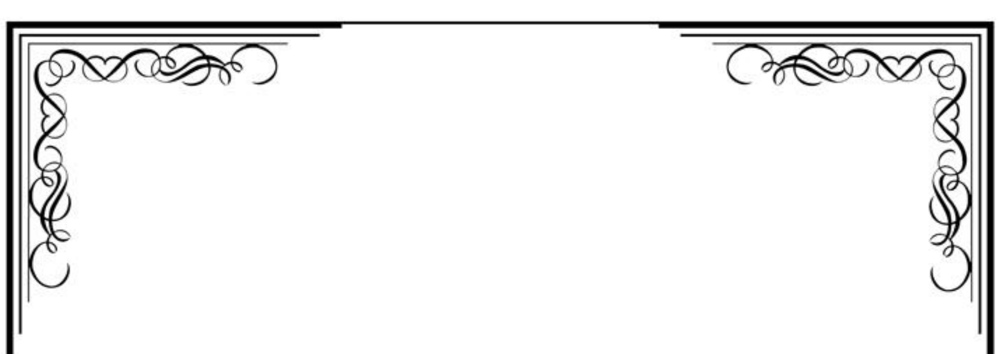
النبوات

وفيه فصلان

الفصل الأول: الإيمان بالرسل

الفصل الثاني: الإيمان بالكتب



المبحث الأول

معنى الإيمان بالرُسل، وحُكمه، وثمراته، وحاجة البشرية لهم

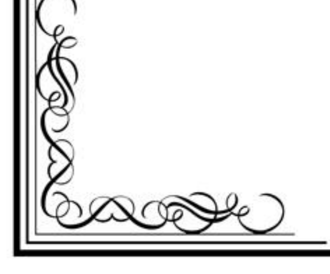
وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: تعريف النبي والرسول، والفرق بينهما

المطلب الثاني: معنى الإيمان بالرُسل، وحُكمه

المطلب الثالث: ثمرات الإيمان بالرُسل، وحاجة البشرية لهم

المطلب الرابع: ما يجب علينا نحو الرسل





المطلب الأول:

تعريف النبي والرسول، والفرق بينهما.

تعريف النبي والرسول لغة:

النبي:

في لغة العرب مشتق من النبأ وهو الخبر، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١-٢]، وإنّما سمّي النبي نبيًّا لأنه مُخبِرٌ مُخبَر، فهو مُخبَر، أي: أنَّ الله أخبره، وأوحى إليه، ﴿قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣]، وهو مُخبِرٌ عن الله تعالى أمرَه ووحيَه ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩]، ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحجر: ٥١].

وقيل: النبوة مشتقة من النَّبوَة، وهي ما ارتفع من الأرض، وتطلِق العربُ لفظَ النبي على عَلَمٍ من أعلام الأرض التي يُهتدى بها.

والمناسبة بين لفظ النبي والمعنى اللغوي: أنَّ النبي ذو رفعة وقدر عظيم في الدنيا والآخرة، فالأنبياء هم أشرف الخلق، وهم الأعلام التي يهتدي بها الناس فتصلح دنياهم وأخراهم[(١)].

والرسول:

الإرسال في اللغة: التوجيهُ، فإذا بعثت شخصًا في مهمة فهو رسولك، قال تعالى حاكيًا قول ملكة سبأ: ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥].

---

(١) انظر: « لوامع الأنوار البهية » للسفاريني (١/ ٤٩)، و« لسان العرب » لمحمد بن منظور (٣/ ٥٦١-٥٧٣).

وقد يُريدون بالرسول ذلك الشخص الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أخذًا من قول العرب: « جاءت الإبلُ رَسَلًا » أي: متتابعة.

وعلى ذلك فالرُّسل إنّما سمّوا بذلك لأنَّهم وُجّهوا من قبل الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ... ﴾ [المؤمنون: ٤٤]، وهم مبعوثون برسالة معينة مُكلَّفون بحملها وتبليغها ومتابعتها[1].

تعريف النبي والرسول شرعًا:

لا يصحُّ قول من ذهب إلى أنه لا فرق بين الرسول والنبي، ويدلُّ على بطلان هذا القول ما ورد في عِدة الأنبياء والرسل، فقد ذكر الرسول ﷺ « أنَّ عِدة الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبي، وعدَّة الرسل ثلاثمائة وبضعة عشر رسولًا »[2]. ويدلّ على الفرق أيضًا:

١- ما ورد في كتاب الله من عطف النبي على الرسول؛ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [الحج: ٥٢].

٢- وصف بعض الرسل بالنبوة والرسالة مما يدُل على أن الرسالة أمر زائد على النبوة، كقوله في حقِّ موسى عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٥١].

قال الشعراوي رحمه الله **في تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾: « والرسول: مَن أُوحي إليه بشرع يعمل به ويُؤمَر بتبليغه لقومه،

---

(١) انظر: « المصباح المنير » (ص:٢٦٦)، و« لسان العرب » (٢/ ١١٦٦-١١٦٧)، و« الرسل والرسالات »؛ لعمر الأشقر (ص: ١٣).

(٢) المسند؛ للإمام أحمد، (٥/ ٢٦٥) (٢٢٣٤٢)؛ وهو لا يصح.

أما النبي، فهو مَن أُوحِي إليه بشرع يعمل به لكن لم يُؤمَر بتبليغه. إذن: فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولًا؛ لأن النبي يعيش على منهج الرسول الذي يعاصره أو يسبقه »[1].

وقال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ **في تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]: « الأنبياء غير الرسل، والأنبياء أسوة سلوكية ولكنهم لا يأتون بمنهج جديد، أما الرسل فهم أنبياء لأنهم أسوة سلوكية، ورسلٌ لأنهم جاءوا بمنهج جديد؛ ولذلك كل رسول نبي وليس كل نبي رسولًا »[2].

وفي معنى النبي والرسول قولان شائعان:

الأول: أن الرسول من أوحي إليه بشرعٍ جديد وأمر بتبليغه، والنبي: من أوحي إليه ولم يؤمر بالبلاغ.

والثاني - وهو المختار -: أن النبي هو الذي يرسل إلى قوم موافقين له مؤمنين به فيكون مجددًا لهم أمر دينهم، أما الرسول؛ فهو الذي يرسل إلى قوم مخالفين له كافرين بالله، فيدعوهم إلى توحيد الله تعالى[3].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١٥/ ٩١١٩).

(٢) « تفسير الشعراوي » (١/ ٣٦٨).

(٣) « الرسل والرسالات » لعمر الأشقر (ص: ١٤-١٥).

المطلب الثاني:
معنى الإيمان بالرُسل، وحُكمه.

تمهيد:

علينا الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله وأنبياءه، والإيمان بأن الله تعالى أرسل رُسلًا سِواهم وأنبياء، لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم، فعلينا الإيمان بهم جملة لأنه لم يأت في عددهم نص؛ وقد قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ... ﴾[غافر: ٧٨].

وعلينا الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنهم بينوه بيانًا لا يسع أحدًا ممن أُرسلوا إليه جهله، ولا يحل خلافه؛ قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾[النحل: ٨٢].

وأما أولو العزم من الرسل؛ فقد قيل فيهم أقوالٌ، أحسنها: ما نقله الإمام البغوي وغيره عن ابن عباس وقتادة أنهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهم.

قال: « وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾[الأحزاب: ٧]، وفي

قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ ...﴾ [الشورى: ١٣] »[1].

وأما الإيمان بمحمد ﷺ: فتصديقه واتّباع ما جاء به من الشرائع إجمالًا وتفصيلًا[2].

والإيمان برسل الله ﷻ متلازم؛ فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالله تعالى وبجميع الرسل عليهم السلام كما قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

---

(١) « تفسير البغوي » (٧/ ٢٧٢).

(٢) « شرح العقيدة الطحاوية » لابن أبي العز الحنفي (٢/ ٤٢٣).

معنى الإيمان بالرسل:

هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمةٍ رسولًا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يُعبَد من دونه، وأَنَّ جميعهم صادقون مصدقون بارُّون راشدون كرام بررة أتقياء أمناء هداة مهتدون، وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيَّدون، وأنهم بلَّغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا منه حرفًا ولم يغيروه، ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفًا ولم ينقصوه، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين. وأنهم كلهم كانوا على الحق المبين، والهدى المستبين، وأن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلًا، واتخذ محمدًا ﷺ خليلًا، وكلَّم موسى تكليمًا، ورفع إدريس مكانًا عليا، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الله تعالى فضَّلَ بعضَهم على بعض ورفع بعضهم على بعض درجات، وقد اتفقت دعوتهم من أولهم إلى آخرهم في أصل الدين وهو توحيد الله ﷻ بإلٰهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ونفي ما يضاد ذلك أو ينافي كماله كما تقدم ذلك في تقرير توحيد الطلب والقصد، وأما فروع الشرائع من الفرائض والحلال والحرام فقد تختلف، فيفرض على هؤلاء ما لا يفرض على هؤلاء، ويُخفف على هؤلاء ما شدد على أولئك، ويحرم على أمة ما يحل للأخرى وبالعكس، لحكمة بالغة وغاية محمودة قضاها ربنا ﷻ ليبلوكم فيما آتاكم، وليبلوكم أيكم أحسن عملا، وقد ذكر الله تعالى في كتابه منهم: آدم ونوحًا وإدريس وهودًا وصالحًا وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف ولوطًا وشعيبًا ويونس وموسى وهارون وإلياس وزكريا ويحيى واليسع وذا الكفل وداود

وسليمان وأيوب، وذكر الأسباط جملة، وعيسى ومحمدًا ﷺ، وقص علينا من أنبائهم ونبَّأنا من أخبارهم ما فيه كفايةٌ وعبرة وموعظة إجمالًا وتفصيلًا ثم قال: « ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]؛ فنؤمن بجميعهم تفصيلًا فيما فصل وإجمالًا فيما أجمل »[1].

وأهل السنة والجماعة: يؤمنون ويعتقدون اعتقادًا جازمًا بأن الله سبحانه أرسل إلى عباده رسلًا مبشرين ومنذرين، ودعاة إلى دين الحق، لهداية البشر، وإخراجهم من الظلمات إلى النور؛ فكانت دعوتهم إنقاذًا للأمم من الشرك والوثنية، وتطهيرًا للمجتمعات من التحلل والفساد، وأنهم بلغوا الرسالة، وأدوا الأمانة، ونصحوا الأمة، وجاهدوا في الله حق جهاده، وقد جاؤوا بمعجزات باهرات تدل على صدقهم، من كفر بواحدٍ منهم؛ فقد كفر بالله تعالى وبجميع الرسل عليهم السلام، وقد بيَّنَ الله الحكمةَ من بعثة الرسل الكرام، فقال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥].

---

(١) « معارج القبول بشرح سلم الوصول » لحافظ بن أحمد الحكمي (ص: ٨٣٠).

حُكم الإيمان بالرُسل:

الإيمان بالرسل ركن من أركان الإيمان لا يتم إيمان أحد إلا به، ومن كفر برسول منهم؛ فقد كفر بهم جميعًا؛ قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥٢].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ووضع الحق سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الإيمان بالرسل كلهم في صيغة جمع حتى لا تفهم كل أمة أن رسولها فقط هو الرسول المنزل من عند الله، بل لا بد أن تؤمن كل أمة بالرسل كلهم؛ لأن كل رسول إنما جاء على ميعاده من متطلبات المجتمع الذي يعاصره، وكلهم جاءوا بعقائد واحدة، فلم يأت رسول بعقيدة مخالفة لعقيدة الرسول الآخر؛ وإن اختلفوا في الوسائل والمسائل التي تترتب عليها الارتقاءات الحياتية»[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]؛ **دلت هذه الآية، على أن من كذب واحدًا منهم فقد كذب بهم جميعًا؛ لأن قوم نوحًا أرسل الله اليهم نوح** عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ **فقط.**

(١) «تفسير الشعراوي» (٥/ ٢٧٦٩-٢٧٧٠).

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « ونلحظ أن الآية تقول: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ كيف وهم ما كذّبوا إلا رسولهم نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ وكانوا مؤمنين قبله بآدم وإبراهيم مثلًا.

قالوا: لأن الرسل عن الله إنما جاءوا في أصول ثابتة في العقيدة وفي الأخلاق لا تتغير في أي دين؛ لذلك فمن كذَّب رسوله فكأنه كذَّب كل الرسل.

ألاَ ترى أن من أقوال المؤمنين أن يقولوا: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ٨٤].

وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[البقرة: ٢٨٥].

فإن قُلتَ: فماذا عن اختلاف المناهج والشرائع من نبي لآخر؟ نقول: هذه اختلافات في مسائل تقتضيها تطورات المجتمعات، وهي فرعيات(١) لا تتصل بأصل العقائد والأخلاق الكريمة.

لذلك نجد هذه لازمة في كُلِّ مواكب الرسالات، يقول: المرسِلين، المرسَلين؛ لأن الذي يُكذِّب رسوله فيما اتفق فيه الأجيال من عقائد وأخلاق، فكأنه كذّب جميع المرسلين »(٢).

---

(١) قال الشهرستاني: « ومن المعلوم أن الدين إذا كان منقسمًا إلى معرفة وطاعة، والمعرفة أصل والطاعة فرع، فمن تكلم في المعرفة والتوحيد كان أصوليًا، ومن تكلم في الطاعة والشريعة كان فروعيًا، فالأصول هو موضوع علم الكلام، والفروع هو موضوع علم الفقه ». « الملل والنحل » (١/ ٤١).

(٢) « تفسير الشعراوي » (١٧/ ١٠٦١٧-١٠٦١٨).

ومن السنة حديث جبريل عليه السلام: « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره[1] »[2].

والإيمان بالرسل يشمل:

١- الإيمان بأنهم رُسل الله حقًّا إلى الأقوام الذين ذكروا أنهم رسل الله إليهم، قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ [الأعراف: ٧٣][3].

٢- الإيمان بمن عَلِمْنا اسمَه منهم باسمه: كالثمانية عشر في قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦][3].

ومن الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - من لم نَعْلَمْ أسماءهم ولم يقص الله علينا خبرهم فنؤمن بهم إجمالًا.

٣- الإيمان بأن محمدًا ﷺ بعث إلى الناس كآفة إلى قيام الساعة، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين: قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٣٦) برقم (٨).

(٢) « مادة العقيدة » للدكتور أبو زيد مكي (ص: ٩٦).

(٣) « الرسل والرسالات » لعمر الأشقر (ص: ١١٩-٢٠٥).

وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿ قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨][١].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسير قوله تعالى:** ﴿ قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾: «هنا يأمر الحق رسوله بالآتي: ﴿ قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ في رسالة تعم الزمان، وتعم المكان؛ وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسًا لم يُعطَهن أحد من الأنبياء قبلي.. نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعِلَتْ لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة»[٢].

ثم بعد ذلك أراد الحق سبحانه وتعالى أن يثبت عمومية الرسالة بعمومية تسخير الكون للخلق؛ لذلك كان الحديث موجهًا إلى كافة الناس: ﴿ قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾؛ وكل من يطلق عليهم ناس فالرسول مرسل إليهم: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾»[٣].

٤- اعتقاد أن لهم دلائل تدل على صدق نبوتهم: منها ما يُجريه الله على أيديهم من آيات تصديقًا لهم، وما بشر به الأنبياء السابقون بالأنبياء اللاحقين، ومنها النظر في أحوال الأنبياء وسيرتهم ودعوتهم، كل ذلك يدل على صدقهم[٤].

---

(١) «الرسل والرسالات» لعمر الأشقر (ص: ١١٩-٢٠٥).

(٢) صحيح البخاري (١/ ٩٥)، ومسلم (١/ ٣٧٠).

(٣) «تفسير الشعراوي» (٧/ ٤٣٨٥-٤٣٨٦).

(٤) «الرسل والرسالات» لعمر الأشقر (ص: ١١٩-٢٠٥).

المطلب الثالث:

ثمرات الإيمان بالرُسل، وحاجة البشرية لهم.

ثمرات الإيمان بالرُسل:

الأولى: العلم برحمة الله تعالى وعنايته بعباده حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله تعالى، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله، لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك[1].

الثانية: شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى[1].

الثالثة: محبة الرسل عليهم السلام وتعظيمهم، والثناء عليهم بما يليق بهم، لأنهم رسل الله تعالى، ولأنهم قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده[1].

الأصول التي دعا إليها الأنبياء والرسل:

جميع الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - جاءوا بالتوحيد الخالص؛ الذي لا ظل فيه للشرك في صورة من صوره، وأمروا الناس بعبادة الله وحده، وأخبروا أممهم أنهم بشر لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًا، ولا يعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه، ولا يملكون بسط الرزق لأحد، ولا قبض الرزق عن أحد، وأنذروا قومهم الآخرة، ورغَّبوهم في الجنة، وحذروهم من النار، وأمروهم بطاعة الله، ونهوهم عن معصية الله، ودعوا إلى مكارم الأخلاق. فهذه الأصول التي دعا إليها كل رسول من رسل الله إلى عباده.

---

(١) « شرح ثلاثة الأصول » لابن عثيمين (ص: ٩٩).

قال الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ..﴾ [النحل: ٣٦].

حاجة البشرية للرسل:

قال الله في هذا الأمر: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، فهم سبب للهداية والإنذار للجميع، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم للطعام والشراب(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرسالة ضرورية للعباد، لا بدَّ لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روحُ العالم ونورُه وحياته، فأيُّ صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟! والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة، ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة، وهو من الأموات،

---

(١) «الرسل والرسالات» لعمر الأشقر (ص: ٢٩-٣٤).

قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، فهذا وصف المؤمن كان ميتًا في ظلمة الجهل، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نورًا يمشي به في الناس، وأمّا الكافر فميت القلب في الظلمات ».

وبيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ: « أنّ الله سمّى رسالته روحًا، والروح إذا عدم فقدت الحياة، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، فذكر هنا الأصلين، وهما: الروح، والنور، فالروح الحياة، والنور النور ».

وبيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ: « أن الله يضرب الأمثال للوحي الذي أنزله حياة للقلوب ونورًا لها بالماء الذي ينزله من السماء حياة للأرض، وبالنَّار التي يحصل بها النور، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾[الرعد: ١٧] ».

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ **معقبًا على الآية:** « فشبَّه العلمَ بالماء المنزل من السماء لأن به حياةَ القلوب، كما أنَّ بالماء حياة الأبدان، وشبّه القلوب بالأودية، لأنّها محلّ العلم، كما أنَّ الأودية محلُّ الماء، فقلب يسع علمًا كثيرًا، وواد يسع ماءً كثيرًا، وقلب يسع علمًا قليلًا، وواد يسع ماءً قليلًا، وأخبر تعالى أنَّه يعلو على السيل من الزبد بسبب مخالطة الماء، وأنّه يذهب جفاءً، أي: يرمى به، ويخفى، والذي ينفع الناس يمكث في الأرض ويستقر، وكذلك القلوب تخالطها الشهوات والشبهات، ثم تذهب جفاءً، ويستقر فيها الإيمان والقرآن الذي ينفع صاحبه

والناس، وقال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ﴾ فهذا المثل الآخر وهو الناري، فالأول للحياة، والثاني للضياء ».

وبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « أنَّ لهذين المثالين نظيرًا، وهما المثالان المذكوران في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٧-١٩] ».

وبعد أن بيَّن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **وَصف المؤمن، بيَّنَ وَصف الكافر، فقال:** « وأمّا الكافر ففي ظلمات الكفر والشرك غيرُ حيّ، وإن كانت حياته حياة بهيمية، فهو عادم الحياة الروحانية العلوية التي سببها الإيمان، وبها حصل للعبد السعادةُ والفلاح في الدنيا والآخرة، فإنّ الله - سبحانه - جعل الرسل وسائط بينه وبين عباده في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم، وتكميل ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم، وبعثوا جميعًا بالدعوة إلى الله وتعريف الطريق الموصل إليه، وبيان حالهم بعد الوصول إليه ».

ثم بيّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ **هذه الأصول التي أشار إليها هنا فقال:** « فالأصل الأول يتضمن إثبات الصفات والتوحيد والقدر، وذكر أيام الله في أوليائه وأعدائه، وهي القصص التي قصّها الله على عباده والأمثال التي ضربها لهم .

والأصل الثاني يتضمن تفصيل الشرائع والأمر والنهي والإباحة، وبيان ما يحبه الله وما يكرهه. والأصل الثالث يتضمن الإيمان باليوم الآخر، والجنّة والنار والثواب والعقاب ».

ثم بيّن رَحِمَهُ اللَّهُ: « أنَّ على هذه الأصول الثلاثة مدار الخلق والأمر، والسعادة والفلاح موقوفة عليها، ولا سبيل إلى معرفتها إلاّ من جهة الرسل، فإنَّ العقل لا يهتدي إلى تفاصيلها ومعرفة حقائقها، وإن كان قد يدرك وجه الضرورة إليها من حيث الجملة، كالمريض الذي يدرك وجه الحاجة إلى الطب ومن يداويه، ولا يهتدي إلى تفاصيل المرض، وتنزيل الدواء عليه »[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: « ومن هاهنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول، وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا، ولا في الآخرة إلاّ على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلاّ من جهتهم، ولا يُنال رضا الله البتة إلاّ على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلاّ هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح، الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم تُوزَنُ الأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميزُ أهلُ الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظمُ من ضرورة البدن إلى روحه، والعينِ إلى نورها، والروحِ إلى حياتها، فأيّ ضرورة وحاجة فُرِضَتْ فضرورةُ العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير. وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديهُ وما جاء به طرفةَ عين فَسَدَ قلبُك، وصار كالحوت إذا فارق الماء، ووضع في المقلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال، بل أعظم، ولكن لا يحسُّ بهذا إلاّ قلبٌ حيٌّ؛ فما لجرح بميت إيلام.

---

(١) « مجوع الفتاوى » لابن تيمية (١٩/ ٩٣-٩٦).

وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقةً بهدي النبي ﷺ فيجب على كل من نصح نفسه، وأحبَّ نجاتها وسعادتها، أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقلٍّ، ومستكثر، ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو فضل عظيم »[1].

❁ ❁ ❁

(١) « زاد المعاد »؛ لابن القيم (١/ ١٥).

المطلب الرابع:

ما يجب علينا نحو الرسل.

يجب على الأمة تجاه الرسل حقوق عظيمة بحسب ما أنزلهم الله من المنازل الرفيعة في الدين، وما رفعهم الله إليه من الدرجات السامية الجليلة عنده، وما شرَّفهم به من المهمات النبيلة، وما اصطفاهم به من تبليغ وحيه وشرعه لعامة خلقه. ومن هذه الحقوق:

١- تصديقهم جميعًا فيما جاءوا به، وأنهم مرسَلون من ربهم، مبلِّغون عن الله ما أمرهم الله بتبليغه لمن أرسلوا إليهم وعدم التفريق بينهم في ذلك؛ قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ... ﴾[النساء: ٦٤].

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [النساء: ١٥٠-١٥٢]، فيجب تصديق الرسل فيما جاءوا به من الرسالات، وهذا مقتضى الإيمان بهم.

قال الشعراوي رحمه الله **في تفسير قوله تعالى**: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾: « وسبحانه يريد أن يجعل من قضية الإيمان قضية كلية واحدة لا أبعاض فيها، فليس إعلانُ الإيمان بالله وحده كافيًا لأن يكون الإنسان مؤمنًا؛ لأن مقتضى أن تؤمن بالله يحتاج إلى رسول يعرفك أن

الخالق هو الذي سخر لك قوى الكون واسمُه (الله).. إذن فعندما يسمع أحدنا إنسانًا يقول: أنا أؤمن بالله ولكن لا أؤمن بالرسل، علينا أن نقول له: هذا أول الزلل العقلي؛ لأن الإيمان بالله يقتضي الإيمان ببلاغ جاء به رسول؛ لأن الإيمان بالله لا ينفصل عن الإيمان بالرسول.. وهؤلاء الرسل أعدَّهُم سبحانه إعدادًا خاصًا لتلقي هذه المهمة. إذن فالذين يريدون أن يؤمنوا بالله ثم يكفروا برسله نقول لهم: لا، هذا إيمان ناقص »[(١)].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللهُ « فالذين يريدون أن يؤمنوا بالله ثم يكفروا برسله نقول لهم: لا، هذا إيمان ناقص »: غير صحيح، والصحيح أن يُقال : هذا كفر وليس بإيمان ناقص.

وممّا يجب معرفته أنه لا يجوز لأحد من الثقلين متابعة أحدٍ من الرسل السابقين بعد مبعث محمد ﷺ المبعوث للناس كافة، إذ أن شريعته جاءت ناسخة لجميع شرائع الأنبياء قبله، فلا دينَ إلا ما بعثه الله به، ولا متابعةَ إلا لهذا النبي الكريم؛ قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا .. ﴾ [الأعراف: ٥٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٥/ ٢٧٦٣-٢٧٦٧).

ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾ [المائدة: ٤٨].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « أما قوله: ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ فالمقصود به الزبور والتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وموسى، ثم جاء القرآن مهيمنًا على كل هذه الكتب... إذًا فـ « مهيمن » هو قيم وشاهد ورقيب. وما دام القرآنُ قد جاء مصدقًا لما بين يديه من الكتاب فعلى أي مجال يهيمن؟ نحن نعرف مدلول الكتاب بأنه نزل من عند الله، فإن بقي الكتاب الذي من عند الله كما هو فالقرآن مصدق لما به، أما إن لعبت في ذلك المنهج أهواءُ البشر فالقرآن مهيمن؛ لأنه يصحّحُ المنهجَ ويُنَقّيه من أهواء البشر »(١).

٢- موالاتهم جميعًا ومحبتُهم والحذرُ من بغضهم وعداوتهم؛ قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ .. ﴾ [التوبة: ٧١]؛ فتضمنت الآية وصف المؤمنين بموالاة بعضهم لبعض، فدخل في ذلك رسلُ الله الذين هم أكمل المؤمنين إيمانًا، وعليه فإنَّ موالاتهم ومحبتهم في قلوب المؤمنين هي أعظم من موالاة غيرهم من الخلق لعلو مكانتهم في الدين ورفعة درجاتهم في الإيمان. ولذا حذّر الله من معاداة رسله وعطفها في الذكر على معاداة الله وملائكته، وقرن بينهما في العقوبة والجزاء؛ فقال عز من قائل: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة: ٩٨].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٥/ ٣١٨١-٣١٨٢).

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « وهكذا أعطى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الحُكم.. فقال إن العداوة للرسل.. مثل العداوة للملائكة.. مثل العداوة لجبريل وميكائيل. . مثل العداوة لله »[1].

٣- اعتقاد فضلهم على غيرهم من الناس، وأنه لا يبلغ منزلتهم أحد من الخلق مهما بلغ من الصلاح والتقوى، إذ الرسالة اصطفاء من الله يختص الله بها من يشاء من خلقه، ولا تنال بالاجتهاد والعمل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٥].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « والاصطفاء: اختيار نخبة من كثير، واختيار القليل من الكثير، دليل على أنها الخلاصة والصفوة، كما يختلف الاصطفاء باختلاف المصطفي، فإن كان المصطفِي هو الله تعالى فلا بُدَّ أن يختار خلاصة الخلاصة.

والاصطفاء سائر في الكون كله، يصطفي من الملائكة رسلًا، ومن الناس رسلًا، ويصطفي من الزمان، ويصطفي من المكان، كما اصطفى رمضان من الزمان، والكعبة من المكان. ولم يجعل الحق سبحانه الاصطفاء لتدليل المصطفى على غيره، إنما ليُشيع اصطفاءَه على خَلق الله »[2].

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٨٣]، إلى أن قال - بعد ذكر طائفة كبيرة من الأنبياء والمرسلين -: ﴿ ...وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٦].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١/ ٤٨١).

(٢) « تفسير الشعراوي » (١٦/ ٩٩٣٩).

كما دلت السنة أيضًا على أن منزلة الرسل لا يبلُغُها أحدٌ من الخلق، لما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « **لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى** »[1]، وفي رواية للبخاري: « **من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب** »[2].

وبيّن العلماء: « أن ما جرى ليونس عليه السلام لم يحطه من النبوة مثقال ذرة، وخص يونس بالذكر لما ذكر الله من قصته في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ .. ﴾ الآيات [الصافات: ١٣٩-١٤٨].

قال الشعراوي رحمه الله **في تفسير قوله تعالى:** ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾: « وقوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ .. ﴾: البعض ينظر في الآية نظرةً سطحية، فيقولون: كيف يظن يونس أن الله لن يقدر عليه؟ وهذا الفَهم ناشيء عن جَهل باستعمالات اللغة، فليس المعنى هنا من القدرة على الشيء والسيطرة، ولو استوعبتَ هذه المادة في القرآن (قَدَرَ) لوجدت لها معنى آخر، كما في قوله تعالى: ﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾ [الطلاق: ٧]؛ معنى قُدِر عليه رزقه؛ يعني: ضُيِّق عليه... إذن: فقوله: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ ... ﴾ أي: أن يونس لما خرج من بلده مُغاضبًا لقومه ظنَّ أن الله

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٥٩)، ومسلم (١٦٧) (٤/ ١٨٤٦).

(٢) صحيح البخاري (٦/ ٥٠).

لن يُضيِّق عليه، بل سيُوسِّع عليه ويُبدله مكانًا أفضل منها، بدليل أنه قال بعدها ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يريد من الله سبحانه تنفيسَ كربته، وتنفيسُ الكرَبةِ لا يكون إلا بصفة القدرة له، فكيف يستقيم المعنى لو قلنا: لن يقدر عليه بمعنى: أن الله لا يقدر على يونس؟!

إذن؛ المعنى: لن يُضيِّق عليه؛ لأنه يعلم أنه رسول من الله، وأن ربه لن يُسلمه، ولن يخذله، ولن يتركه في هذا الكرب »[1].

٤- اعتقاد تفاضلهم فيما بينهم وأنهم ليسوا في درجة واحدة بل فضل اللهُ بعضَهم على بعض.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ ...﴾[البقرة: ٢٥٣].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « إنّ التفضيل هو أن تؤثر وتعطي مزية ولكن لحكمة، وأما المحاباة فهي أن تؤثر وتعطي مزية، ولكن لهوى في نفسك... إذا نظرت إلى حيثية الإيثار وحيثية التمييز لحكمة فهذا هو التفضيل، ولكن في المحاباة يكون الهوى هو الحاكم. وكل أعمال الحق سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ تصدر عن حكمة؛ لأنه سبحانه ليس له هوى ولا شهوة، فكلنا جميعًا بالنسبة إليه سواء. إذن هو سبحانه حين يعطي مزية أو يعطي خيرًا أو يعطي فضيلة، يكون القصد فيها إلى حكمة ما. وحينما قال الحق: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٢] جاء بعدها بالقول الكريم:

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١٥/ ٩٦٢٣-٩٦٢٤).

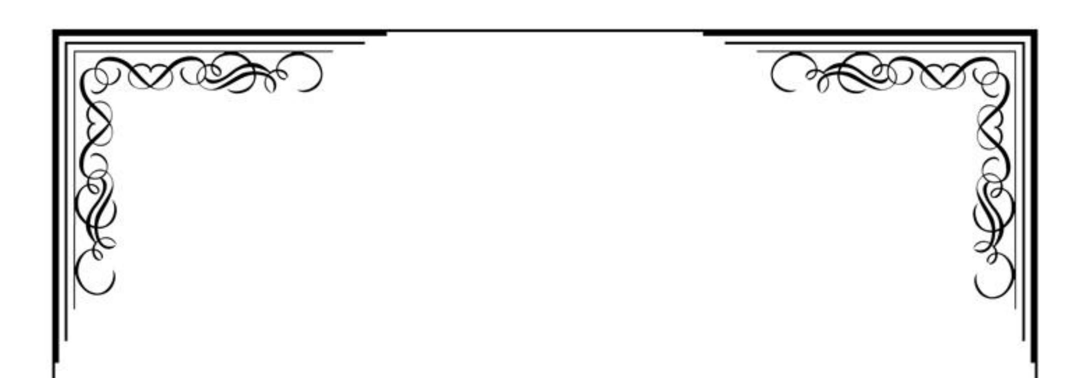
﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ...﴾ وأعطانا نماذج التفضيل فقال: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ »[1].

٥- الصلاة والسلام عليهم فقد أمر الله الناس بذلك وأخبر الله بإبقائه الثناء الحسن على رسله وتسليم الأمم عليهم من بعدهم؛ قال تعالى عن نوح: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٨-٧٩]، وقال عن إبراهيم: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصافات: ١٠٨-١٠٩]، وقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨١].

وقد نقل الإمام النووي رحمه الله إجماعَ العلماء على جواز الصلاة على سائر الأنبياء واستحبابها؛ فقال: « أجمعوا على الصلاة على نبينا محمد ﷺ، وكذلك أجمع من يُعْتَدُّ به على جوازها على سائر الأنبياء والملائكة استقلالًا، وأما غير الأنبياء فالجمهور على أنه لا يصلى عليهم ابتداء »[2].

❀ ❀ ❀

(١) « تفسير الشعراوي » (٢/ ١٠٦٩-١٠٧١).
(٢) « أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة » لنخبة من العلماء (ص: ١٦٣).



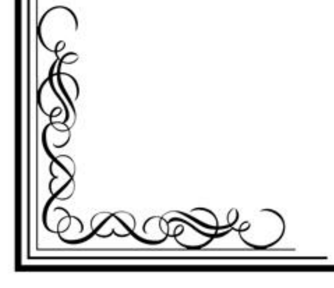
المبحث الثاني

المُفاضلة بين الأنبياء والرُسل وسائر البشر

وفيه مطلبان

المطلب الأول: المُفاضلة بين الرُسل

المطلب الثاني: المُفاضلة بين الرُسل وسائر البشر





المطلب الأول:
المُفاضلة بين الأنبياء والرُسل.

يقول الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « لا خلاف أن الرسول أفضل من بقية الأنبياء »[1].

وقال الإمام السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « الرسول أفضل من النبي إجماعًا؛ لتميزه بالرسالة التي هي أفضل من النبوة »[2].

وقد بدأ الله بذكر الرسول قبل النبي في قوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾[الحج: ٥٢]، وقدَّم سبحانه الوصف بالرسالة على الوصف بالنبوة في قوله في كل من موسى وإسماعيل عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ: ﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: ٥١]؛ فلعل في هذه دلالة على فضل الرسول على النبي، إذ الترتيب كان قاضيًا بتقديم النبي على الرسول، لأن النبوة تكون أولًا ثم الرسالة، ففي تقديمها على النبوة إفادة معنى.

ودلّل الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على فضل الرسول فقال: « الرسول أعلى منزلة من النبي ولذلك سميت الملائكة رسلًا ولم يسموا أنبياء »[3]، ولكن هذا الاستدلال على القول بتفضيل الملائكة على الأنبياء، وهو مرجوح.

---

(١) « تفسير القرآن العظيم » لابن كثير (٢/ ٤٧).

(٢) « لوامع الأنوار البهية » للسفاريني (١/ ٥٠).

(٣) « أعلام النبوة » للماوردي (ص: ٣٨).

من أوجه فضل الرسل على الأنبياء:

أن الرسالة في أصلها قدر زائد على النبوة، فهي نبوة وزيادة، فالرسل ساووا الأنبياء في النبوة، وفُضّلوا عليهم بالرسالة - صلوات الله وسلامه على الجميع -، يقول القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: « معلوم أن من أُرسِلَ أفضل ممن لم يرسل، فإن من أرسل فُضِّلَ على غيره في الرسالة واستووا في النبوة ».

قال: « إلى ما يلقاه الرسل من تكذيب أممهم وقتلهم إياهم وهذا مما لا خفاء فيه »[1].

وفي قول القرطبي هذا وجه آخر من وجوه فضل الرسول على النبي وهو ما يلقاه الرسل دون الأنبياء من المنازعة مع أقوامهم.

وذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ طبقات المكلفين فجعل الطبقة الأولى مرتبة أولي العزم من الرسل، ثم الطبقة الثانية من عداهم من الرسل »، ثم قال: « الطبقة الثالثة الذين لم يرسلوا إلى أممهم وإنما كانت لهم النبوة دون الرسالة فاختصوا بإيحاء الله إليهم، وإرساله ملائكته إليهم، واختصت الرسل عنهم بإرسالهم إلى الأمة بدعوتهم إلى الله بشريعته وأمره واشتركوا في الوحي ونزول الملائكة عليهم »[2].

ومن وجوه فضل الرسول على النبي: أن الرسالة تُثمِرُ هدايةَ الكافرين وإزالة الشرك، أما النبوةُ فتثمر توجيه المؤمنين وصيانة أحكام الله فيهم، وهذا مستفاد مما ذكر من الفرق بين النبي والرسول: أن النبي يبعث في مؤمنين، والرسول في

---

(١) « تفسير القرطبي » (٣/ ٢٦٣).

(٢) « طريق الهجرتين » لابن القيم (ص: ٣٥٠).

كافرين، ولا شك أن هداية الكافر خير من تعليم المؤمن، وفي كل خير، قال ﷺ لعلي رضي الله عنه لما أمره بدعوة أهل خيبر إلى الإسلام: « **فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم** »[1].

التفاضل بين الرسل:

قال سبحانه وتعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ...﴾[البقرة: ٢٥٣]، فهذا نصٌّ في التفاضل بين الرسل خاصة من جملة الأنبياء، فقد ذكرهم الله عز وجل نصًا فقال: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ثم ذكر سبحانه رسلًا مبينًا أوجه فضلهم؛ ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ...﴾.

قال الشعراوي رحمه الله **في تفسير قوله تعالى:**﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ..﴾: « إنّ الحق سبحانه وتعالى يشير إلى الرسل بقوله: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾ و ﴿ٱلرُّسُلُ﴾ هي جمع لمفرد هو « رسول »، والرسول هو المكلف بالرسالة، والرسالة هي الجملة من الكلام التي تحمل معنى إلى هدف.. وقال ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾: ذلك ليدلك القرآن الكريم على أن الرسل مهما اختلفوا فهم مرسلون من قِبَلِ إله واحد وبمنهج واحد ».

ثم قال: « إنّ التفضيل هو أن تؤثر وتعطي مزية ولكن لحكمة، وأما المحاباة فهي أن تؤثر وتعطي مزية، ولكن لهوى في نفسك.. إذا نظرت إلى حيثية الإيثار وحيثية التمييز لحكمة فهذا هو التفضيل، ولكن في المحاباة يكون الهوى هو الحاكم.

---

(١) صحيح البخاري (٥/ ١٨)، وصحيح مسلم (٤/ ١٨٧٢).

وكل أعمال الحق ﷻ تصدر عن حكمة؛ لأنه سبحانه ليس له هوى ولا شهوة، فكلنا جميعا بالنسبة إليه سواء. إذن هو سبحانه حين يعطي مزية أو يعطي خيرًا أو يعطي فضيلة، يكون القصد فيها إلى حكمة ما. وحينما قال الحق: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[البقرة: ٢٥٢]، جاء بعدها بالقول الكريم: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ...﴾ وأعطانا نماذج التفضيل فقال: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾»[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رحمه الله هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[الإسراء: ٥٥]، والرسل داخلون في هذا الإطلاق، وهو إطلاقٌ يُفهم منه تفاضلُ الرسلِ فيما بينهم، فإنه غير مانع من أن يكون الرسل من الأنبياء متفاضلين فيما بينهم.

قال الشعراوي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾: «فالتفضيل على حسب ما يعلمه الله تعالى من أنَّ أُولي العزم من الرسل قد فَضَّلهم عن غيرهم لِمَا تحمّلوه من مشقة في دعوة أقوامهم، ولما قاموا به من حمل منهج الله والانسياح به، أو من طول مُدّتهم من قومهم.. الخ، فهو وحده يعلم أسباب التفضيل»[2].

وأفضل الرسل أولوا العزم منهم، قال ﷻ آمرًا نبيه محمدًا ﷺ وهو أفضل الخلق ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾[الأحقاف: ٣٥]؛ فامتدحهم

---

(١) «تفسير الشعراوي» (٢/ ١٠٦٩-١٠٧١).

(٢) «تفسير الشعراوي» (١٤/ ٨٦٢٠).

الله ﷻ بالعزم، وخصهم بالذكر من بين رسله، وأمر نبيه محمدًا ﷺ وقد فضله على جميع خلقه أن يقتدي بهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: « أفضل أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم »(١).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: « لا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء، وأن أولي العزم منهم أفضلهم »(٢).

ومعنى العزم الذي امتدحهم الله وفضلهم به: الحزم والصبر، فإن العزم في أصل اللغة دالٌّ على الصريمة والقطع واجتماع القلب على الشيء، وفي كتاب الله ما يدل على تفسير العزم بالصبر دلالة ظاهرة قال سبحانه: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وقال سبحانه حاكيًا قول لقمان لابنه: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]؛ وفي ذات الآية المذكور فيها أولو العزم بهذه الصفة ذكر الصبر فقد أمر الله فيها نبيه بالصبر اقتداء بأولي العزم في صبرهم.

والمقصود بالصبر: الصبرُ على أعباء الرسالة، وأمانةُ أدائها، وتحمّلُ مشاقها، والصبرُ على أذى المرسَل إليهم، مع الحزم في الدعوة وأداء الرسالة، ونحوه من المعاني(٣).

---

(١) « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ٧).

(٢) « تفسير القرآن العظيم » (٣/ ٤٧).

(٣) « مباحث المفاضلة في العقيدة » لمحمد بن عبد الرحمن الشظيفي (ص: ١٢٩)، نقلًا عن الموسوعة العقدية.

تعيين أولي العزم:

اختلف أهل العلم في تعيينهم؛ فمنهم من قال: أولو العزم هم كل الأنبياء عدا يونس عليه السلام، ومنهم من قال: إنهم الذين لم تصبهم فتنة من الأنبياء، وهو مروي عن الحسن[1]، ومنهم من قال: إنهم العرب من الأنبياء، قاله مجاهد والشعبي[2].

ومنهم من قال: هم الثمانية عشر المذكورين في سورة الأنعام - الآيات: (٨٤ - ٨٦) -؛ لقوله سبحانه في عقب ذكرهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط[2]، ومنهم من قال: هم ستة: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، وهم المذكورون على النسق في سورتي الأعراف والشعراء[3]، وقيل غير ذلك[3].

ولكن الأشهر المتداول في كتب العلم أنهم خمسة وهم: محمد، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام، وهم الخمسة المذكورون نصًّا في قوله سبحانه: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴾ [الأحزاب: ٧]، وفي قوله سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ ﴾

---

(١) « زاد المسير في علم التفسير » لابن الجوزي (٧/ ٣٩٢).

(٢) انظر: « تفسير البغوي » (٤/ ١٧٦)، « تفسير القرطبي » (١٦/ ٢٢٠)، « زاد المسير في علم التفسير » لابن الجوزي (٧/ ٣٩٢).

(٣) انظر: « تفسير البغوي » (٤/ ١٧٦)، « تفسير القرطبي » (١٦/ ٢٢٠).

[الشورى: ١٣]؛ فقد خصهم الله ﷻ بالذكر في هاتين الآيتين من بين الأنبياء، وهو تنبيه إلى فضلهم بين سائر الأنبياء، وقد خصهم سبحانه بالذكر في ذكره أعظم الأمور وأفضلها وأغلظها، وهو الميثاق الذي قال فيه: ﴿وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴾ [الأحزاب: ٧]، والوصايا التي شرعها لخلقه، وذلك ما أخذ على جميع النبيين وبعث به جميع النبيين، وهو العهد الذي بين الله وخلقه، وهو إقامة دين الله، وعدم التفرق فيه، وإسلام الوجه له سبحانه، والدعوة إلى ذلك، والمجاهدة فيه، والموالاة فيه والبراءة فيه، وهؤلاء الخمسة صلوات الله وسلامه عليهم أكملُ وأعظمُ من قام بهذا الميثاق، ولذا خُصّوا بالذكر، وهم الذين تفزع الأمم إليهم في الموقف يوم القيامة بعد أبيهم آدم فيتراجعونها حتى تنتهي إلى محمد ﷺ كما في حديث الشفاعة[١].

والقول بأنهم هم أولو العزم، مروي عن ابن عباس وغيره من السلف الصالح - رضوان الله عليهم -، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: « خيار ولد آدم خمسة: نوح وإبراهيم وعيسى وموسى ومحمد ﷺ، وخيرهم محمد ﷺ وصلى الله وسلم عليهم أجمعين »[٢].

يقول ابن القيم رحمه الله في بيان طبقات المكلفين: « الطبقة الأولى: وهي العليا على الإطلاق؛ مرتبة الرسالة فأكرم الخلق وأخصهم بالزلفى لديه رسله»، قال: « وأعلاهم منزلة أولو العزم منهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾[الشورى: ١٣]،

---

(١) انظر: « تفسير البغوي » (٤/ ١٧٦)، « تفسير القرطبي » (١٦/ ٢٢٠).

(٢) أخرجه البزار كما في (مجمع الزوائد) للهيثمي (٨/ ٢٥٨)، قال الهيثمي: رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح.

وهؤلاء هم الطبقة العليا في الخلائق، وعليهم تدور الشفاعة حتى يردوها إلى خاتمهم وأفضلهم ﷺ». قال: «الطبقة الثانية: من عداهم من الرسل على مراتبه من تفضيلهم بعضهم على بعض[1]»[2].

فضل أولي العزم:

ذكر الله ﷻ أولي العزم في آيتي الأحزاب والشورى المذكورتين، وقد بدأ سبحانه في الآيتين بذكر الطرفين أول الرسل وخاتمهم، وذكر بعدهما الثلاثة مبتدأ بإبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، بحسب ترتيب وجودهم عليهم الصلاة والسلام، وقد بدأ سبحانه في آية الأحزاب بذكر محمد ﷺ لشرفه وفضله عليهم، وذلك لأن في الآية ذكرًا للنبيين في الجملة تعميمًا، ثم خص سبحانه أفضلهم بالذكر بعد دخولهم في العموم، فناسب لذلك الابتداء بذكر محمد ﷺ لكونه أفضل هؤلاء المفضلين، وفي الآية ذكر للميثاق المأخوذ على النبيين فهي متعلقة بالأنبياء خاصة؛ ولذلك قدَّمَ محمدًا ﷺ في الذكر للوجه المذكور، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب:٧]، أما آية الشورى فمتعلقة بالشريعة التي بعثوا بها، قال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ﴾ [الشورى:١٣]؛ ولذا بدأ سبحانه بنوح قبل محمد - عليهما الصلاة والسلام -، لأن الآية في ذكر دين الإسلام وما وصى الله به

(١) «طريق الهجرتين» لابن القيم (ص: ٢٤٩).
(٢) «مباحث المفاضلة في العقيدة» لمحمد بن عبد الرحمن الشظيفي (ص: ١٣١).

الرسل، فناسب ذلك أن يبدأ بنوح، لأن رسالته أول الرسالات، ففيه بيان جلي أن أول رسالات الرسل أوصت بما شرع لأمة محمد ﷺ من الدين، فهو دين أصيل مستقيم لا عوج فيه ولا اضطراب، ثم ذكر سبحانه من بين من توسطوا بين محمد ونوح أشهر أصحاب الشرائع وأفضلهم[1].

فمحمد ﷺ هو أفضل أولي العزم بلا خلاف، يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: « لا خلاف أن محمدًا ﷺ أفضلهم ثم بعده إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على المشهور »[2]، يعني ابن كثير: أن نوحًا آخرهم في ترتيبهم في الفضل، وقوله: (على المشهور) كأنه إشارة إلى وجود خلاف في ترتيبهم في الفضل بعد محمد ﷺ، وقد قطع بأن إبراهيم بعده في الفضل في موضع آخر فقال في إبراهيم: « هو أشرف أولي العزم بعد محمد ﷺ »[3].

وقد نصَّ السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ على اختلاف العلماء في من يلي النبي ﷺ في الفضيلة منهم، وذكر أن المشهور أنه إبراهيم، قال: « وقد اختلف العلماء في من يلي النبي ﷺ في الفضيلة منهم، والمشهور واختاره ابن حجر في شرح البخاري أنه إبراهيم خليل الرحمن، لما ورد أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ خير البرية، خص منه محمد ﷺ بإجماع، فيكون أفضل من موسى وعيسى ونوح عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، والثلاثة بعد إبراهيم أفضل من سائر الأنبياء والمرسلين، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: ولم أقف على نقل أيهم أفضل، والذي يقدح في النفس تفضيل موسى فعيسى فنوح عَلَيْهِمُ السَّلَامُ »[4].

---

(١) انظر: « الأنموذج الجليل » (٢/ ٧٧)، و« روح المعاني » (٢١/ ١٥٤).

(٢) « تفسير القرآن العظيم » لابن كثير (٥/ ٨٨).

(٣) « البداية والنهاية » لابن كثير (١/ ١٧٠).

(٤) « اللوامع » (٢/ ٣٠٠).

توجيه النهي الوارد في التفضيل بين الأنبياء:

ثبت عن النبي ﷺ نهيه عن التفضيل بين الأنبياء، ونهيه عن تفضيله خاصة على بعض الأنبياء، وفي هذا إشكال يظهر لناظره ويزول لمتأمله، وقد خرَّجَ العلماء وجوهًا من القول في توجيه ذلك النهي .

أما ما ورد عن النبي ﷺ فقد قال ﷺ : « **لا تفضلوا بين الأنبياء** »؛ وهو واقع في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ جالس جاء يهودي، فقال: يا أبا القاسم، ضرب وجهي رجل من أصحابك، فقال ﷺ: « أضربْتَه؟ » قال: سمعتُه بالسوق يحلف: والذي اصطفى موسى على البشر، قلت: أيْ خبيث، على محمد ﷺ؟ فأخذتني غضبة ضربت وجهه، فقال النبي ﷺ: « **لا تخيروا بين الأنبياء..** » الحديث[(١)]، وفي رواية: « **لا تخيروني من بين الأنبياء** »[(٢)]، وفي رواية: « **لا تفضلوا بين أنبياء الله** »[(٣)]، وروى القصة أبو هريرة بنحوه إلا أنه قال: « **لا تخيروني على موسى** »[(٤)]، وفي حديث ثان قال ﷺ: « **لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى** »[(٥)]؛ إلا أن النهي في هذا الحديث يحتمل التأويل على وجهين:

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٢١).

(٢) صحيح البخاري (٩/ ١٣).

(٣) صحيح البخاري (٤/ ١٥٩)، وصحيح مسلم (٤/ ١٨٤٣).

(٤) صحيح البخاري، (٣/ ١٢٠) وصحيح مسلم (٤/ ١٨٤٤).

(٥) صحيح البخاري، (٤/ ١٥٩) وصحيح مسلم (٤/ ١٨٤٦).

الأول: أن يكون المراد بقوله « أنا »: رسول الله ﷺ نفسه، قال الخطابي رحمه الله: « وهذا أولى الوجهين وأشبههما بمعنى الحديث، فقد جاء من غير هذا الطريق أنه ﷺ قال: « **ما ينبغي لنبي أن يقول: أنا خير من يونس بن متى** »[1]؛ فعم الأنبياء كلهم فدخل هو في جملتهم »[2].

الثاني: أن يكون إنما أراد ﷺ بقوله: « لا ينبغي لعبد »: من سواه من الناس، أي لا ينبغي للعبد القائل أن يقول ذلك[3].

والحاصل أن في الحديثين ينهى رسول الله ﷺ عن التفضيل بين الأنبياء، وعن تفضيله على موسى ويونس خاصة - على حمل الحديث في يونس على أن النبي ﷺ هو المراد - وهو ﷺ أفضل منهما ومن سائر الأنبياء وجميع الخلق قطعًا كما تقدمت الدلائل عليه من الكتاب والسنة والإجماع، وفي هذا إشكال ظاهر، وقد وجَّهَ العلماء ذلك النهي لإزالة الإشكال في أقوال متعددة، منها:

١ - أن النهي ورد قبل أن يعلم النبي ﷺ أنه سيدُ ولد آدم وأفضلُ الأنبياء، فلما عَلِم أخبرَ به، وأن النهي عن التفضيل منسوخ بالقرآن[4]. إلا أن في هذا القول نظرًا كما يقول ابن كثير، قال: « لأن هذا من رواية أبي سعيد رضي الله عنه، وأبي هريرة رضي الله عنه[5]، وما هاجر أبو هريرة رضي الله عنه إلا عام حنين متأخرًا، فيبعد أنه لم

---

(١) سنن أبي داود، برقم (٤٦٧٠)، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٥٨٢١).

(٢) « معالم السنن » للخطابي (٣/ ١٤٦).

(٣) المصدر السابق (٣/ ١٤٦)، و« فتح الباري شرح صحيح البخاري » لابن حجر (٨/ ٢٦٧).

(٤) انظر: « تفسير القرطبي » (٣/ ٢٦٢)، و« فتح الباري شرح صحيح البخاري » لابن حجر (٦/ ٤٥٢).

(٥) يعني حديث لطم الأنصاري لليهودي المتقدم ذكره.

يعلم بهذا إلا بعد هذا والله أعلم »[1]، وهو كما قال، بل والقول بالنسخ مردود؛ فإن التفاضل بين الأنبياء وفضل أولي العزم من الرسل منهم، وتفضيله ﷺ على يونس، كل ذلك قد ورد في الآيات المكية في سورة الإسراء، والأحقاف، والقلم، وقصة حديث أبي سعيد وأبي هريرة وقعت في المدينة، وكذلك الحديث الآخر في يونس عليه السلام ورد من رواية أبي هريرة وابن عباس، وابنُ عباس من صغار الصحابة، وقد ورد أيضًا من رواية عبد الله بن مسعود.

٢- أن النهي عن تعيين المفضول، أما تفضيل بعضهم على بعض في الجملة دون تعيين المفضول فهو دلالة النصوص، قاله ابن عطية رحمه الله، واستشهد له بقوله ﷺ: « **أنا سيد ولد آدم** »[2] بإطلاق دون تعيين[3].

ونقل القرطبي رحمه الله قول من قال: « إنَّ النهي اقتضى منع إطلاق اللفظ لا منع اعتقاد ذلك المعنى، فإن الله أخبر بأن الرسل متفاضلون، فلا تقول: نبينا خير من الأنبياء، ولا من فلان النبي، اجتنابًا لما نهي عنه، وتأدبًا به، وعملًا باعتقاد ما تضمنه القرآن من التفضيل[4].

إلا أن في هذا التوجيه نظرًا، فالله عز وجل لما أخبر أنه فضل بعض النبيين على بعض في آية الإسراء، وبعض الرسل على بعض في آية البقرة، جعل يُعَيِّنُ في الآيتين بعض المتفاضلين ويذكر بعض الوجوه التي فُضِّلوا بها، فعمّم ثم خصَّ كما هو ظاهر من لفظ الآيتين وقد تقدم ذكرهما مرارًا[4].

(١) « البداية والنهاية » لابن كثير (١/ ٢٨٥).
(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٧٨٢).
(٣) « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » لابن عطية (١/ ٣٣١-٣٣٢).
(٤) « تفسير القرطبي » (٣/ ٢٦٢).

وقد عيّن الله ﷻ أولي العزم بالذكر وفضلهم على بقية الأنبياء - كما تقدم -، والرسل أفضل من الأنبياء كما دل عليه الدليل واتفق عليه العلماء، فالرسول أفضل من النبي، وفي هذا تعيين كما هو ظاهر.

أما الإجمال في قوله ﷺ: « أنا سيد ولد آدم »[1] فهو دال على التعيين أيضًا، إذ ثبوت كونه ﷺ أفضل من الأنبياء جملة دليل كونه أفضل من كل واحد منهم مفصلًا، هذا مع قيام دليل على التعيين، فلقد استدل العلماء بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]، على أن النبي ﷺ أفضلُ من يونس، فالمراد بالنهي إذًا غير هذا الوجه.

٣- أن المراد بالنهي المنع من التفضيل من جهة النبوة التي هي خصلة واحدة لا تفاضل فيها، فهم متساوون فيها، وإنما التفاضل بالخصائص والمحن ونحوها[2].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وهذا قول حسن فإنه جمع بين الآيات والأحاديث من غير نسخ »[3].

وقال ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ويجوز أن يريد لا تفضلوني عليه في العمل فلعله أكثر عملًا مني، ولا في البلوى والامتحان فإنه أعظم مني محنة »[4].

٤ - أن المراد بالنهي منع التفضيل من عند أنفسنا لأن مقام التفضيل إنما هو إلى الله[5]، وروي عن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كان يمنع من المفاضلة بين الأنبياء

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: « تفسير القرطبي » (٣/ ٢٦٢)، و« عون المعبود » (١٢/ ٤٢٥).

(٣) « تفسير القرطبي » (٣/ ٢٦٢).

(٤) « تأويل مختلف الحديث » لابن قتيبة الدينوري (ص: ٧٩).

(٥) انظر: « تفسير القرآن العظيم » (١/ ٣٠٥)، و« عون المعبود » (١٢/ ٤٢٤).

مع قوله بأن بعضهم أفضل من بعض وأن محمدًا أفضلهم، لكنه يقول ليس تعيين التفضيل إلى أحد منا[1].

٥ - أن المراد بالنهي منع التفضيل بمجرد الآراء والعصبية[2]، وهذا قد يؤول إلى سابقه.

٦ - أنَّ المراد بالنهي منع التفضيل الذي يؤدي إلى الخصومة والتشاجر[2]؛ وذلك في مثل الحال التي تحاكم فيها اليهودي مع الأنصاري عند النبي ﷺ، فهذا التوجيه ملائم لسبب ورود الحديث.

٧ - أن المراد بالنهي منع التفضيل الذي يؤدي إلى توهم النقص في المفضول، أو الغض منه، والإزراء به[3].

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ في النهي الوارد: « معنى هذا: تركُ التخيير بينهم على وجه الإزراء ببعضهم، فإنه ربما أدى ذلك إلى فساد الاعتقاد فيهم والإخلال بالواجب من حقوقهم، وبفرض الإيمان بهم، وليس معناه أن يعتقد التسوية بينهم في درجاتهم، فإن الله سبحانه قد أخبر أنه قد فاضل بينهم »[4]، وممن قال بهذا التوجيه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وعليه حمل حديث أبي سعيد وأبي هريرة

---

(١) « طبقات الحنابلة » لابن أبي يعلى (٢/ ٣٠٦).

(٢) « تفسير القرآن العظيم » لابن كثير (١/ ٣٠٥).

(٣) انظر: « تفسير القرطبي » (٣/ ٢٦٢)، و« الشفا » (١/ ٢٢٧).

(٤) « معالم السنن » للخطابي (٧/ ٣٨).

المذكور[1]، وهو لائق بحديث: « **ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى** »[2].

فقد ذكر أهل العلم أنه إنّما خص يونس عليه السلام بالذكر لما يخشى على من سمع ما قصه الله علينا من شأنه وما كان من قلة صبره، ونهي نبينا - عليهما الصلاة والسلام - عن أن يكون مثله، من أن يقع في نفسه تنقيص له، فبالغ ﷺ في ذكر فضل يونس عليه السلام لسد هذه الذريعة[3].

إلا أن هناك من خرج بهذه العلة للنهي عن حدها فأطلق حكم النهي لمطلق هذه العلة، فجعل النهي مطلقًا لهذه العلة، فقال كما نقل القرطبي رحمه الله: « لا يقال: النبي أفضل من الأنبياء كلهم ولا من فلان ولا خير، كما هو ظاهر النهي، لما يتوهم من النقص في المفضول، لأن النهي اقتضى منع إطلاق اللفظ لا منع اعتقاد ذلك المعنى، فإن الله تعالى أخبر بأن الرسل متفاضلون، فلا تقول: نبينا خير من الأنبياء، ولا من فلان النبي، اجتنابًا لما نهي عنه وتأدبًا به وعملًا باعتقاد ما تضمنه القرآن من التفضيل »[4].

---

(١) « مجموع الفتاوى » لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٤/ ٤٣٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) « معالم السنن » للخطابي (٧/ ٤١)، « الشفا » (١/ ٢٢٧).

(٤) « تفسير القرطبي » (٣/ ٢٦٢).

المطلب الثاني:
المُفاضلة بين الرُسل وسائر البشر.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴾[ص: ٤٧]، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾[النساء: ٦٩].

وقال ﷺ: « ما طلعت الشمس ولا غربت على أحدٍ بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر الصديق »[(١)].

فالإجماع على أن الرسل والأنبياء أفضل من البشر على الإطلاق، فلا يجوز القول بأن بعض الأولياء، ولا بعض الأئمة أفضل من الأنبياء، ولا نحو ذلك[(٢)].

الأنبياء والرسل جمّ غفير:

اقتضت حكمة الله تعالى في الأمم قبل هذه الأمّة أن يرسل في كلّ منها نذيرًا، ولم يرسل رسولًا للبشرية كلّها إلاّ محمدًا ﷺ، واقتضى عدله ألاّ يعذب أحدًا من الخلق إلاّ بعد أن تقوم عليه الحجة: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾

---

(١) المسند للإمام أحمد (١/ ٣٥٢)، قال الألباني في « سلسلة الأحاديث الضعيفة »: « أخرجه جمع من المحدثين منهم عبد بن حميد والخطيب وغيرهما.. وقد حسنه بعضهم، ولكن الطرق المشار إليها بحاجة إلى دراسة دقيقة، وهذا مما لم يتيسر لي بعد » (٣/ ٥٣٤).

(٢) « مجموع الفتاوى » لشيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٢٢١)، و« الرسل والرسالات » لعمر الأشقر (ص: ٢١٢-٢١٦).

[الإسراء: ١٥]؛ من هنا كثر الأنبياء والرسل في تاريخ البشرية كثرة هائلة، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾[فاطر: ٢٤].

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ بعدّة الأنبياء والمرسلين، فعن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: « **ثلاثمائة وبضعة عشر جمًّا غفيرًا** » وقال مرة: « خمسة عشر »[1]. وفي رواية أبي أمامة رضي الله عنه: قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله، كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: « **مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، الرُّسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيرًا** »[2].

من الأنبياء والرسل من لم يقصصهم الله علينا:

وهذا العدد الكبير للأنبياء والرسل يدلنا على أنَّ الذين نعرف أسماءهم من الرسل والأنبياء قليل، وأنَّ هناك أعدادًا كثيرة لا نعرفها، وقد صرّح القرآن بذلك في أكثر من موضع، قال تعالى: ﴿ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَ ﴾[غافر: ٧٨].

فالذين أخبرنا الله بأسمائهم في كتابه أو أخبرنا بهم رسوله ﷺ لا يجوز أنّ نكذّبَ بهم، ومع ذلك فنؤمن أنَّ لله رسلًا وأنبياء لا نعلمهم[3].

---

(١) المسند للإمام أحمد (٥/ ١٧٨)، والحاكم (٢/ ٦٥٢)، وصححه الألباني في « تخريج مشكاة المصابيح » (٥٦٦٩).

(٢) المسند للإمام أحمد (٥/ ٢٦٥) (٢٢٣٤٢)، والحديث ضعفه ابن كثير في « البداية والنهاية » (٢/ ١٤٠).

(٣) « الرسل والرسالات »؛ لعمر الأشقر (ص: ١٧).

الأنبياء والرسل المذكورون في القرآن:

ذكر الله في كتابه خمسة وعشرين نبيًا ورسولًا، فذكر في مواضع متفرقة آدم وهودًا وصالحًا وشعيبًا وإسماعيل وإدريس وذا الكفل ومحمدًا عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ ..﴾ [آل عمران: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [هود: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [هود: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [هود: ٨٤] ، وقال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ...﴾ [الفتح: ٢٩].

وذكر ثمانية عشر منهم في موضع واحد في سورة الأنعام، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦].

صالحون مختلف في نبوتهم:

١ - ذو القرنين:

ذكر الله خبر ذي القرنين في آخر سورة الكهف، ومما أخبر الله به عنه أنه خاطبه: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦]. فهل كان هذا الخطاب بواسطة نبيّ كان معه، أو كان هو نبيًّا؟

جزم الفخر الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بنبوته[1]، وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وهذا مرويٌّ عن عبد الله بن عمرو، وعليه ظاهر القرآن »[1]. « ومن الذين نفوا نبوته: عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ »[2].

٢ - تبع:

ورد ذكر تبع في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [الدخان: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ [ق: ١٢-١٤]، فهل كان نبيًّا مرسلًا إلى قومه فكذبوه فأهلكهم الله؟ الله أعلم بذلك.

الأفضل التوقف في أمر ذي القرنين وتُبّع:

والأفضل أن يتوقف في إثبات النبوة لهذين، لأنه صحّ عن الرسول ﷺ أنه قال: « **ما أدري أتُبّع نبيًّا أم لا، وما أدري ذا القرنين نبيًا أم لا** »[3]؛ فإذا كان الرسول ﷺ لا يدري، فنحن أحرى بأن لا ندري.

٣ - الخضر: الخضر هو العبد الصالح الذي رحل إليه موسى ليطلب منه علمًا، وقد حدثنا الله عن خبرهما في سورة الكهف. وسياق القصة يدلّ على نبوته من وجوه[4]:

---

(١) « فتح الباري شرح صحيح البخاري » لابن حجر (٦/ ٣٨٢).

(٢) رواه ابن أبي عاصم في « السنّة » (٢/ ٥٩٧) (١٣١٨).

(٣) المستدرك للحاكم (١/ ٩٢)، وسنن البيهقي (٨/ ٣٢٩) (١٨٠٥٠)، وصححه الألباني في « سلسلة الأحاديث الصحيحة » (٢٢١٧).

(٤) « البداية والنهاية » لابن كثير (١/ ٣٢٦).

أحدها: قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]، والأظهر أنّ هذه الرحمة هي رحمة النبوة، وهذا العلم هو ما يوحى إليه به من قبل الله.

الثاني: قول موسى عليه السلام له: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٦٦-٧٠]، فلو كان غير نبيّ لم يكن معصومًا، ولم يكن لموسى - وهو نبيٌّ عظيم، ورسول كريم، واجب العصمة - كبيرُ رغبةٍ، ولا عظيم طِلبَةٍ في علم وَليٍّ غير واجب العصمة، ولما عزم على الذهاب إليه، والتفتيش عنه، ولو أنَّه يمضي حقبًا من الزمان، قيل: ثمانين سنة، ثمَّ لما اجتمع به، تواضع له، وعظّمه، واتبعه في صورة مستفيد منه، دلّ على أنه نبيٌّ مثله، يوحى إليه كما يوحى إليه، وقد خُصّ من العلوم اللدنيَّة والأسرار النبويَّة بما لم يطلع الله عليه موسى الكليم، نبيّ بني إسرائيل الكريم.

الثالث: أنّ الخضر أقدم على قتل ذلك الغلام، وما ذاك إلا للوحي إليه من الملك العلام، وهذا دليل مستقلٌّ على نبوتَّه، وبرهان ظاهر على عصمته؛ لأنَّ الولي لا يجوز له الإقدام على قتل النفوس بمجرد ما يلقى في خلده، لأنَّ خاطره ليس بواجب العصمة، إذ يجوز الخطأ عليه بالاتفاق، ولما أقدم الخضر على قتل ذلك الغلام الذي لم يبلغ الحلم علمًا منه بأنّه إذا بلغ يكفر، ويحمل أبويه على الكفر لشّدة محبتهما له، فيتابعانه عليه، ففي قتله مصلحة عظيمة تربو على بقاء

مهجته، صيانة لأبويه عن الوقوع في الكفر وعقوبته، دلّ ذلك على نبوته وأنّه مؤيد من الله بعصمته.

الرابع: أنّه لمَّا فسر الخضر تأويل تلك الأفاعيل لموسى، ووضح له عن حقيقة أمره وجلاَّه، قال بعد ذلك كلّه: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢]، يعني ما فعلته من تلقاء نفسي، بل أمرت به، وأوحي إليّ فيه[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « ثم وصف الحق سبحانه هذا العبد الصالح، فقال: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾.. ثم يقول بعدها: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ أي: من عندنا، لا بواسطة الرسل؛ لذلك يسمونه العلم اللدني، كأنّه لا حرجَ على الله تعالى أن يختار عبدًا من عباده، ويُنعِم عليه بعلم خاص من وراء النبوة.

إذن: علينا أن نُفرِّق بين علم وفيوضات تأتي عن طريق الرسول وتوجيهاته، وعلم وفيوضات تأتي من الله تعالى مباشرة لمن اختاره من عباده؛ لأن الرسول يأتي بأحكام ظاهرية تتعلق بالتكاليف؛ افعل كذا ولا تفعل كذا، لكن هناك أحكام أخرى غير ظاهرية لها عِلَل باطنة فوق العِلل الظاهرية، وهذه هي التي اختصَّ الله بها هذا العبد الصالح (الخضر) كما سماه النبي ﷺ[2] »[3].

---

(١) « الرسل والرسالات » لعمر الأشقر (ص: ٢١).

(٢) فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: « إنَّما سمِّي الخضر أنَّه جلس على فروةٍ بيضاء، فإذا هي تهتزُّ من خلفه خضراء ». صحيح البخاري (٤/ ١٥٦).

(٣) « تفسير الشعراوي » (١٤/ ٨٩٥٤).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [المائدة: ١١٠].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللهُ: «إننا نجد أن كل خرق لناموس الغيب عند الأنبياء أو الأولياء، أو من يعطيهم الله هذه الإشراقية، هذا الخرق إنما هو لتكريم النبي أو الولي أو الذي تشرق عليه فيوضات الله، وعلينا أن نعرف أن الله لم يعط إنسانًا واحدًا القدرة على العلم بالغيب مطلقًا، إنما يطلع الحق بعضًا من خلقه بهبة من تجلياته على شيء جزئي، فالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو مالك الغيب: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ...﴾ [الأنعام: ٥٩].

ولم نر إنسانًا علامًا للغيب ولكن يُعلِمُهُ الله بغيب من بعض غيبه، حتى نعلم أنها أحداث وقتية يتجلى الله فيها بفضله، ليثبت حالة من الحالات، ثم يظل الإنسان مع الناموس العام في كون الله. والناموس الكوني هو الأمور والقوانين التي أطلقها الله في الكون لتعمل لخدمة المؤمن والكافر والطائع والعاصي. ومثال ذلك شروق الشمس وغروبها، وحركة السحاب حاملًا المطر، ووجود الأرض بعناصرها القابلة للزراعة. وخرق الناموس يكون بإذن من الله للرسل والأنبياء والأولياء...»[١].

---

(١) «تفسير الشعراوي» (٦/ ٣٤٥٣).

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (الخضر) مفيد وصائب بأنه العبد الصالح كما سماه رسول الله ﷺ؛ كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم بعد ذلك أتى بمسألة يثبت فيها أن الولي ربما يوحى إليه - كما في قصة الخضر - مباشرة من الله؛ بأحكام غير ظاهرة لها علل باطنة، وهذا الكلام يحتاج دليلًا؛ فلا أوافقه عليه، والله أعلم.

- ولاية الله:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[الأنعام: ١٤].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « والهمزة هنا في «أغير» يسمونها همزة الإنكار كقول قائل: أتسب أباك؟ إنها ليست استفهامًا بقدر ما هي توبيخ ولوم. وكذلك: ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا ﴾ أي أن الحق يأمر رسوله أن يستنكر اتخاذ ولي غير الله.

إن اتخاذ الله كولي هو أمر ضروري؛ لأن الإنسان تطرأ عليه أحداث تؤكد له أنه ضعيف وله أغيار، وساعة ضعف الإنسان لا بد أن يأوي إلى من هو أشد منه قوة ولا يتغير. إن الولي - وهو الله - قوته لا يمكن أن تصير ضعفًا، وغناه لا يمكن أن ينقلب فقرًا، وعلمه لا يمكن أن يؤول إلى جهل. إنه مُغيِّر ولا يتغير. ولذلك فمن نعمة الله على خلقه أنه جعل من نفسه وليًّا لهم، فهو صاحب الأغيار.

ثم قال: واتخاذ الولي أمر فطري في الكون، والأمر المنكر أن يجعل الإنسان لنفسه وليًا غير الله. ونحن - المؤمنين - يتخذ بعضنا بعضًا أولياء في إطار الولاية

لله مصداقًا لقوله الحق: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة: ٧١].

ويتبادل المؤمنون والمؤمنات المحبة والنصرة طبقًا للتعاقد الإيماني بينهم وبين الحق ﷻ، ويأمر بعضهم بعضًا بأوامر المنهج، وينهى بعضهم بعضًا عن المحظورات التي حرمها الله، ويتواصلون مع الحق بإقامة الصلاة، ويؤدون حق الله في مالهم بالزكاة، ويطيعون الله ويمتثلون أوامر رسوله، وهم بذلك ينالون وعد الله الحق بالرحمة، وهو سبحانه القادر على رعايتهم، وهو حكيم في صيانتهم، عزيز لا يغلبه أحد.

ثم قال: إذًا: فاتخاذ الولي هو أمر فطري. والإيمان بالله يعطينا ذكاء اختيار الولي. فالإنسان المؤمن عليه أن يختار الولي الذي يجده عندما يحتاج إليه؛ لذلك فعليه أن يختار ولاية الله، ولا يختار ولاية الأغيار. فيسخر الله للمؤمن حتى عدوه ليخدمه. لذلك يبلغنا الحق على لسان رسوله: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ والذين ينكرون علينا أن نتخذ الله وليًا ويريدون أن نتخذ غيره يرون في أنفسهم المثل؛ فقد يخيب رجاؤهم، فالإنسان منهم قد يتخذ إنسانًا مثله وليًا، وساعة يحتاج إليه يجده مريضًا أو غائبًا أو تغير قلبه عليه، لكن المؤمن يختار الله وليه لأنه الذي لا يغيب ولا يتغير، ولا يضعف. ولا ينكر القرآن أن يتخذ الإنسان له وليًا من البشر، ولكن الحق يدلنا على أنه الولي الحق، وأن المؤمن عليه أن يتخذ إخوته المؤمنين أولياء له؛ لأنها ولاية من الله وفى الله.

وأنت أيها المسلم حين تختار الحق ﷻ وليًا لك فهو الذي يُحضر لك كل زوايا المواهب ويعدُّها ويهيئها لتكون في خدمتك؛ لأنه ﷻ: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ .. ﴾.

ثم قال: إذًا فعندما يقول الحق سبحانه مبلغًا رسوله: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

هذا السؤال يجبرنا على أن ندير أمر اختيار الولي في رؤوسنا وأن نُعمِلَ أفكارنا، وأن نعرف أن اتخاذ الولي أمر وارد على النفس البشرية، ولكن من الذي يستحق أن نتخذه وليًا؟ ونجد في تربية الحق لنا ما يعيننا على استنباط الفكرة السليمة والرأي الرشيد حين يقول لنا: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ .. ﴾[الفرقان: ٥٨]؛ ونعلم أن الإنسان لو اتخذ وليًا من البشر فهذا عرضة للموت، فتحس أيها الإنسان أنك وحيد في هذا الكون، ولكنك عندما تتوكل على الله فهو حيّ لا يموت أبدًا، وهو سبحانه: ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ ... ﴾ وهو الذي خلق السموات والأرض على غير مثال، وهو الذي يطعمنا من مطمور كنوز الأرض التي أرادها قوتًا لنا.

ثم قال: والحق ﷻ أنزل لرسوله الأمر: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾: ومعنى « أسلم » أي ألقى زمام حياته إلى من يثق في حكمته وعدله وهو الحق ﷻ... وها هو ذا رسول الله ﷺ ينقل عن رب العزة، ويخبرنا أنه ﷺ أول المسلمين، وأنه تلقى الأمر بعدم الشرك بالله »[1].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٦/ ٣٥٢٤-٣٥٣٤).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « جاءت هذه الآية بعد كلام الحق عن نفسه سبحانه بأنه عالم الغيب، ولا يخفى عليه شيء، وشاء الله سبحانه بذلك أن يعلّمنا أنه قد يفيض على بعض خلقه فيوضات الإمداد على قَدر رياضات المرتاضين، فَهَبْ أن اللهَ قد امتَنَّ عليك بنفحةٍ، فإياك أن تقول إنها من عندك، بل هي من عند عالم الغيب سبحانه الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

وعلى ذلك فلا يقال: إن فلانًا قد عَلِم غيبًا لأنه وليٌّ لله، بل لنقل: « إن فلانا مُعَلَّمُ غَيبٍ »؛ لأن الغيب ما غاب عن الناس، وما يغيب عنك ولا يغيب عن غيرك فهو ليس غيبًا مطلقًا... إذًا: فميلاد بعض من أسرار الكون كان تنبيهًا من الله تعالى لأحد عباده لكي يتأمل؛ ليكتشف سِرًّا من تلك الأسرار.

وأغلب أسرار الكون تم اكتشافها بأنها من الله، لنفهم أن عطاء الله بميلادها دون مقدمات من الخَلق أكثر مما وُصِل إليه بالعطاء من مقدمات الخلق.

ولذلك تجد التعبير الأدائي في القرآن عن لونَي الغيب، تعبيرًا دقيقًا لنفهم أن هناك غيبًا عن الخلق جميعًا وليست له مقدمات، ولا يشاء الله سبحانه له ميلادًا، واستأثر الله بعلمه؛ فلا يعلمه إلا هو سبحانه.

يقول الحق سبحانه: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]: هذا هو الغيب الذي يكشفه الله سبحانه لهم، إما

بالمقدمات، أو بالصدفة، وقد نسب المشيئة له سبحانه، والإحاطة من البشر، وهذا هو غيب الابتكارات.

أما الغيب الآخر الذي لا يعلمه أحد إلا هو سبحانه ولا يُجَلِّيه إلا الرسول ﷺ، فيقول الحق عنه: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ...﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

إذًا: فالحق سبحانه يفيض من غيبه الذاتي على بعض خَلقه، والقرآن الكريم فيه الكثير من الغيب، وأفاضه الله تعالى على رسوله ﷺ، وتحققت الأحداث كما جاءت في القرآن.

والحق سبحانه يهب بعضًا من خلقه بعضًا من فيوضاته، وقد أعطى الله سبحانه رسوله ﷺ بعضًا من الهِبَات وحدَّد من يعطيه بعضًا من الغيب: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ...﴾ [الجن: ٢٧]؛ وهي ليست للحصر؛ لأن الرسول ﷺ أسوة، وقال فيه الحق سبحانه: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ومن يعمل بعمل الرسول ﷺ ويقتدي به؛ يهبه الله تعالى هِبةً يراها الناس فيعرفون أن مَن يتّبع الرسول ﷺ كقدوة يعطيه الله سبحانه الهبات النوارنية، ولكن هذه الهِبَة ليست وظيفة، وليست (دُكَانًا) للغيب، بل هي مِن عطاءات الله تعالى. وانظر إلى دقة القرآن حين يقول: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ...﴾ [الأنعام: ٥٩]، أي: أنه سبحانه لم يُعطِ مفتاح الغيب لأحد، والوليّ من أولياء الله إنما يأخذ الهبة منه سبحانه، لكن مفتاح الغيب هو عند الله وحده.

وعندما نتأمل قول الحق سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾؛ نجد أن كلمة «وليّ» من وَلِيَهُ، يليه، أي: قريبٌ منه، وهو أول مَفزَع يفزع إليه إن جاءه أمر يحتاج فيه إلى معاونة من غيره، وإن احتاج إلى نصرة فهو ينصره، وخيره يفيض على مَن والاه.

ومَن يقرُب عالمًا يأخذ بعضًا من العلم، ومَن يقرب قويًّا يأخذ بعضًا من القوة، ومَن يقرب غنيًّا، إن احتاج، فالغني يعطيه ولو قَرضًا.

إذًا: فالوَليّ هو القريب الناصر المُعِين المُوالِي.

وتطلق « الولي » مرةً لله سبحانه، وقد قال القرآن: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾[الشورى: ٩]؛ لأنه سبحانه القريب من كل خَلقه، عكس الخَلق الذين يقتربون من بعضهم أو يتباعدون حسب إمكاناتهم، أما الله ﷻ فهو الوليّ المُطلَق، فقُربه مِن خَلقٍ لا يبعده عن خَلقٍ، ولا يشغله شيء عن شيء، فهو الوليّ الحقُّ، وهو سبحانه يقول: ﴿ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴾[الكهف: ٤٤].

فمن يحتاج إلى الولاية الحقَّة فَليلجأ إلى الله، وهو سبحانه يُفيض على الأوفياء لمنهجه من الولاية.

ونجد التعبير القرآني الدقيق: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...﴾ [البقرة: ٢٥٧]؛ فهو سبحانه يقرب من عباده المؤمنين، والمؤمنون يقربون من الله تعالى في قول الحق سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ إذًا: فالولاية المطلقة لله، وإن قُيِّدت بشيء مضافٍ ومضافٍ إليه، فهي مرة تكون من المؤمنين لله، ومرة تكون من الله للمؤمنين.

ثم قال: ويقول الله سبحانه في حديث قدسي: « أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ». وفي هذا القول يضع مسؤولية القُرب من الله في يد الخَلق، ويضيف الحق سبحانه: « وإن تقرَّب إليَّ شبرًا تقرَّبتُ إليه ذراعًا، وإن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » ومن يريد أن يأتيه الله هرولة فليذهب إلى الله ماشيًا.

إذًا: فالإيمان بالله يسلِّم المؤمن مفتاح القرب من الله.

ومن يكن من أصحاب الخُلُق الملتزمين بالمنهج يُقرِّبه الله منه أكثر وأكثر. إذن: فمن الناس مَن يصل بطاعة الله إلى كرامة الله، ويدق على باب الحق، فينفتح له الباب، ومن الناس مَن يصل بكرامة الله أولًا إلى طاعة الله ثانيًا... إذًا: فمنهم مَن يصل بكرامة الله إلى طاعة الله، ومنهم من يصل بطاعة الله إلى كرامة الله، وحين يصل الإنسان إلى القرب من الله، ويقرب الله من العبد، هنا يكون العبد في معية الله، وتفيض عليه هذه المعية كثيرًا. ويتفاخر ويتباهى، فمن تظاهر بالكرامة ليس له كرامة.

ثم قال: وبين الله سبحانه لنا شروط الولاية فيقول: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ والإيمان هو الأمر الاعتقادي الأول الذي يُبنى عليه كل عمل، ويقتضي تنفيذ منهج الله، الأمر في الأمر، والنهي في النهي، والإباحة في الإباحة.

والتقوى كما علمنا هي اتقاء صفات الجلال في الله تعالى، وأيضًا اتقاء النار.. وكلما تقرَّبت إلى الله زاد اقتراب الله سبحانه منك، ويفيض عليك من الحكمة وأسرار الخلق.

ومثال ذلك: العبد الصالح الذي آتاه الله من عنده رحمة وعلَّمه من لدنه علمًا، هذا العبد يعلّم موسى عليه السلام.

إذًا: هذه هباتٌ من فيض الحق سبحانه على عباده الصالحين، وهو سبحانه وتعالى يجعل مَثَل هؤلاء العباد كالصواري المنصوبة التي تهدي الناس، أو كالفنار الذي يهدي السفن في الظلمة.

ويقول الحق سبحانه: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾... البشرى إذًا هي الرؤيا الصالحة، أو هي المقدمات التي تُشعر خَلق الله بهم فتتجه قلوب الناس إلى هؤلاء الأولياء، وقد تجد واحدًا أَحبه الله تعالى في السماء، فيقول الله سبحانه وتعالى لجبريل عليه السلام: « إني أحب فلانًا فأحبَّهُ. قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء فيقول: إن الله يَحب فلانًا فأَحِبُّوه، فيحبه أهل السماء. قال: ثم يُوضع له القبول في الأرض »[1]. وساعة تراه مكتوبًا له القبول، فالكل يُجمعون على أن في رؤيتهم لهذا المحبوب من السماء سَمتًا طيبًا، وهذه هي البشرى.

أو أن البشرى تأتي لحظة أن يأتي مَلَكُ الموت، فيُلقي عليه السلام، ويشعر أن الموت مسألة طبيعية، مصداقًا لقول الحق سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[النحل: ٣٢].

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إنَّ الله إذا أحبَّ عبدًا دعا جبريل فقال: إنِّي أحبُّ فلانًا فأحبَّه، قال: فيحبُّه جبريل، ثمَّ ينادي في السَّماء فيقول: إنَّ الله يحبُّ فلانًا فأحبُّوه، فيحبُّه أهل السَّماء، قال ثمَّ يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل فيقول: إنِّي أبغض فلانًا فأبغضه، قال فيبغضه جبريل، ثمَّ ينادي في أهل السَّماء إنَّ الله يبغض فلانًا فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثمَّ توضع له البغضاء في الأرض ». صحيح مسلم (٤/ ٢٠٣٠).

أو ساعة يبيضُّ الوجه حين يأخذ الإنسان من هؤلاء كتابه بيمينه، وهذه بشرى في الدنيا وفي الآخرة.

والحق سبحانه يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت: ٣٠-٣١].

إذًا: فهؤلاء الأولياء يتلقون من فيوضات الله عليهم بواسطة الملائكة ويتميزون عن غيرهم؛ لأن الواحد منهم قد يفرض على نفسه نوافل فوق الفروض؛ لأن الفروض هي أقل القليل من التكاليف.

وقد يرى واحد منهم أن القيام بالفروض لا يتناسب مع حبه لله تعالى؛ فيزيد من جنسها على ما فرض الله، ويصلِّي بدلًا من خمسة فروض عشرة أخرى نوافل، أو يصوم مع رمضان شهرًا أو اثنين، أو يصوم يومي الاثني والخميس من كل أسبوع.

وهذا دليل على أنه وجد أن الفروض قليلة بالنسبة لدرجة حبه لله تعالى، وأن الله تعالى يستحق أكثر من ذلك، وهذا معناه أن مثل هذا العبد قد دخل في مقام الود مع الله تعالى، وهنا يفيض الله ﷻ عليه بما يشاء، وينال من رضوان الله ما جاء في الحديث القدسي: «من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورِجلَهُ التي يمشي عليها، وإن سألني لأعطينَّه، ولئن

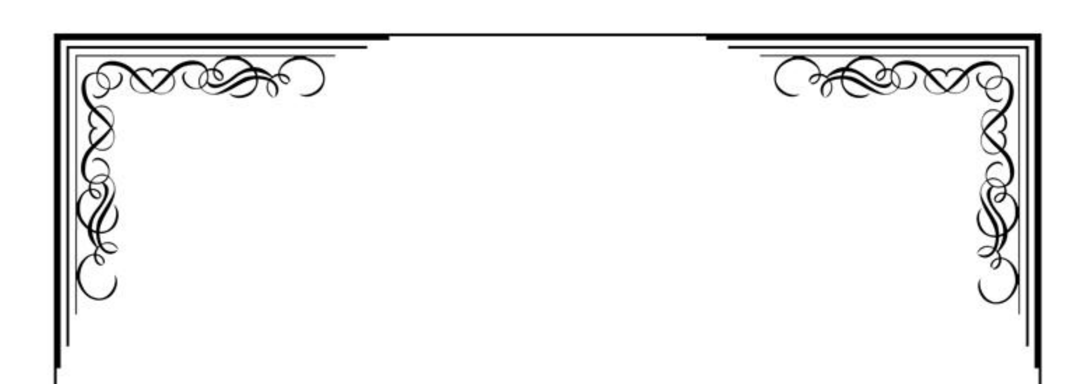
استعاذني لأعيذنَّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته »[1].

وهكذا تختلف المقاييس بين عبد يحب الله تعالى ويؤدي فوق ما عليه، وعبد آخر يقوم بالتكاليف وحدها »[2].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **(الولاية)** مفيد وصائب، إلا أنني ألحظ عليه أنه يكثر من ذكرها؛ وقديمًا قيل: « من أكثر من شيء عُرف به »، وهذا من خلال المقاطع التي وجدت له في (اليوتيوب) أو لابنه « عبد الحليم » حيث ذكر عن قصة وفاته وأنه انقطع عن الأكل (١٤) يومًا، وادعى أنه من كرامة الله له أن يطعم من قبل الله، ثم مات على هذا الانقطاع، بل حدد يوم وفاته - كما ذكر ابنه « عبد الحليم » -، وهذا الفعل لا يكون من أولياء الله؛ فأبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي هو إمام الأولياء وهو أفضل البشر بعد الأنبياء والمرسلين - صلوات الله عليهم -، وغيره من الصحابة والسلف لم يكونوا على هذا الادعاء والتصرف؛ والله أعلم.

(١) صحيح البخاري (٨/ ١٠٥).

(٢) « تفسير الشعراوي » (١٠/ ٦٠٢٣-٦٠٤١).



المبحث الثالث

عصمة الرُسل، ودلائل النبوة

وفيه مطلبان

المطلب الأول: عصمة الرُسل

المطلب الثاني: دلائل النبوة





المطلب الأول:
عصمة الرُسل.

تعريف عصمة الرسل:

لغةً: (عصم) العصمة في كلام العرب المنع، وعصمة الله عبده أن يعصمه مما يوبقه، عصمه يعصمه عصمًا: منعه ووقاه[1].

واصطلاحًا: حفظ الله ظواهر الأنبياء وبواطنهم مما تستقبحه الفطر السليمة قبل النبوة، وحفظهم من الكبائر وصغائر الخسة بعدها، وتوفيقهم للتوبة والاستغفار من الصغائر، وعدم إقرارهم عليها[2].

أولًا: العصمة في التحمل وفي التبليغ:

اتفقت الأمة على أنَّ الرسل معصومون في تحمّل الرسالة[3]، فلا ينسون شيئًا مما أوحاه الله إليهم إلاّ شيئًا قد نُسخ، وقد تكفل الله لرسوله ﷺ بأن يقرئه فلا ينسى شيئًا مما أوحاه إليه، إلا شيئًا أراد الله أن ينسيه إياه: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ [الأعلى: ٦-٧]، وتكفل له بأن يجمعه في صدره: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦-١٨].

---

(١) «لسان العرب» (١٢/ ٤٠٣).

(٢) «مادة العقيدة» للدكتور أبو زيد مكي (ص: ٩٩).

(٣) «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/ ٢٩١)، و«لوامع الأنوار البهية» للسفاريني (٢/ ٣٠٤).

وهم معصومون في التبليغ، فالرسل لا يكتمون شيئًا ممّا أوحاه الله إليهم، ذلك أن الكتمان خيانة، والرسل يستحيل أن يكونوا كذلك، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]، ولو حدث شيء من الكتمان أو التغيير لما أوحاه الله، فإن عقاب الله يحلّ بذلك الكاتم المغيّر؛ قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦].

ومن العصمة ألاّ ينسوا شيئًا مما أوحاه الله إليهم، وبذلك لا يضيع شيء من الوحي، وعدم النسيان في التبليغ داخل في قوله تعالى: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦]، وما يدل على عصمته في التبليغ قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣][1].

كما تجب عصمتهم عن أي شيء يخل بالتبليغ:

ككتمان الرسالة، والكذب في دعواها، والجهل بأي حكم أنزل عليهم، والشك فيه، والتقصير في تبليغه، وتصور الشيطان لهم في صورة الملك، وتلبيسه عليهم في أول الرسالة فما بعدها، وتسلطه على خواطرهم بالوساوس؛ وتعمد الكذب في أي خبر أخبروا به عن الله تعالى، وتعمد بيان أي حكم شرعي على خلاف ما أنزل عليهم؛ سواء أكان ذلك البيان بالقول أم بالفعل، وسواء أكان ذلك القول خبرًا أم غيره.

---

(١) «الرسل والرسالات» لعمر الأشقر (ص: ٩٧).

وقد أمر الله تعالى نبينا محمدًا ﷺ أن يبلغ جميع ما أنزل عليه؛ وبين أنه إن قصر في شيء منه لم يكن مبلغًا رسالته؛ وبين أيضًا أنه قد عصمه من جميع خلقه، ومن أن يهموا بإضلاله، وأن يمنعوه عن أدائها؛ وأنه لو اختلق شيئًا عليه لأهلكه، وأنزل أشد العقاب به.

ثم: إنه تعالى - مع ذلك - قد شهد له بالبلاغ والصدق، وأنه مستمسك بما أمره به، وأنه يهدي إلى الحق وإلى الصراط المستقيم. وقد شهد النبي ﷺ لنفسه بذلك، وبين أنه متمسك بالتبليغ مهما حصل له.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ويورد سبحانه ذلك حتى إذا بَلَّغ الرسول حكمًا من الأحكام فعليهم أن يستقبلوا الحكم على أساس أنه قادم من الله، وسبحانه يعلم أن رسوله لا يكتم البلاغ ولكن ليجعل لرسوله العذر عند البشر، فهو سبحانه حين يخاطبهم بشيء قد يكرهونه، فهو بلاغ من الله: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾: أي أنه إن لم يفعل ولو في جزئية يسيرة من المنهج فهذا معناه أن البلاغ ناقص والله يريد أن يكون البلاغ كاملًا بالدين المتكامل.

ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: فكأن الحق يقول لرسوله: اطمئن يا محمد؛ لأن من أرسلك هداية للناس لن يخلي بينك وبين الناس، ولن يجرؤ أحد أن ينهي حياتك، ولكني سأمكنك من الحياة إلى أن تكمل رسالتك. وإياك أن يدخل في رُوعك أن الناس يقدرون عليك، صحيح أنك قد تتألم، وقد تعاني من أعراض التعب في أثناء الدعوة، ولكن هناك حماية إلهية لك »[1].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٦/ ٣٢٨٦-٣٢٨٩).

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣].

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

وقال تعالى - في آخر زمنه ﷺ -: ﴿ ...ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣][1].

الغاية من عصمة الأنبياء:

لكي يكون الناس على يقين من دين الله، فيدينون بدين الأنبياء، وهذا لا ينافي وقوعهم في أخطاء من صغائر الذنوب، فيغفر الله لهم ولا يقرون على ذلك الخطأ، كما قال تعالى: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طه: ١٢١]، ثم بعد ذلك اجتباه وهدى ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه: ١٢٢].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: « فإنَّ أهل السنة متفقون على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى، وهذا هو مقصود الرسالة »[2].

---

(١) « الرد على من ينكر حجية السنة » (ص: ٩٦).

(٢) « منهاج السنة » (١/ ٤٧٠).

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام:

لـمّا كان الشرع لا يعرف إلا عن طريق الأنبياء، ولا يمكن تحقيق شرع الله ودينه الذي ارتضاه إلا عن طريقهم واتّباعِهم، كان لزامًا أن يكون الأنبياء معصومين عن الخطأ، وذلك حتى لا يقتدى بهم على الخطأ.

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: « ذهبت جميع أهل الإسلام من أهل السنة والمعتزلة.. أنه لا يجوز البتة أن يقع من نبي أصلًا معصية بعمد لا صغيرة ولا كبيرة.. ونقول إنه يقع من الأنبياء السهو عن غير قصد ويقع منهم أيضًا قصد الشيء يريدون به وجه الله تعالى والتقرب به منه فيوافق خلاف مراد الله تعالى إلا أنه تعالى لا يقرهم على شيء من هذين الوجهين »[(١)].

وقال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ أيضًا: « والأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لا يعصون الله تعالى لا بكبيرة ولا صغيرة على سبيل العمد، لأنهم معصومون، والناس مأمورون بالاقتداء بهم، ولا يجوز الأمر بالاقتداء بمن يعصي »[(٢)].

ثانيًا: العصمة من الصغائر:

ذهب أكثر علماء الإسلام إلى أن الأنبياء ليسوا معصومين من الصغائر.

---

(١) « الفصل في الملل والأهواء والنحل » لابن حزم (٤/ ٢).
(٢) « الدرة فيما يجب اعتقاده » (ص: ٢٢٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام، كما ذكر أبو الحسن الآمدي أنّ هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضًا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلاّ ما يوافق هذا القول»[1].

الأدلة:

وقد استدل جماهير العلماء على دعواهم بأدلة:

١ - معصية آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأكله من الشجرة التي نهاه الله تعالى عن الأكل منها، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١١٦-١٢١]. والآية في غاية الوضوح والدلالة على المراد، فقد صرحت بعصيان آدم ربه.

٢ - ونوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دعا ربه في ابنه الكافر: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥]، فلامه ربَّه على مقالته هذه، وأعلمه أنّه ليس من أهله، وأن هذا منه عمل غير صالح ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ

---

(١) «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٣١٩).

﴿أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]، فاستغفر ربّه من ذنبه وتاب وأناب ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧]. والآية صريحة في كون ما وقع منه كان ذنبًا يحتاج إلى مغفرة.

٣ - وموسى عليه السلام أراد نصرة الذي من شيعته، فوكز خصمه فقضى عليه ﴿قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ١٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٥-١٦]، فقد اعترف موسى بظلمه لنفسه، وطلب من الله أن يغفر له، وأخبر الله بأنه غفر له.

٤ - وداود عليه السلام تسّرع في الحكم قبل سماع قول الخصم الثاني، فأسرع إلى التوبة فغفر الله له ذنبه ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ۩﴾ [ص: ٢٤].

٥ - ونبينا محمد ﷺ عاتبه ربه في أمور ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التحريم: ١]، نزلت بسبب تحريم الرسول ﷺ العسل على نفسه، أو تحريم مارية القبطية.

وعاتبه ربه بسبب عبوسه في وجه الأعمى ابن أم مكتوم، وانشغاله عنه بطواغيت الكفر يدعوهم إلى الله، والإقبال على الأعمى الراغب فيما عند الله هو الذي كان ينبغي أن يكون من الرسول ﷺ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ [عبس: ١-٤]، وقبل الرسول ﷺ من أسرى بدر الفدية فأنزل الله تعالى: ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [الأنفال: ٦٨].

هذه أمثلة اكتفينا بذكرها عن غيرها، وإلاّ فقد ورد في القرآن مغاضبة يونس لقومه، وخروجه من قومه من غير إذن من ربه، وما صنعه أولاد يعقوب بأخيهم يوسف في إلقائه في غيابة الجبِّ، ثم أوحى الله إليهم وجعلهم أنبياء.

تكريم الأنبياء وتوقيرهم:

هذه الصغائر التي تقع من الأنبياء لا يجوز أن تتخذ سبيلًا للطعن فيهم، والإزراءِ عليهم، فهي أمورٌ صغيرة ومعدودة غفرها الله لهم، وتجاوز عنها، وطهرهم منها، وعلى المسلم أن يأخذ العبرة والعظة لنفسه من هذه، فإذا كان الرسل الكرام الذين اختارهم الله واصطفاهم عاتبهم الله ولامهم على أمور كهذه، فإنّه يجب أن نكون على حذر وتخوف من ذنوبنا وآثامنا، وعلينا أن نتأسى بالرسل والأنبياء في المسارعة إلى التوبة والأوبة إلى الله، وكثرة التوجه إليه واستغفاره[1].

(١) «الرسل والرسالات» لعمر الأشقر (ص: ١١٢).

ثالثًا: أمور لا تنافي العصمة:

الأعراض البشرية الجبلية لا تنافي العصمة:

١ - **إبراهيم عليه السلام أوجس في نفسه خيفة** عندما رأى أيدي ضيوفه لا تمتد إلى الطعام الذي قدمه لهم، ولم يكن يعلم أنهم ملائكة تشكلوا في صور البشر: ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [هود: ٧٠].

٢ - **عدم صبر موسى عليه السلام على تصرفات العبد الصالح:**

موسى وعد الخضر بأن يصبر في صحبته له، فلا يسأله عن أمر يفعله العبد الصالح حتى يحدث له منه ذكرًا، ولكنه لم يتمالك نفسه، إذ رأى تصرفاتٍ غريبةً، فكان في كل مرّة يسأل أو يعترض أو يوجه، وفي كل مرّة يذكّره العبد الصالح ويقول له: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾[الكهف: ٧٥]، وعندما كشف له عن سر أفعاله قال له: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾[الكهف: ٨٢].

٣ - **تصرفات موسى عليه السلام عندما رأى قومه يعبدون العجل:**

وغضب موسى غضبًا شديدًا، وأخذ برأس أخيه يجرُّهُ إليه، وألقى الألواح وفي نسختها هدى عندما عاد إلى قومه بعد أن تمّ ميقات ربه، فوجدهم يعبدون العجل، ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، وفي الحديث: « **ليس الخبر كالمعاينة، إنَّ الله تعالى أخبر موسى بما صنع قومه في العجل،**

فلم يُلْقِ الألواح، فلمّا عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت »[1].

٤ - نبي يحرق قرية النمل:

ومن ذلك ما وقع من نبي من الأنبياء غضب إذ قرصته نملة، فأمر بقرية النمل فأحرقت، فعاتبه الله على ذلك، ففي الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: « **نزل نبيٌّ من الأنبياء تحت شجرة، فلدغته نملة، فأمر بجهازه فأخرج من تحتها، ثمّ أمر ببيتها فأحرق بالنار، فأوحى الله إليه: فهلاّ نملة واحدة »**[2].

٥ - نسيان نبينا ﷺ وصلاته الظهر ركعتين:

ومن ذلك نسيان الرسول ﷺ في غير البلاغ، وفي غير أمور التشريع، فمن ذلك ما رواه ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « **صلى بنا رسول الله ﷺ، إحدى صلاتي العشيّ، فصلى ركعتين، ثمّ سلّم، فقام إلى خشبة معروضة في المسجد، فاتكأ عليها كأنّه غضبان، ووضع يده اليمنى على اليسرى، وشبّك بين أصابعه، ووضع خدّه الأيمن على ظهر كفه اليسرى، وخرجت السرعان من أبواب المسجد، فقالوا: قصرت الصلاة، وفي القوم أبو بكر وعمر، فهابا أن يكلماه، وفي القوم رجل يقال له ذو اليدين، فقال: يا رسول الله، أنسيت أم قصرت الصلاة؟ فقال: « لم أنس، ولم تقصر »، فقال :أكما يقول ذو اليدين؟ فقالوا: نعم. فتقدم فصلّى ما ترك، ثمّ سلّم، ثمّ كبّر، وسجد مثل سجوده أو**

---

(١) المسند للإمام أحمد (١/ ٢٧١)، والحاكم (٢/ ٣٥١)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) صحيح البخاري (٤/ ١٣٠)، وصحيح مسلم (٤/ ١٧٥٩).

أطول، ثمّ رفع رأسه وكبّر، وسجد مثل سجوده أو أطول، ثمّ رفع رأسه وكبّر، فربما سألوه، ثمّ سلّم، فيقول: أنبئت أنّ عمران بن حصين، قال: ثمّ سلّم »[1].

وقد صرح الرسول ﷺ بطروء النسيان عليه كعادة البشر، ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **ولكنّي إنّما أنا بشر، أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني** »[2]؛ قال هذا بعد نسيانه في إحدى الصلوات. أمّا الحديث الذي يروى بلفظ: « **إني لا أنسى، ولكن أُنَسَّى لأسنّ** »[3] فلا يجوز أن يعارض به الحديث السابق، لأنّ هذا الحديث - كما يقول ابن حجر رحمه الله - لا أصل له، فإنّه من بلاغات مالك التي لم توجد موصولة بعد البحث الشديد »[4].

الخلاصة:

قال شيخ الإسلام رحمه الله: « والأنبياء يجوز عليهم المرض والجوع والنسيان ونحو ذلك بالإجماع »[5].

بشرية الأنبياء وحصول المرض والجوع والنسيان عليهم كما يحصل ويقع لسائر البشر من الأمور الظاهرة المعروفة عند كافة الناس، وما نقل شيخ الإسلام وغيره الإجماع على ذلك إلا لوجود أولئك الذين يرفعون من قدر المخلوق نبيًا كان أو غيره ويعظمونه حتى يعدلوا به الرب عز وجل أو يلحقوا به بعض صفاته تعالى؛ ولهذا اضطر شيخ الإسلام وغيره على نقل الإجماع في بشرية الأنبياء.

---

(١) صحيح البخاري (١/ ١٠٣)، وصحيح مسلم (١/ ٤٠٣).
(٢) صحيح البخاري (١/ ٨٩)، وصحيح مسلم (١/ ٤٠٠).
(٣) موطأ مالك (٢/ ١٣٨)، قال ابن الملقن في « الإعلام »: منقطع الإسناد، وقال العراقي في « طرح التثريب » (٣/ ٩): لا أصل له.
(٤) « نيل الأوطار » للشوكاني (٣/ ١١٧).
(٥) « الرد على البكري » (١/ ٣٠٦).

المطلب الثاني:
دلائل النبوة.

تمهيد:

الأنبياء الذين ابتعثهم الله إلى عباده يقولون للناس: نحن مرسلون من عند الله، وعليكم أن تصدقونا فيما نخبركم به، كما يجب عليكم أن تطيعونا بفعل ما نأمركم به، وترك ما ننهاكم عنه، وقد أخبر الله في سورة الشعراء أن نوحًا خاطب قومه قائلًا: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٠٧ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٠٧-١٠٨]، وبهذا القول نفسه خاطب رسلُ الله: هودٌ، وصالحٌ، ولوط، وشعيب، أقوامَهم، بل هي مقالةُ ودعوةُ كل رسول لقومه.

فإذا كان الأمر كذلك فلا بدّ أن يقيم الله الدلائل والحجج والبراهين المبينة صدق الرسل في دعواهم أنهم رسل الله كي تقوم الحجة على الناس، ولا يبقى لأحد عذر في عدم تصديقهم وطاعتهم؛ ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا ...﴾ [الحديد: ٢٥]، أي: بالدلائل والآيات البينات التي تدلُّ على صدقهم[١].

تعريف الآية والمعجزة:

الآية - في لغة العرب - العلامة الدالة على الشيء، والمراد بها هنا: ما يجريه الله على أيدي رسله وأنبيائه من أمور خارقة للسنن الكونية المعتادة التي لا قدرة للبشر على الإتيان بمثلها، كتحويل العصا إلى أفعى تتحرك وتسعى، فتكون هذه الآية الخارقة للسنة الكونية المعتادة دليلًا غير قابل للنقض والإبطال، يدلُّ على صدقهم فيما جاؤوا به.

---

(١) «الرسل والرسالات» لعمر الأشقر (ص: ١١٩).

وقد تتابع العلماء على تسمية هذه الآيات بالمعجزات، والمعجزة - في اللغة - اسم فاعل مأخوذ من العجز الذي هو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء من عمل أو رأي أو تدبير[(١)].

ويعرّف الفخر الرازي المعجزة في العرف: بأنّها أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة[(٢)].

ويعرفها ابن حمدان الحنبلي بأنَّها: ما خرق العادة من قول أو فعل إذا وافق دعوى الرسالة وقارنها وطابقها على جهة التحدي ابتداءً بحيث لا يقدر أحدٌ على مثلها، ولا على ما يقاربها[(٢)].

وعلى ذلك فإنّ الأمور التالية لا تعدّ من باب المعجزات:

١- الخوارق التي تعطى للأنبياء وليس مقصودًا بها التحدي، كنبع الماء من بين أصابع الرسول ﷺ، وتكثيره الطعام القليل، وتسبيح الحصا في كفّه، وإتيان الشجر إليه، وحنين الجذع إليه، وما أشبه ذلك.

٢- الخوارق التي أعطاها الله لغير الأنبياء ويسميها المتأخرون كرامات. والذين فرقوا هذا التفريق هم العلماء المتأخرون، أمّا المعجزة في اللغة وفي عرف العلماء المتقدمين كالإمام أحمد فإنّها تشمل ذلك كله[(٣)].

---

(١) « بصائر ذوي التمييز » (١/ ٦٥).

(٢) « لوامع الأنوار البهية » للسفاريني (٢/ ٢٨٩-٢٩٠).

(٣) « مجموع الفتاوى » لشيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٣١١)، و« لوامع الأنوار البهية » للسفاريني (٢/ ٢٩٠).

وقد أطلقنا عليها اسم (الآية) كما جاء بذلك القرآن الكريم، وهو اسم شامل لكل ما أعطاه الله لأنبيائه للدلالة على صدقهم سواء أقصد به التحدي أم لم يقصد[1].

أنواع الآيات:

إذا استقرأنا الآيات والمعجزات التي أعطاها الله لرسله وأنبيائه نجدها تندرج تحت ثلاثة أمور:

١ - العلم.

٢ - القدرة.

٣ - الغنى[2].

فالإخبار بالمغيبات الماضية والآتية، كإخبار عيسى قومه بما يأكلونه وما يدخرونه في بيوتهم، وإخبار رسولنا ﷺ بأخبار الأمم السابقة، وإخباره بالفتن وأشراط الساعة التي ستأتي في المستقبل، كل ذلك من باب العلم.

وتحويل العصا أفعى، وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، وشقّ القمر وما أشبه هذا، من باب القدرة.

وعصمة الله لرسوله ﷺ من الناس، وحمايته له ممن أراد به سوءًا، ومواصلته للصيام مع عدم تأثير ذلك على حيويته ونشاطه، من باب الغنى.

وهذه الأمور الثلاثة: - العلم، والقدرة، والغنى -، التي ترجع إليها المعجزات لا ينبغي أن تكون على وجه الكمال إلاّ لله تعالى، ولذلك أمر الله رسوله ﷺ بالبراءة من دعوى هذه الأمور ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ

---

(١) «الرسل والرسالات» لعمر الأشقر (ص: ١٢١).

(٢) «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٣١٢-٣١٣).

أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٥٠].

فالرسول ﷺ يبرأ من دعوى علم الغيب، وملك خزائن الأرض، ومن كونه مَلَكًا مستغنيًا عن الطعام والشراب والمال. والرسل ينالون من هذه الثلاثة المخالفة للعادة المطردة، أو لعادة أغلب الناس بقدر ما يعطيهم الله تعالى، فيعلمون من الله ما علمهم إيّاه، ويقدرون على ما أقدرهم عليه، ويستغنون بما أغناهم به[١].

دلائل النبوة:

للنبوة دلائل كثيرة وعديدة منها:

١ - الآيات التي يجريها الله تعالى على أيدي الرسل والأنبياء تصديقًا لهم: عصى موسى عليه السلام، نار إبراهيم عليه السلام، معجزات محمد ﷺ « القرآن، الإسراء والمعراج، انشقاق القمر، تكثير الطعام... »[٢].

٢ - بشارات الأنبياء السابقين بالأنبياء اللاحقين: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١][٢].

٣ - تأييد الله لرسله، ونصرته لهم، وإجابة دعوتهم: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣][٢].

---

(١) « الرسل والرسالات » لعمر الأشقر (ص: ١٢٣).

(٢) « مادة العقيدة » للدكتور أبو زيد مكي (ص: ١٠٠).

المبحث الرابع:

الوحي وأنواعه.

تعريف الوحي:

سمَّى الله الطريق الذي يُعلّمُ اللهُ به أنبياءَه ورسله وحيًا، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ [النساء: ١٦٣].

والوحي في اللغة: الإعلام الخفّي السريع مهما اختلفت أسبابه[(١)]، فقد يكون بالإلهام كوحي الله إلى الحواريين: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١]، وكوحي الله لأم موسى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، ويأتي بمعنى الإيماء والإشارة، فقد سمّى القرآنُ إشارةَ زكريا إلى قومه وحيًا: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ [مريم: ١١].

وأكثر ما وردت كلمة (وحي) في القرآن الكريم بمعنى إخبار وإعلام الله من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، بطريقة سرّية خفيّة، غير معتادة للبشر[(٢)].

---

(١) « فتح الباري شرح صحيح البخاري » لابن حجر (٩/١)، و« المصباح المنير » لأحمد الفيومي (٦٥١-٦٥٢).

(٢) « الرسل والرسالات » لعمر الأشقر (ص: ٦١).

مقامات وحي الله إلى رسله:

للوحي الذي يعلم الله به رسله وأنبياءَه مقامات، قال الله تعالى مبيِّنًا هذه المقامات: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[الشورى: ٥١].

فالمقامات ثلاثة:

الأولى: الإلقاء في روع النبي الموحى إليه، بحيث لا يمتري النبي في أنّ هذا الذي أُلقي في قلبه من الله تعالى، كما جاء عن رسول اللهﷺ أنّه قال: « **إنّ روح القدس نفث في روعي أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب** »[١]، وذهب ابن الجوزي إلى أن المراد بالوحي في قوله تعالى: ﴿إِلَّا وَحْيًا ﴾ الوحي في المنام[٢].

رؤيا الأنبياء:

وهذا الذي فسّر به ابن الجوزي المقام الأول داخل في الوحي بلا شّك، فإنّ رؤيا الأنبياء حقٌّ، ولذلك فإنَّ خليل الرحمن إبراهيم بادر إلى ذبح ولده عندما رأى في المنام أنّه يذبحه، وعدّ هذه الرؤيا أمرًا إلٰهيًا، قال تعالى في إبراهيم وابنه إسماعيل: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[الصافات: ١٠٢-١٠٥].

---

(١) أخرجه الطبراني (٨/ ١٦٦) (٧٧١٠)، والحديث صححه الألباني في « صحيح الجامع » (٢٠٨٥) وعزاه لابن حبان.

(٢) « زاد المسير في علم التفسير » لابن الجوزي (٧/ ٢٩٧).

وفي الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: « **أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في المنام، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح** »[1].

المقام الثاني: تكليم الله لرسله من وراء حجاب:

وذلك كما كلَّم الله تعالى موسى عليه السلام وذكر الله ذلك في أكثر من موضع في كتابه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١١-١٤]، وممن كلّمه الله آدم عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣]، وكلّم الله عبده ورسوله محمدًا ﷺ عندما عرج به إلى السماء.

المقام الثالث: الوحي إلى الرسول بواسطة الملك:

وهذا هو الذي يُفقه من قوله تعالى: ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١]، وهذا الرسول هو جبريل، وقد يكون غيره وذلك في أحوال قليلة[2].

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٧).

(٢) « عالم الملائكة » (ص: ٤٠)، و« الرسل والرسالات » (ص: ٦٢) لعمر الأشقر.

هل يمكن أن يستغني العقل عن الوحي؟

يزعم الناس في عالم اليوم أنّه يمكنهم الاستغناء عن الرسل والرسالات بالعقول التي وهبهم الله إياها، ولذلك نراهم يسنُّون القوانين، ويحلُّون ويحرمون، ويخططون ويوجهون، ومستندهم في ذلك كلّه أن عقولهم تستحسن ذلك أو تستقبحُه، وترضى به أو ترفضه، وهؤلاء لهم سلف قالوا مثل مقالتهم هذه، فالبراهمة - وهم طائفة من المجوس - زعموا أن إرسال الرسل عبث، لا يليق بالحكيم، لإغناء العقل عن الرسل، لأنّ ما جاءت به الرسل إن كان موافقًا للعقل حسنًا عنده فهو يفعله، وإن لم يأت به، وإن كان مخالفًا قبيحًا - فإن احتاج إليه فعله وإلّا تركه[1].

ولا يجوز في مجال الحجاج والنزاع أن يبادر المسلم إلى إنكار قدرة العقل على إدراك الحسن والقبح، « فإنّ الله قد فطر عباده على الفرق بين الحسن والقبيح، وركب في عقولهم إدراك ذلك، والتمييز بين النوعين، كما فطرهم على الفرق بين النافع والضار والملائم لهم والمنافر، وركب في حواسهم إدراك ذلك، والتمييز بين أنواعه.

والفطرة الأولى: « وهي فطرته العباد على الفرق بين الحسن والقبيح » هي خاصة الإنسان التي تميَّزَ بها عن غيره من الحيوانات، **وأما الفطرة الثانية:** « وهي فطرته للعباد على الفرق بين النافع والضار.. » فمشتركة بين أصناف الحيوان »[2] والذي ينبغي أن ينازع فيه أمور:

---

(١) « لوامع الأنوار البهية » للسفاريني (٢/ ٢٥٦).

(٢) « مفتاح دار السعادة » لابن القيم (٢/ ١١٦).

الأول: أنّ هناك أمورًا هي مصلحة للإنسان لا يستطيع الإنسان إدراكها بمجرد عقله، لأنها غير داخلة في مجال العقل ودائرته، « فمن أين للعقل معرفة الله – تعالى – بأسمائه وصفاته..؟ ومن أين له معرفة تفاصيل شرعه ودينه الذي شرعه لعباده؟ ومن أين له معرفة تفاصيل ثوابه وعقابه، وما أعدّ لأوليائه، وما أعدّ لأعدائه، ومقادير الثواب والعقاب، وكيفيتهما، ودرجاتهما؟ ومن أين له معرفة الغيب الذي لم يُظهِر اللهُ عليه أحدًا من خلقه إلاّ من ارتضاه من رسله؟ إلى غير ذلك مما جاءت به الرسل، وبلغته عن الله، وليس في العقل طريق إلى معرفته »[1].

الثاني: أن الذي يدرك العقلُ حسنَه أو قبحَه يدركُه على سبيل الإجمال، ولا يستطيع أن يدرك تفاصيل ما جاء به الشرع، وإن أدركَ التفاصيلَ فهو إدراك لبعض الجزئيات وليس إدراكًا كليًا شاملًا: « فالعقل يدرك حسن العدل، وأما كون هذا الفعل المعين عدلًا أو ظلمًا فهذا مما يعجز العقل عن إدراكه في كلّ فعل وعقد »[1].

الثالث: أن العقول قد تحار في الفعل الواحد، فقد يكون الفعل مشتملًا على مصلحة ومفسدة، ولا تعلم العقول مفسدته أرجح أو مصلحته، فيتوقف العقل في ذلك، فتأتي الشرائع ببيان ذلك، وتأمر براجح المصلحة، وتنهى عن راجح المفسدة، وكذلك الفعل يكون مصلحة لشخص مفسدة لغيره، والعقل لا يدرك ذلك، وتأتي الشرائع ببيانه، فتأمر به من هو مصلحة له، وتنهى عنه من حيث هو مفسدة في حقّه، وكذلك الفعل يكون مفسدة في الظاهر، وفي ضمنه مصلحة

(١) « مفتاح دار السعادة » لابن القيم (٢/ ١١٧).

عظيمة لا يهتدي إليها العقل، فتجيء الشرائع ببيان ما في ضمنه من المصلحة، والمفسدة الراجحة[1].

وفي هذا يقول ابن تيمية: « الأنبياء جاؤوا بما تعجز العقول عن معرفته، ولم يجيئوا بما تعلم العقول بطلانه، فهم يخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول »[2].

الرابع: ما يتوصل إليه العقل وإن كان صحيحًا، فإنه ليس إلا فرضيات، قد تجرفها الآراء المتناقضة، والمذاهب الملحدة .

ولو استطاعت البقاء فإنها – في غيبة الوحي – ستكون تخمينات شتى، يلتبس فيها الحق بالباطل .

بطلان قول البراهمة:

والبراهمة الذين يزعمون أنّ العقل يغني عن الوحي لا نحتاج إلى إيراد الحجج لإبطال قولهم، وكل ما نفعله أن نوجه الأنظار إلى ما قادتهم إليه عقولهم التي زعموا أنهم يستغنون بها عن الوحي، هذا زعيم من زعمائهم في القرن العشرين يقول مفاخرًا: « عندما أرى البقرة لا أجدني أرى حيوانًا، لأني أعبد البقرة، وسأدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع ».

ولقد قاده عقله إلى تفضيل أمّه البقرة على أمّه التي ولدته: « وأمي البقرة تفضل أمّي الحقيقية من عدة وجوه، فالأمّ الحقيقية ترضعنا مدة عام أو عامين، وتتطلب منّا خدمات طول العمر نظير هذا، ولكنّ أمنا البقرة تمنحنا اللبن دائمًا، ولا تطلب

(١) « مفتاح دار السعادة » لابن القيم (٢/ ١١٦).

(٢) « مجموع الفتاوى » لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٣١٢).

منّا شيئًا مقابل ذلك سوى الطعام العادي.. » ومضى عابد البقر يقارن بين أمّه البقرة وأمّه الحقيقية موردًا الحجج والبراهين على أفضلية أمّه البقرة على أمّه الحقيقية إلى أن قال: « إنّ ملايين الهنود يتجهون للبقرة بالعبادة والإجلال، وأنا أعدّ نفسي واحدًا من هؤلاء الملايين ». وقد قرأت منذ مدة في مجلة العربي التي تصدر في الكويت عن معبد فخم مكسو بالرخام الأبيض ترسَل إليه الهدايا والألطاف – من شتى أنحاء الهند، بقي أن تعلم أنّ الآلهة التي تقدم لها القرابين وترسل لها النذور في ذلك المعبد الفخم إنّما هي الفئران. هذه بعض الترهات التي هدتهم إليها عقولهم التي زعموا أنّ فيها غنية عن الوحي الإلهي.

مجالات العقل:

إن الذين يريدون أن يستغنوا عن الوحي بالعقل يظلِمون العقل ظلمًا كبيرًا، ويبدِّدون طاقةَ العقل في غير مجالها، « إن للعقل اختصاصُه وميدانه وطاقته، فإذا اشتغل خارج اختصاصه جانبه الصواب، وحالفه الشطط والتخبط، وإذا أجري في غير ميدانه كَبَا وتَعثَّر، وإذا كُلّف فوق طاقته كان نصيبه العجز والكلال. إن العالم المادي المحسوس أو عالم الطبيعة هو ميدان العقل الفسيح الذي يصول فيه ويجول، فيستخرج مكنوناته، ويربط بين أسبابه وعلله، ومقدماته ونتائجه، فيكشف ويخترع، ويتبحّر في العلوم النافعة في مختلف ميادين الحياة، وتسير عجلة التقدم البشري إلى أمام.

أما إذا كلف النظر خارج اختصاصه، أعني ما وراء الطبيعة، فإنه يرجع بعد طول البحث والعناء بما لا يروي غليلًا ولا يشفي عليلًا، بل يرجع بسخافات وشطحات[1].

موقع العقل من الوحي:

يزعم كثير من الناس أن الوحي يلغي العقل ويطمس نوره، ويورثه البلادة والخمول، وهذا زعم كاذب، ليس له من الصحة نصيب، فالوحي الإلهي وجّه العقول إلى النظر في الكون والتدبر فيه، وحث الإنسان على استعمار هذه الأرض، واستثمارها، وفي مجال العلوم المنزلة من الله وظيفةُ العقل أن ينظر فيها، ليستوثق من صحةُ نسبتها إلى الله تعالى، فإن تبين له صحة ذلك فعليه أن يستوعبُ وحي الله إليه، ويستخدم العقل الذي وهبه الله إياه في فهم وتدبر الوحي، ثم يجتهد في التطبيق والتنفيذ.

والوحي مع العقل كنور الشمس أو الضوء مع العين، فإذا حجب الوحي عن العقل لم ينتفع الإنسان بعقله، كما أنّ المبصر لا ينتفع بعينه إذا عاش في ظلمة، فإذا أشرقت الشمس، وانتشر ضوؤها انتفع بناظريه، وكذلك أصحاب العقول إذا أشرق الوحي على عقولهم وقلوبهم أبصرت واهتدت ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦][2].

---

(١) «نظرات في النبوة» (ص: ١٧).

(٢) «الرسل والرسالات» لعمر الأشقر (ص: ٣٥).

النسخ في القرآن:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة: ١٠٥-١٠٦].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ولكن ما هو السبب؟ السبب أن أهل الكتاب والمشركين لا يريدون خيرًا للمؤمنين في دينهم؛ لأنهم أحسوا أن ما جاء به محمد ﷺ في زمنه خير مما جاء به موسى وبقي إلى زمن محمد ﷺ، وخير مما جاء به عيسى وبقي إلى زمن محمد ﷺ.

وليس معنى ذلك أننا نحاول أن ننتقص ما جاء به الرسل السابقون.. لكننا نؤكد أن الرسل السابقين جاءوا في أزمانهم بخير ما وُجد في هذه الأزمان، فكل رسالة من الرسالات التي سبقت رسالة رسول الله ﷺ وجاءت لقوم محدّدين ولزمن محدّد، ثم جاء نبي جديد لينسخ ما في الرسالة السابقة لقوم محددين، وزمن محدد. واقرأ قول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حينما بعث إلى بني إسرائيل كما يروي لنا القرآن الكريم: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران: ٥٠]، فكأن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ جاء لينسخ بعض أحكام التوراة، ويحل لبني إسرائيل بعض ما حرمه الله عليهم، ورسول الله ﷺ - وهو الرسول الخاتم - أعُطي الخيرَ كله؛ لأن دينَه للعالمين وباقٍ إلى يوم القيامة.

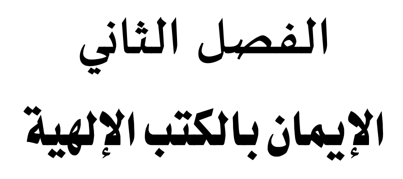
وهكذا نرى أن المؤمنين بالرسل كلما جاء رسول جديد كانوا ينتقلون من خير إلى خير، وفيما تتفق فيه الرسالات كانوا ينتقلون إلى مثل هذا الخير، وذلك فيما يتعلق بالعقائد، وإلى زيادة في الخير فيما يتعلق بمنهج الحياة، هناك في رسالات السماء كلها أمور مشتركة لا فرق فيها بين رسول ورسول وهي قضية الإيمان بإله واحد أحد له الكمال المطلق؛ سبحانه في ذاته، وسبحانه في صفاته، وسبحانه في أفعاله.. كل ذلك قدر الرسالات فيه مشترك، ولكن الحياة في تطورها توجد فيها قضايا لـم تكن موجودة ولا مواجهة في العصر الذي سبق. فإذا قلنا إن رسالة بقيمتها العقائدية تبقى؛ فإنها لا تستطيع أن تواجه قضايا الحياة التي ستأتي بها العصور التي بعدها فيما عدا الإسلام؛ لأنه جاء دينًا خاتمًا لا يتغير ولا يتبدل إلى يوم القيامة.

على أننا نجد من يقول وماذا عن قول الله ﷻ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣]، نقول إنّ هذا يأتي في شيء واحد يتعلق بالأمر الثابت في رسالات السماء وهو قضية قمة العقيدة والإيمان بالله الواحد، أما فيما يتعلق بقضايا الحياة فإننا نجد أحكامًا في هذه الحركة حسب ما طرأ عليها من توسعات.. ولذلك عندما جاء محمد ﷺ أُعطي أشياء يعالج بها قضايا لم تكن موجودة في عهد الرسل السابقين »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١/ ٥٠٧-٥٠٨).



الفصل الثاني

الإيمان بالكتب الإلهية

وفيه مبحثان

المبحث الأول: المُراد بالكُتب الإلهية، ومعنى الإيمان بها، وثمرات الإيمان بها

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: المُراد بالكُتب الإلهية

المطلب الثاني: معنى الإيمان بالكُتب الإلهية

المطلب الثالث: ثمرات الإيمان بالكُتب الإلهية

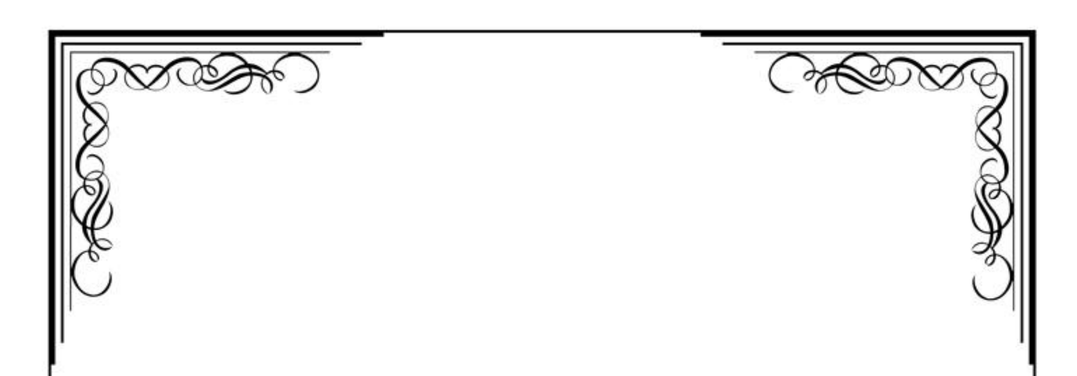
المبحث الثاني: أدلة الإيمان بالكُتب السابقة والقرآن، والمقارنة بينهما

وفيه مطلبان

المطلب الأول: أدلة الإيمان بالكُتب السابقة والقرآن

المطلب الثاني: المقارنة بين القرآن والكُتب السابقة





المبحث الأول

المُراد بالكُتب الإلهية، ومعنى الإيمان بها، وثمرات الإيمان بها

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: المُراد بالكُتب الإلهية

المطلب الثاني: معنى الإيمان بالكُتب الإلهية

المطلب الثالث: ثمرات الإيمان بالكُتب الإلهية





المطلب الأول: المراد بالكُتب الإلهية؛ لغة واصطلاحًا:

الكتب لغةً: [كتب] ك ت ب: كَتَبَ من باب نصر، وكِتَّابًا أيضًا وكِتَّابةً، والكِتابُ أيضًا الفرض والحكم والقدر، والكاتِبُ عند العرب العالِم؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الطور: ٤١]، والكُتَّاب بالضم والتشديد الكَتَبةُ والكُتَّابُ أيضًا والمَكتَبُ واحد والجمع الكَتَّاتِيبُ والمَكَاتِبُ، والكَتِيبةُ الجيش، واكتَتَب أي: كتب، ومنه قوله تعالى: ﴿اكتتبَها﴾، واكتَتَبَ أيضًا: كَتَب نفسه في ديوان السلطان، والمُكتِبُ بوزن المخرج الذي يعلم الكتابة، واستَكتبَهُ الشيء: سأله أن يكتبه له، والمُكاتَبَةُ والتَّكاتُب بمعنى، والمُكاتَبُ: العبد يكاتب على نفسه بثمنه فإذا سعى وأداه عتق[1].

شرعًا: الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله مشتملة على الهدى والحق والنور، لإسعاد الناس في الدنيا والآخرة[2]. قال تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨].

المطلب الثاني: معنى الإيمان بالكتب الإلهية:

« فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله تعالى أنزلها على أنبيائه، ولا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى »[3].

---

(١) « مختار الصحاح » (ص: ٢٣٤).

(٢) « مادة العقيدة » للدكتور أبو زيد مكي (ص: ٩١).

(٣) « أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة » لنخبة من العلماء (ص: ١٥٤-١٨٥).

كيفية الإيمان بالكتب:

١- أن نؤمن بأن كل كتاب أنزله الله على رسله، فإن الله تكلم به حقيقة، وأوحى به إلى رسوله سواء من وراء حجاب بلا واسطة، أو عن طريق جبريل عليه السلام.

٢- نؤمن بأسماء الكتب التي سماها الله لنا في القرآن، وهي خمسة: صحف إبراهيم، والتوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن .

٣- نؤمن بأن الكتب السابقة للقرآن جاءت لأقوام محددين في فترة زمنية، ولذلك لم يتعهد الله بحفظها من الضياع أو التحريف فقال سبحانه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨].

٤- نؤمن بأن القرآن جاء للناس كافة وإلى قيام الساعة، ولذلك فقد تضمن خلاصة الشرائع السابقة، فجاء ناسخًا للكتب السابقة ومهيمنًا عليها، وقد تكفل الله بحفظه[1].

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: « والمراد بها هنا: الكتب التي أنزلها تعالى على رسله رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة »[2].

---

(١) انظر: « المنهاج في شعب الايمان » (١/ ٣١٧-٣٢٢)، و« الإيمان » لمحمد نعيم ياسين (ص: ٧٩-٨١).

(٢) « شرح ثلاثة الأصول » لابن عثيمين (ص: ٩٤).

والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقًّا.

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللهُ **في تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢]: « وليس القرآن وحده تنزيلَ رب العالمين، إنما كل الكتب السابقة الإلهية كانت تنزيلَ رب العالمين، لكن الفرق بين القرآن والكتب السابقة أنها كانت تأتي بمنهج الرسول فقط، ثم تكون له معجزة في أمر آخر تثبت صِدقه في البلاغ عن الله.

فموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان كتابه التوراة، ومعجزته العصا، وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان كتابه الإنجيل، ومعجزته إبراء الأكمة والأبرص بإذن الله، أما محمد ﷺ فكان كتابه ومنهجه القرآن ومعجزته أيضًا، فالمعجزة هي عَين المنهج »[1].

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمَه منها باسمه كالقرآن الذي نزل على محمد ﷺ، والتوراة التي أنزلت على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والإنجيل الذي أنزل على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والزبور الذي أوتيه داود عَلَيْهِ السَّلَامُ وأما ما لم نعلم اسمه فتؤمن به إجمالًا.

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللهُ **في تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]: « ومعنى: ﴿كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ﴾ الزبور: الكتاب الذي أُنزِل على نبي الله داود، ومعنى الزبور: الشيء المكتوب »[2].

وقال رَحِمَهُ اللهُ **في تفسير قوله تعالى:** ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٢]: « و ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هو التوراة، فلو

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١٧/ ١٠٦٨٣-١٠٦٨٤).

(٢) « تفسير الشعراوي » (١٦/ ٩٦٦٥).

اقترن بعيسى فهو الإنجيل، وإن أُطلِق دون أن يقترنَ بأحد ينصرف إلى القرآن الكريم »[1].

الثالث: تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار مالم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به، سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]. أي: (حاكمًا عليه) وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقرَّه القرآن.

المطلب الثالث: ثمرات الإيمان بالكتب الإلهية:

الإيمان بالكتب يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعناية الله تعالى بعباده حيث أنزل لكل قوم كتابًا يهديهم به.

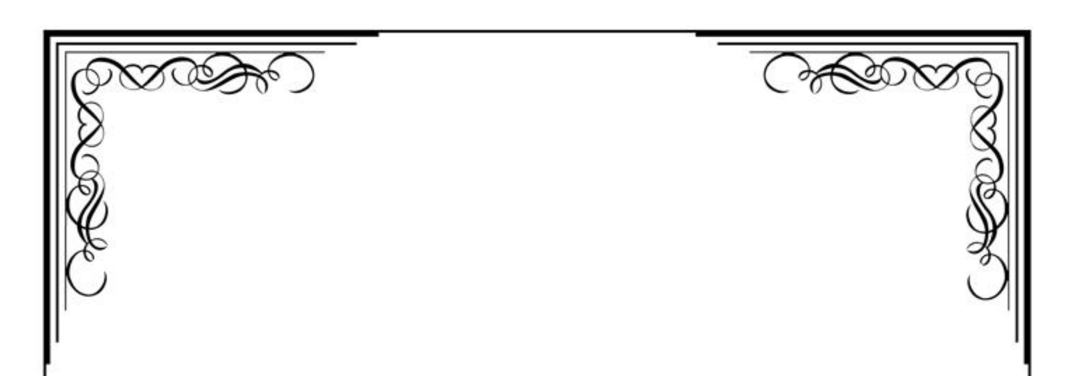
الثانية: العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم. كما قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨][2].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللهُ فيما سبق جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١٣/ ٨٣٣٥).

(٢) « شرح ثلاثة الأصول » لابن عثيمين (ص: ٩٤).



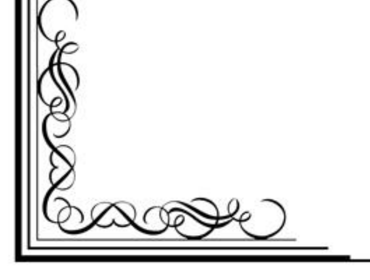
المبحث الثاني

أدلة الإيمان بالكُتب السابقة والقرآن، والمقارنة بينهما

وفيه مطلبان

المطلب الأول: أدلة الإيمان بالكُتب السابقة والقرآن

المطلب الثاني: المقارنة بين القرآن والكُتب السابقة





المطلب الأول:

أدلة الإيمان بالكتب السابقة والقرآن:

أولًا: من القرآن:

١ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا بد مع الإيمان بالله أن تؤمن بالرسول، وما دمت أيها المؤمن قد آمنت برسوله فلا بد أن تؤمن بالكتب التي جاءت على لسان الرسول... إذًا فالقمة الإيمانية هي أن تؤمن بالله، ولازمها أن تؤمن برسول الله، وأن تؤمن بكتاب مع الرسول، وأن تؤمن بما يقوله الله عن خلق لا تستطيع أن تدركهم كالملائكة، وهذا الأمر بالإيمان هو مطلوب من أهل الكتاب لأنهم آمنوا برسلهم، ويطلب منهم أن يؤمنوا برسول الله وبما أُنزل عليه... ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُ﴾؛ والمعروف أن الكتاب هو القرآن وهو عَلَمٌ عليه، أما الكتاب الذي أنزل من قبل فلنعرف أن المراد به هو جنس الكتاب، أي: كل الكتب التي نزلت على الرسل السابقين وعلى رسول الله ﷺ.

ثم قال: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾؛ أي: إن آمن بالله وكفر ببقية ما ذكر في الآية فهو كافر أيضًا»[1].

---

(١) «تفسير الشعراوي» (٥/ ٢٧١٥-٢٧١٧).

٢- وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤].

قال الشعراوي رحمه الله: « وعندما نقرأ قوله الحق: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾: فهذا القول يوضح أن الرسول صلى الله عليه وسلم إنّما جاء بمنهج يضم صحيح العقائد والقصص والأخبار، وهو يوافق ما جاء في موكب الرسالات من يوم أن خلق الله الأرض وأرسل الرسل.

وقد أخذ الله العهد على الأمم والأنبياء من قبل، بأنه إذا جاء رسول مصدق لما معهم ليؤمنن به، وكذلك أخذ الله على رسولنا صلى الله عليه وسلم بأن يؤمن بالرسل السابقين، فهو صلى الله عليه وسلم لم يأت ليهدم أديانًا، ولكن ليكمل أديانًا، وهكذا نرى النص القرآني الجليل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

كأن الأديان السابقة بكل ما جاء فيها من صحيح العقائد، والقصص، والأخبار موجودة في الإسلام، وفوق كل ذلك جاء الإسلام بشرائع تناسب كل زمان ومكان، ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف: « مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بني بنيانًا فأحسنه وأجمله وأكمله إلا موضع لَبِنَةٍ فجعل الناس يطوفون به ويقولون: ما رأينا أحسن من هذا لولا موضع هذه اللبنة، فكنت أنا اللبنة »[(١)].

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٧٩٠).

إذًا فزمام كل الأمر انتهى إلى رسول الله ﷺ، فقد أخذ الله العهد على غيره أن يصدقوه عندما يجيء، وهو ﷺ آمن وصدق بمن سبق من الرسل، ولم يجيءْ من بعده شيء يطلب من رسول الله ولا من أمته أن يصدقوه.. »[(١)].

٣- وقال سبحانه: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣].

٤- وقال سبحانه: ﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ﴾ [الشورى: ١٥]، وغيرها من الأدلة.

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رحمه الله فيما سبق جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

ثانيًا: من السنة:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: « **بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجلٌ شديدُ بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ وأسند ركبتيه إلى ركبتهِ ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام: فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيمَ الصلاة، وتؤتيَ الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا، قال: صدقت، فعَجِبنا له، يسأله ويُصدِّقه، قال: فأخبرني عن الأيمان: قال: أن تؤمن**

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٣/ ١٥٩١-١٥٩٢).

بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمنَ بالقدر خيره وشره، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلمَ من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربتها وأن تجد الحفاة العراة العالة رعاة الشاة يتطاولون في البنيان، فانطلقت حتى لبث مليًا، ثم قال رسول الله ﷺ: « يا عمر: أتدري من السائل؟ » قلت: الله ورسوله أعلم، قال: « إنّه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم »[1].

- يرى الباحث أن هذا الحديث فيه فوائد كثيرة؛ منه وجوب الإيمان بأن محمدًا ﷺ رسول الله.

المطلب الثاني: المقارنة بين القرآن والكتب السابقة:

أولًا: الحفظ:

القرآن: محفوظ كله من الزيادة أو النقصان، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[الحجر: ٩][2].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسير قوله تعالى:** ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾: « والقرآن قد جاء بعد كُتب متعددة، وكان كل كتاب منها يحمل منهج الله؛ إلا أن أيَّ كتاب منها لم يَكُن معجزة؛ بل كانت المُعجزة تنزل مع أيِّ رسول سبق سيدنا رسول الله ﷺ، وعادة ما تكون المعجزة من صنف ما نبغ فيه القوم الذين نزل فيهم.

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٣٦).

(٢) « كتاب الايمان » لمحمد نعيم ياسين (ص: ٨١-٨٧).

وما دام المنهج مفصولًا عن المعجزة؛ فقد طلب الحق سبحانه من الحاملين لكتب المنهج تلك أن يحافظوا عليها، وكان هذا تكليفًا من الحق سبحانه لهم، والتكليف كما نعلم عُرضة أن يُطَاع، وعُرضة أن يُعصى، ولم يلتزم أحد من الأقوام السابقة بحفظ الكُتب المنزّلة إليهم.

ونجد الحق ﷻ يقول: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ ﴾ [المائدة: ٤٤]، أي: أن الحق ﷻ قد كلّفهم وطلب منهم أن يحفظوا كتبهم التي تحمل منهجه؛ وهذا التكليف عُرضة أن يطاع، وعُرضة أن يُعصى؛ وهم قد عَصَوا أمر الحق سبحانه وتكليفه بالحفظ؛ ذلك أنهم حرّفوا وبدلوا وحذفوا من تلك الكتب الكثير.

وقال الحق سبحانه عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦].

بل وأضافوا من عندهم كلامًا وقالوا: هو من عند الله؛ لذلك قال فيهم الحق سبحانه: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩]؛ وهكذا ارتكبوا ذنوب الكذب وعدم الأمانة، ولم يحفظوا الكتب الحاملة لمنهج الله كما أنزلها الله على أنبيائه ورُسله السابقين على رسول الله ﷺ.

ولذلك لم يَشَأ الحق سبحانه أن يترك مهمة حفظ القرآن كتكليفٍ منه للبشر؛ لأن التكليف عُرضة أن يطاع وعُرضة أن يُعصى، فضلًا عن أن القرآن يتميز عن الكتب السابقة في أنه يحمل المنهجَ، وهو المعجزةُ الدالة على صِدق بلاغ رسول

الله ﷺ في نفس الوقت »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

الكتب السابقة: غير محفوظة، فضاعت صحف إبراهيم وزبور داود، وتعرضت التوراة والإنجيل لأنواع من التحريف والتغيير والتبديل، سواء لمعانيهما أو لألفاظهما بالزيادة أو بالكتمان والنقص، والأمثلة على ذلك كثيرة، وقد قال تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥][2].

ثانيًا: المادة والمحتوى:

القرآن: كله كلام الله تكلم به حقيقة بحرف وصوت، فنجزم بنسبته إلى الله لفظًا ومعنى ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦][2].

الكتب السابقة:

لا نستطيع الآن الجزم بأنها كلام الله، لاختلاط كلام البشر بها ولما حصل لها من التغيير والتبديل. ولذلك فالواجب تركُها وعدمُ القراءة فيها؛ لأن مافيها من خير وهدى فقد جاء به القرآن. وبالنسبة لما فيها فما صدقه القرآن صدقناه، وما نفاه القرآن نفيناه، وما لم يعارض القرآن بنفي أو إثبات توقَّفنا فيه، وأوكلنا أمره إلى الله[2].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١٢/ ٧٦٥٠-٧٦٥٢).

(٢) « كتاب الايمان » لمحمد نعيم ياسين (ص: ٨١-٨٧).

ثالثًا: وجوب العمل:

القرآن: واجبٌ علينا اعتقاد أخباره نفيًا أو إثباتًا، وواجب علينا امتثال طلبه أمرًا أو نهيًا، وواجب علينا التأدب بآدابه والتخلق بأخلاقه واتخاذه منهاجًا للحياة[1].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللهُ **في تفسير قوله تعالى:** ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]: «وأن قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ يحمل معنى التفوق الكامل الشامل على كل ما سبقه من كتب، وأنه سيظل كذلك حتى قيام الساعة، ولذلك وصفه الحق تبارك وتعالى بأنه «الكتاب» ليكون دليلًا على الكمال.

ولا بد أن نعرف أن «ذلك» ليست كلمة واحدة. . وانما هي ثلاث كلمات.. «ذا» اسم اشارة.. «واللام» تدل على الابتعاد ورفعة شأن القرآن الكريم، و«ك» لمخاطبة الناس جميعًا بأن القرآن الكريم له عمومية الرسالة الى يوم القيامة»[2].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

الكتب السابقة: نُسِخ العمل بما فيها بدين الإسلام والقرآن، فما نعمل منها إلا بما أقره القرآن، وبالتالي فإنّا لا نعمل بما فيها، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨][1].

---

(١) «كتاب الايمان» لمحمد نعيم ياسين (ص: ٨١-٨٧).

(٢) «تفسير الشعراوي» (١/ ١١٧-١١٨).

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « أما قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فالمقصود به الزبور والتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وموسى، ثم جاء القرآن مهيمنًا على كل هذه الكتب... إذًا فـ « مهيمن » هو قيم وشاهد ورقيب. وما دام القرآن قد جاء مصدقًا لما بين يديه من الكتاب فعلى أي مجال يهيمن؟ نحن نعرف مدلول الكتاب بأنه نزل من عند الله، فإن بقي الكتاب الذي من عند الله كما هو فالقرآن مصدق لما به، أما إن لعبت في ذلك المنهج أهواءُ البشر فالقرآنُ مهيمن لأنه يصحح المنهج وينقّيه من أهواءِ البشر »[1].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ **في تفسير قوله تعالى:** ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ١]: « فهل الكتاب هو شيء غير القرآن؟ ونقول: إن الكتاب إذا أُطلِق؛ فهو ينصرف إلى كل ما نزل من الله على الرسل؛ كصحف إبراهيم، وزبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى؛ وكل تلك كتب، ولذلك يسمونهم « أهل الكتاب ».

أما إذا جاءت كلمة « الكتاب » مُعرَّفة بالألف واللام؛ فلا ينصرف إلا للقرآن، لأنه نزل كتابًا خاتمًا، ومُهيمنًا على الكتب الأخرى »[2].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٥/ ٣١٨١-٣١٨٢).

(٢) « تفسير الشعراوي » (١٢/ ٧٦٣٤).

الباب الثالث

مسائل العقيدة الواردة في السمعيات

وفيه أربعة فصول

الفصل الأول: الملائكة

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: تعريف الملائكة والمراد بالإيمان بهم وصفاتهم.

المبحث الثاني: وظائف الملائكة وأعمالهم وعددهم وعلاقتهم بالإنسان وبقية المخلوقات

المبحث الثالث: أسماء الملائكة، وثمرات الإيمان بهم

الفصل الثاني: الجن

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: تعريف الجن وخلقهم وصفاتهم

المبحث الثاني: العلاقة بين الجن والملائكة، وبين الجن والإنس

المبحث الثالث: العلاقة بين الجن والإنس

الفصل الثالث: اليوم الآخر

وفيه عشرة مباحث

المبحث الأول: مفهوم الإيمان باليوم الآخر، وأهميته، وثمرات الإيمان به

المبحث الثاني: القبر: فتنته وعذابه ونعيمه

المبحث الثالث: البعث

المبحث الرابع: الحشر

المبحث الخامس: العرض والحساب

المبحث السادس: الميزان

المبحث السابع: الحوض

المبحث الثامن: الصراط

المبحث التاسع: الشفاعة

المبحث العاشر: الجنة والنار

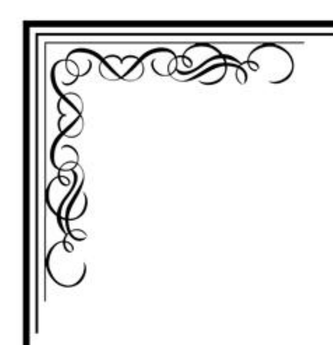
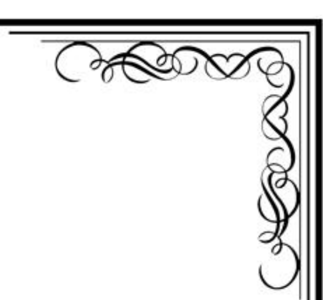
الفصل الرابع: القضاء والقدر

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: مفهوم الإيمان بالقضاء والقدر، ومراتب القدر

المبحث الثاني: مسألة خلق أفعال العباد، والفِرق التي ضلت في القدر

المبحث الثالث: الهداية

الفصل الأول

المـــلائـــكـــة

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول : تعريف الملائكة والمراد بالإيمان بهم وصفاتهم

المبحث الثاني : وظائف الملائكة وأعمالهم وعددهم وعلاقتهم بالإنسان وبقية المخلوقات

المبحث الثالث : أسماء الملائكة ، وثمرات الإيمان بهم




المبحث الأول:
تعريف الملائكة والمراد بالإيمان بهم وصفاتهم.

تعريف الملائكة:

الملائكة لغة:

جمع ملَك، وملك أصلها مألك، ولكنها قُلبت ملأك، ثم جمعت ملائكة، ومألك، والمألكة، والألوكة: فعلها ألَك: أي: بلّغ الرسالة، فسميت الملائكة بهذا الاسم؛ لأنهم كلهم مستصلحون لإبلاغ رسالة الله للبشر(١).

الملائكة شرعًا:

خلق من مخلوقات الله خلقهم الله من نور، ليسوا من الجن ولا من البشر، وهو عالم كريم كلُّه طُهْرٌ وصفاء ونقاء، وهم كرامٌ وأتقياء يعبدون الله حق العبادة ويقومون بتنفيذ ما يأمرهم به ولا يعصون الله أبدًا، وهم من عالم الغيب مكلفون بأعمال وعبادات خاصة يقومون بها لله ﷻ، مجبولون على الطاعة(٢).

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللهُ **في تفسير قوله تعالى:** ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل: ٢]: « والملائكة كما أخبرنا الحق سبحانه: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧]، ويقول في آية أخرى: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]، وهم من نور، ولا تصيبهم الأغيار،

---

(١) انظر: « لسان العرب » (١٠/ ٣٩٢)، و« معجم مقاييس اللغة » (١/ ١٣٢).
(٢) « عالم الملائكة الأبرار » لعمر الأشقر (ص: ١).

ولا شهوةَ لهم؛ فلا يتناكحون ولا يتناسلون، وهم أقربُ إلى الصَّفَاء، وهم مَن يُمكِنهم التلقِّي من الأعلى ويبلغون الأَدنى؛ ولذلك نجد الحق سبحانه يقول عن القرآن: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وهنا يقول الحق سبحانه: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ »[١].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

المراد بالإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجودهم.

الثاني: الإيمان بمَنْ عَلِمْنا اسمَه منهم باسمه (كجبريل) ومن لم نعلم اسمَه نؤمن بهم إجمالًا.

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة (جبريل) فقد أخبر النبي ﷺ أنه رآه على صفته التي خلق عليها وله ستمائة جناح قد سَدَّ الأفق[٢].

وقد يتحول الملَك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل، كما حصل (لجبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) حين أرسله تعالى إلى مريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ فتمثل لها بشرًا سويًا، وحين جاء إلى النبي ﷺ وهو جالس في أصحابه جاءه بصفة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحد من الصحابة، فجلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه إلى فخذيه، وسأل النبي ﷺ عن الإسلام،

---

(١) «تفسير الشعراوي» (١٣/ ٧٨٠١-٧٨٠٢).

(٢) صحيح البخاري (ص: ٣٢٣٢-٣٢٣٣).

والإيمان والإحسان، والساعة، وأماراتها، فأجابه النبيﷺ فانطلق. ثم قال النبي ﷺ: « **هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم** »[(١)].

وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى إلى إبراهيم ولوط عليهما السلام، كانوا في صورة رجال.

الرابع: الإيمان بما عَلِمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى، كتسبيحه، والتعبد له ليلًا ونهارًا بدون ملل ولا فتور. وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة مثل: جبريل عليه السلام الأمين على وحي الله تعالى يرسِلُه الله به إلى الأنبياء والرسل[(٢)].

فلا نغلو فيهم: فنعتقد أنهم آلهة أو كواكب مدبرة أو بنات لله، تعالى الله عن ذلك، ولا نجفوا فيهم: فنعتقد فيهم أنهم يعصون أوامر الله، أو يعترضون على أحكامه وشرعه[(٣)]، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وقال ﷺ: « **الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره** »[(١)].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) « شرح ثلاثة الأصول » لابن عثيمين (ص: ٩٠).

(٣) انظر: « المنهاج في شعب الإيمان » (١/ ٣٠٢)، و« تفسير القرآن العظيم » لابن كثير (٧/ ٣٧).

﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « وتأتي مسألة الإيمان بالملائكة فيقول الحق: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ فكيف نؤمن بخلق من خلق الله لا نراه؟

إننا ما دمنا قد آمَنَّا بالقِمَّة، وهي الإيمان بالله، والله أخبرنا بأن هناك ملائكة، وحتى لو كان وجود الملائكة غيبيًا فنحن نؤمن بها؛ لأن الذي أخبر بها هو الله، وكذلك نؤمن بالجن برغم أننا لا نراهم، وكل ما يتعلق بالغيبيات هو إخبار ممن آمَنْتَ به، لذلك تؤمن بها »[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « وهكذا أعطى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الحُكم، فقال: إن العداوة للرسل مثل العداوة للملائكة، مثل العداوة لجبريل وميكائيل، مثل العداوة لله.

ولقد جاء الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالملائكة ككُلٍّ، ثم ذكر جبريل وميكائيل بالاسم.

إن المسألة ليست مجزأة ولكنها قضية واحدة، فمن كان عدوًا للملائكة وجبريل وميكائيل ورسل الله؛ فهو أولًا وأخيرًا عدوٌّ لله؛ لأنه لا انقسام بينهم، فكلهم دائرون حول الحق. والحق الواحد لا عدوان فيه، وإنما العدوان ينشأ من تصادم الأهواء والشهوات، وهذا يحدث في أمور الدنيا.

(١) « تفسير الشعراوي » (٢/ ٧٣١).

والآية الكريمة أثبتت وحدة الحق بين الله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل، ومن يعادي واحدًا من هؤلاء يعاديهم جميعًا وهو عدوّ الله سبحانه... وهكذا فالحق ﷻ يريد أن يلفتنا إلى وحدة الحق في الدين، مصدره هو الله ﷻ، ورسوله من الملائكة هو جبريل، ورسله من البشر هم الرسل والأنبياء الذين بعثهم الله، وميكائيل ينزل بالخير والخصب؛ لأن الإيمان أصل وجود الحياة »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رحمه الله هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

صفاتهم:

١ - عظم خلقهم[2]:

قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

« قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾: هذا نداء الله إلى عباده المؤمنين يَعِظُهم وينصح لهم فيه أن يقوا أنفسهم وأهليهم من أي ما توقد به الناس من المشركين والحجارة التي هي أصنامهم التي كانوا يعبدونها، يَقُونَ أنفسَهم بطاعة الله ورسوله، تلك الطاعة التي تزكي أنفسهم وتؤهلهم لدخول الجنة بعد النجاة من النار.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١/ ٤٨١).

(٢) « مادة العقيدة » للدكتور أبو زيد مكي (ص: ٨٥).

وقوله تعالى: ﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾؛ أي: على النار قائمون عليها، وهم الخزنة التسعة عشرة، غلاظُ القلوب والطباع، شداد البطش إذا بطشوا، ولا يعصون الله؛ أي: لا يخالفون أمره، وينتهون إلى ما يأمرهم به، وهو معنى ويفعلون ما يأمرون »[1].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾: « هذه النار يقف على أمرها ملائكة وهم خزنة جهنم، وهم ﴿غِلَاظٞ شِدَادٞ﴾، والغلاظ جمع غليظ: وهو القوي البنية عظيمها، ما بين منكبي أحدهم مسيرة عام، وهم أيضًا غلاظ القول على الكافرين، فهم غلاظ على أهل النار شداد عليهم، فهم غِلاظ القلوب لا يرحمون إذا استرحمهم الكافرون... وهم تسعةَ عشر؛ كما قال تعالى: ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠]، وهم غلاظ شداد في ردودهم على كلام أهل النار لهم، وقد قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٩]، فردُّوا عليهم ردًا موئسًا لهم: ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: ٥٠]... »[2].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

---

(١) « أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير » لأبي بكر الجزائري (٤/ ٥١٣).

(٢) « تفسير الشعراوي » (٢٥/ -١٥٩٥٧).

٢ - قدرتهم على التشكل[١]:

قال سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾ [مريم: ١٦-١٩]: هذه بداية قصة مريم عليها السلام إذ قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي: القرآن الكريم ﴿مَرۡيَمَ﴾ أي: نبأها وخبرها، ليكون ذلك دليلًا على نبوتك وصدقك في رسالتك وقوله ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتۡ﴾ أي: اعتزلت ﴿مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ هذا بداية القصة، وقوله ﴿مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ أي: موضعًا شرقي دار قومها وشرق المسجد، ولذا اتخذ النصارى المشرق قبلة لهم في صلاتهم، ولا حجة لهم في ذلك إلاّ الابتداع، وإلاّ فقبلةُ كل مصلي لله الكعبة بيت الله الحرام. قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ﴾ أي: من دون أهلها ﴿حِجَابٗا﴾ ساترًا لها عن أعينهم، ولما فعلت ذلك أرسل الله تعالى إليها جبريلَ في صورة بشر سَوِيِّ الخِلقة مُعتَدِلها، فدخل عليها، فقالت ما قص الله تعالى في كتابه: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ أي: أحتمي بالرحمن الذي يرحم الضعيفات مثلي إن كنت مؤمنًا تقيًا فاذهب عني ولا تروعني أو تمسني بسوء. فقال لها جبريل عليه السلام ما أخبر تعالى به وهو ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾ أي: طاهرًا لا يتلوث بذنب قط[٢].

---

(١) «مادة العقيدة» للدكتور أبوزيد مكي (ص: ٨٥).

(٢) «أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير» لأبي بكر جابر الجزائري (٣/ ١٠).

٣ - لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة[(١)]:

قال جل وعلا: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف:١٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾، أي: حيث قالوا الملائكة بنات الله وعبدوهم لذلك طلبًا لشفاعتهم والانتفاع بعبادتهم. قال تعالى موبخًا لهم مقيمًا الحجة على كذبهم: أَشَهِدوا خلقَهم، أي: أَحَضَروا خلقَهُم عندما كان الله يخلقهم، والجواب: لا، ومن أين لهم ذلك وهم ما زالوا لم يخلقوا بعد ولا آباؤهم، بل ولا آدم أصلهم عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ ﴾ هذه، وهي قولهم: إن الملائكة بنات الله، ويسألون عنها ويحاسبون ويعاقبون عليها بأشد أنواع العقاب، لأنها الكذب والافتراء، وعلى من؟ إنه على الله، والعياذ بالله[(٢)].

٤- لا يأكلون ولا يشربون:

قال تبارك وتعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةًۖ قَالُواْ لَا تَخَفْۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾[الذاريات: ٢٤-٢٨].

قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ هذا الحديث يشتمل على موجز قصة قد ذكرت في سورة هود والحجر، والمقصود منه تقرير نبوة محمد ﷺ، فإنّ مثل هذا القصص لا تأتي لأمي لا يقرأ ولا يكتب إلا عن طريق الوحي، كما أنه يحمل في نهايته التهديد بالوعيد لمشركي قريش المصرين على الكفر

---

(١) « مادة العقيدة » للدكتور أبو زيد مكي (ص: ٨٥).

(٢) « أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير » لأبي بكر جابر الجزائري (٤/ ١٦٦).

والتكذيب والإجرام الكبير؛ إذ في نهاية القصة يسأل إبراهيم عليه السلام الملائكة قائلًا: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [الذاريات: ٣١]، فيجيبون قائلين ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٢-٣٣]. أي: لتدميرهم وإهلاكهم من أجل إجرامهم، وقريش في هذا الوقت مجرمة مستحقة للعذاب كما استحقه إخوان لوط.

فقوله تعالى في خطاب رسوله ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤]، وهم ملائكة في صورة رجال من بينهم جبريل وميكائيل وإسرافيل، إذ دخلوا عليه، أي: على إبراهيم وهو في منزله، فسلَّموا عليه فرد السلام ثم قال: أنتم قوم منكرون، أي: لا نعرفكم، بمعنى: أنكم غرباء لستم من أهل هذا البلد فلذا سارع في إكرامهم ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾، أي: عدل ومال إلى أهله فعمد: ﴿بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ من أبقاره، وكان مالُه يومئذ البقر، فشواه بعد ذبحه وسلخه وتنظيفه.

(قربه إليهم) وكأنهم أمسكوا عن تناوله فعرض عليهم الأكل عرضًا بقوله: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ فقالوا: إنا لا نأكل طعامًا إلا بحقه. فقال: إذًا كلوه بحقه، فقالوا: وما حقه؟ قال: أن تذكروا اسم الله في أوله وتحمدوا الله في آخره، أي: تقولون بسم الله في البدء والحمد لله في الختم، فالتفت جبريل إلى ميكائيل وقال له: حق للرجل أن يتخذه ربه خليلًا.

ولما لم يأكلوا ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: أي: خوفًا، أي: شعر بالخوف في نفسه منهم لعدم أكلهم، لأن العادة البشرية وهي مستمرة إلى اليوم إذا أراد المرء بأخيه سوءًا لا يسلم عليه ولا يرد عليه السلام، ولا يأكل طعامه، هذا حكمٌ غالبيّ وليس عامًا.

﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ وأعلموه أنهم مرسلون من ربه إلى قوم لوط لإهلاكهم من أجل إجرامهم وبشروه بغلام يولد له، ويكبر ويولد له فالأول إسحق والثاني يعقوب كما جاء في سورة هود ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾[هود: ٧١][1].

❀ ❀ ❀

(١) « مادة العقيدة » للدكتور أبوزيد مكي (ص: ٨٥).

المبحث الثاني:

وظائف الملائكة وأعمالهم وعددهم وعلاقتهم بالإنسان.

وظائف الملائكة وأعمالهم:

كلّف الله تعالى الملائكة بأعمال ووظائف عديدة، ليس لحاجته إليهم، ولكن لحكمته تعالى الكونية والقدرية ومنها:

١- عبادة الله دون فتور أو ملل:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]، ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ برهان آخر على بطلان دعوى أن له تعالى زوجة وولدًا، فالذي يملك من في السموات ومن في الأرض غنيٌّ عن الصاحبة والولد، إذ الكل له مِلكًا وتصرفًا[1].

وقوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ برهان آخر ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[الأنبياء:٢٠] أي: فكيف يفتقر إلى الزوجة والولد، ومن عنده من الملائكة وهم لا يحصون عدًا يعبدونه لا يستكبرون عن عبادته ولا يملون منها ولا يتعبون من القيام بها، يسبحونه الليل والنهار، والدهر كله ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾ أي: لا يسأمون فيتركون التسبيح فترة بعد فترة للاستراحة، إنهم في تسبيحهم وعدم سآمتهم منه وعدم انشغالهم عنه كالآدميين في تنفسهم وطرف

---

(١) «مادة العقيدة» للدكتور أبو زيد مكي (ص: ٨٤).

أعينهم، هل يشغل عن التنفس شاغل أو عن طرف العين آخر، وهل يسأم الإنسان من ذلك؟ والجواب لا، فكذلك الملائكة يسبحون الليل والنهار ولا يفترون[1].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ **في تفسير قوله تعالى:** ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾: « وقوله: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ ﴾: أي: ليسوا أمثالكم يكذبون ويكفرون، بل هم في عبادة دائمة لا تنقطع، والمراد هنا الملائكة؛ لأنهم ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

﴿وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴾ من حسر: يعني ضَعُفَ وكَلَّ وتَعِب وأصابه الملل والإعياء.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: فهؤلاء الملائكة يعبدون الله ويسبحونه، لا يصيبهم ضَعف، ولا يصيبهم فُتُور، ولا يشعرون بالملل من العبادة والتنزيه له سبحانه: فالملائكة لا تتكبر عن عبادته والخضوع له.

والحق سبحانه يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ﴾[الأعراف: ٢٠٦] »[2].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

٢- إنزال الوحي إلى الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٣]: لقد أنكر كفار مكة أن يكون القرآن وحيًا أوحاه الله تعالى، وبذلك أنكروا أن

---

(١) « أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير » لأبي بكر جابر الجزائري (٣/ ٩٧).

(٢) « تفسير الشعراوي » (١٥/ ٩٥٠٥-٩٥٠٦).

يكون محمد رسول الله، ومن هنا رَدّوا عليه كل ما جاءهم به من التوحيد وغيره، فإيراد هذا القصص يتلوه محمد ﷺ وهو لا يقرأ ولا يكتب دال دلالة قطعية على أنه وحي إلهي أوحاه إلى محمد ﷺ، وهو بذلك رسوله. فقوله تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن الذي كذب به المشركون ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ جبريل عليه السلام ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ أي: الرسول؛ لأن القلب هو الذي يتلقى الوحي إذ هو محط الإدراك والوعي والحفظ[1].

٣- تثبيت المؤمنين وتبشيرهم:

قال ﷻ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال: ١٢] بتأييدي ونصري ﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: قولوا لهم من الكلام تشجيعًا لهم ما يجعلهم يثبتون في المعركة ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ أي: الخوف أيها المؤمنون ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ أي: اضربوا المذابح ﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي: أطراف اليدين والرجلين حتى لا يستطيعوا ضربًا بالسيف[2]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]: لما بين تعالى حال الكافرين في الدار الآخرة وهي أسوأ حال، بَيَّنَ حال المؤمنين في الآخرة وهي أحسن حال وأطيب مآل، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ أي: لا ربّ لنا غيره ولا إله لنا سواه، ثم استقاموا فلم يشركوا به في عبادته أحدًا، فأدوا الفرائض واجتنبوا النواهي وماتوا على ذلك، هؤلاء تتنزل عليهم الملائكة، أي: تهبط عليهم، وذلك

(١) «أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير» لأبي بكر جابر الجزائري (٣/ ٣٣٣).
(٢) المرجع السابق (٢/ ١٢٤).

عند الموت بأن تقول لهم: لا تخافوا على ما أنتم مقدمون عليه من البرزخ والدار الآخرة ولا تحزنوا على ما خلفتم وراءكم، وأبشروا بالجنة دار السلام التي كنتم توعدونها في الكتاب وعلى لسان الرسول[1].

٤- تسجيل أعمال البشر:

قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠-١١]، يحفظون عليكم أعمالكم ويحصونها لكم ويكتبونها في صحائفكم[2].

٥- قبض الأرواح:

قال عز من قائل: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم﴾ أي قل يا رسولنا لهؤلاء المنكرين للبعث ولقاء الرب تعالى: يتوفاكم عند نهاية آجالكم ﴿مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ الذي وكله ربّه بقبض أرواحكم، ﴿الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ بعد ذلك، وما دمتم لا تدفعون الموت عن أنفسكم فكيف تدفعون الحياة عندما يريدها الله منكم؟ وهل دفعتموها عندما كنتم عدمًا فأوجدكم الله وأحياكم[3].

قال الشعراوي رحمه الله **في تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾: « ومعنى ﴿يَتَوَفَّاكُم﴾ من توفيت دَينًا من المدين. أي: أخذتهُ كاملًا غيرَ منقوص، والمراد هنا الموت، والتوفِّي يُنسَب مرة إلى الله ﷻ: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ...﴾ [الزمر: ٤٢].

---

(١) « أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير » لأبي بكر جابر الجزائري (٤/ ١١٨).
(٢) المرجع السابق (٤/ ٦٣٢).
(٣) المرجع السابق (٣/ ٥٢٧).

ويُنسَب لملك الموت ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾، ويُنسب إلى أعوانه من الملائكة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]. لأن مسألة الموت أمرها الأعلى بيد الخالق سبحانه، فهو وحده واهب الحياة، وهو وحده صاحب الأمر في نَقضها وسَلبها من صاحبها؛ لذلك حرَّم الله القتل، وجعل القاتل ملعونًا؛ لأنه يهدم بنيان الله، فإذا قدَّر الله على إنسان الموت أذِن لملَك الموت في ذلك، وهو عزرائيل »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رحمه الله هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

٦- حمل العرش:

قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، أي: على أطرافها وحافاتها، ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ أي: ثمانية من الملائكة، أربعة هم حملة العرش دائما وزيد عليهم أربعة فصاروا ثمانية[2].

٧- تصريف ما يأمرهم الله بتصريفه من شؤون السماوات والأرض:

من جبال ومطر ونبات؛ قال تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥]، وقوله تعالى: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات: ٤] أي: الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها بأمر ربها[3].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١٩/ ١١٨١٤-١١٨١٥).
(٢) « أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير » لأبي بكر جابر الجزائري (٤/ ٥٤٢).
(٣) المرجع السابق (٤/ ٣١٦).

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ثنايا تفسير قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[الرعد: ٢٤]: « والملائكة كما نعلم نوعان: الملائكة المَهِيمون الذين يشغلهم ذكر الله تعالى عن أيِّ شيء ولا يَدْرون بِنَا؛ ولا يعلمون قصة الخَلق؛ وليس لهم شَأْنٌ بكُلِّ ما يجري؛ فليس في بالهم إلا الله وهم الملائكة العَالُون؛ الذين جاء ذكرهم في قصة السجود لآدم حين سأل الحقُّ سبحانه الشيطانَ: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾[ص: ٧٥]. أي: أن العالين هنا هم مَن لم يشمَلْهم أَمرُ السجود، وليس لهم علاقة بالخلق، وكُلُّ مهمتهم ذكر الله فقط.

أما النوع الثاني: فهم الملائكة المُدبِّرات أمرًا... والملائكة المُدبِّرات هم مَن لهم علاقة بالإنسان الخليفة، وهم مَن قال لهم الحق سبحانه: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [البقرة: ٣٤].

وهم الذين يتولَّون أمر الإنسان تنفيذًا لأوامر الحق سبحانه لهم، ومنهم الحفظة الذين قال فيهم الحق سبحانه: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[الرعد: ١١]، أي: أن الأمر صادر من الله سبحانه، وهم بَعد أن يفرغوا من مهمتهم كحفظة من رقيب وعتيد على كل إنسان، ولن يوجد ما يكتبونه من بعد الحساب وتقرير الجزاء؛ وهنا سيدخل هؤلاء الملائكة على أهل الجنة ليحملوا ألطاف الله والهدايا؛ فهم مَنُوط بهم الإنسان الخليفة »[١].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١٢/ ٧٢٩٨-٧٢٩٩).

علاقة الملائكة بالإنسان:

علاقة الملائكة بذرية آدم علاقة وثيقة، فهم يقومون عليه عند خلقه، ويُكَلَّفون بحفظه بعد خروجه إلى الحياة، ويأتونه بالوحي من الله، ويراقبون أعماله وتصرفاته، وينزعون روحه إذا جاء أجله[1].

أولًا: دورهم في تكوين الإنسان:

روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « **إذا مرّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكًا، فصورها، وخلق سمعها وبصرها، وجلدها ولحمها وعظامها، ثمّ قال: أي ربّ: أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك** »[2]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال: « **إن أحدكم يُجمَع خلقُه في بطن أمه أربعين يومًا، ثمّ يكون علقة مثل ذلك، ثمّ يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكًا يؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله ورزقه، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح**[3] »[4].

وفي الصحيحين أيضًا، عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **وكّل الله بالرحم ملكًا، فيقول: أي ربّ نطفة، أي ربّ عَلَقَة، أي ربّ مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خَلقَها قال: أي ربّ ذكر أم أنثى؟ أشقيّ أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟**

---

(١) « عالم الملائكة الأبرار » لعمر سليمان الأشقر (ص: ٣٨).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٣٧) ح (٢٦٤٥).

(٣) صحيح البخاري (٦/ ٣٠٣) ح (٣٢٠٨)، وصحيح مسلم (٤/ ٢٠٣٦) ح (٢٦٤٣).

(٤) « عالم الملائكة الأبرار » لعمر سليمان الأشقر (ص: ٣٩).

فيكتب كذلك في بطن أمه[1] »[2].

ثانيًا : حراستهم لابن آدم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد:١٠-١١].

وقد بين ترجمان القرآن ابن عباس أن المعقبات من الله هم الملائكة جعلهم الله ليحفظوا الإنسان من أمامه ومن ورائه، فإذا جاء قدر الله - الذي قدّر أن يصل إليه - خلوا عنه[2].

وقال مجاهد: « ما من عبد إلا له ملك موكل بحفظه في نومه ويقظته من الجنّ والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه إلا قال له الملك: وراءك، إلا شيء أَذِنَ الله فيه فيصيبه »[2].

وقال رجل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: « إن نفرًا من مراد يريدون قتلك، فقال (أي علي): إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدّر، فإذا جاء القدر خَلَّيا بينه وبينه، إن الأجل جنّة حصينة[3] »[2].

والمعقبات المذكورة في آية الرعد هي المرادة بالآية الأخرى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام:٦١]، فالحفظة الذين يرسلهم الله يحفظون العبد حتى يأتي أجله المقدر له[2].

---

(١) صحيح البخاري (١١/ ٤٧٧) ح (٦٥٩٥)، وصحيح مسلم (٤/ ٢٠٣٨) ح (٢٦٤٦) واللفظ للبخاري.

(٢) « عالم الملائكة الأبرار » لعمر سليمان الأشقر (ص: ٣٩).

(٣) « البداية والنهاية » لابن كثير (١/ ٥٤).

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ **في تفسير قوله تعالى:** ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]: « ويقول الحق سبحانه: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾؛ والسطحيّ يقول: إن تلك الملائكة يحفظون الإنسان من الأمر المراد به من الله.

ونقول: إن الله لم يُنزِل الملائكة ليعارضوا قَدَره؛ وهذا الحفظ لا يكون من ذات الإنسان لنفسه، أو من الملائكة ضد قَدَر الله؛ والمعنى هنا ينصرف إلى أن الملائكة إنما يحفظون الإنسان بأمر الله، ولذلك نجد في القرآن قول الحق سبحانه: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا﴾ [نوح: ٢٥].

أي: بسبب خطيئتهم أغرقوا، فإياك أن تظن أنَّ الملائكة يحفظون الإنسان من قدر الله؛ لأننا نعلم أن الحق سبحانه إذا أراد أمرًا فلا رَادَّ له »[١].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « ﴿وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً﴾ وجاء معنى « الحفظة » في القرآن في قوله الحق: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: ١٨]؛ فكل لفظ له رقيب عتيد، حفظة، أي: ملائكة يحفظون ويحصون أعمالكم ويسجلونها وهم الكرام الكاتبون ».

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١٢/ ٧٢٤٠-٧٢٤١).

ثم قال: « ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾: وعندما تأتي كلمة «توفّى» تجدها في القرآن دائرة على ثلاثة ألوان: اللون الأول هو قول الحق: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

ومرة يقول الحق سبحانه: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١].

سبحانه – إذًا – ينسب الموت له ولملك الموت، ولرسله.

وهل الرسل يأخذون الأرواح ويقبضونها إلا بإذن من ملك الموت؟ إنهم جنوده، فلا أحد يميت دون إذن من الله، فأخذ الأرواح وقبضها إلى الله أمرًا، وإلى ملك الموت وسيلة وواسطة، وإلى الرسل تنفيذًا »[(١)].

– يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

ثالثًا : سفراء الله إلى رسله وأنبيائه:

وقد أعلمنا الله أن جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يختص بهذه المهمة: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [البقرة :٩٧]، وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٤].

وقد يأتي بالوحي غير جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ – وهذا قليل – كما في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: « **بينما جبريل قاعد عند النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٦/ ٣٦٨١-٣٦٨٤).

سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملَك، فقال: هذا ملَك نزل إلى الأرض لم ينزل قطّ إلا اليوم، فسلّم، وقال: أبشر بنورين أوتيتَهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته[1] »[2].

وفي التاريخ لابن عساكر عن حذيفة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال: « **أتاني مالك فسلم عليّ - نزل من السماء، لم ينزل قبلها - فبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة** »[3].

وفي مسند أحمد وسنن النسائي عن حذيفة رضي الله عنه : أن الرسول ﷺ قال: « **أما رأيت العارض الذي عرض لي قبيل؟** » **قال: قلت: بلى، قال:** « **فهو ملَك من الملائكة لم يهبط الأرض قبل هذه الليلة، فاستأذن ربه أن يسلم عليّ، ويبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة، وأن فاطمة سيّدة نساء أهل الجنة** »[4].

قال الشعراوي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ [الحج: ٧٥]: « وتنقسم الملائكة في مسألة الاصطفاء إلى ملائكة مُصطفاة، وملائكة مُصطفًى منها. وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾ [فاطر: ١] يعني: كلهم لهم رسالة مع عوالم أخرى غيرنا.

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٥٥٤) ح(٨٠٦).

(٢) « عالم الملائكة الأبرار » لعمر سليمان الأشقر (ص: ٤٠).

(٣) « صحيح الجامع » (١/ ٨٠) .

(٤) انظر: مسند أحمد (٥/ ٣٩١) واللفظ له، وصحيح سنن النسائي (٣/ ٢٢٦) (٢٩٧٥).

أما في الآية التي معنا، فالكلام عن الملائكة الذين لهم صلة بالإنسان أمثال جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، والحفظة الكاتبين والمكلفين بحفظ الإنسان، فالله تعالى يصطفي هؤلاء... »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

الملائكة وبقية المخلوقات:

في الفصل الماضي بيّنتُ العلاقة بين الملائكة وبني آدم، وليس هذا كل ما وُكل إلى الملائكة؛ فإن الملائكة يقومون على مختلف شؤون الكون مما نشاهده، وما لا نشاهده[2]، وسأكتفي بذكر بعض ما جاء في ذلك:

١- حملة العرش:

العرش أعظم المخلوقات، محيط بالسماوات وفوقها، والرحمن مستو عليه، ويحمله من الملائكة ثمانية: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة:١٧].

٢- ملك الجبال:

وللجبال ملائكة، وقد أرسل الله ملك الجبال إلى عبده ورسوله محمد ﷺ يستأمره في إهلاك أهل مكة؛ ففي صحيح البخاري ومسلم عن عائشة أنها قالت للنبي ﷺ: « **يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشدّ من يوم أحد؟ فقال: لقد**

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١٦/ ٩٩٤٠).

(٢) « عالم الملائكة الأبرار » لعمر سليمان الأشقر (ص: ٤٠).

لقيت من قومك، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة[1]، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم استفق إلا بقرن الثعالب[2]، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أَظلَّتْنِي، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني، فقال: إن الله ﷻ قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. قال: فناداني ملك الجبال، وسلّم علي، ثمّ قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربّك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟[3]، فقال النبي ﷺ: « **بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا** »[4].

٣- الملائكة الموكلون بالقَطْر والنبات والأرزاق:

يقول ابن كثير رحمه الله: « ميكائيل عليه السلام موكل بالقطر والنبات اللذين يخلق منهما الأرزاق في هذه الدار، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، يصرفون الرياح والسحاب، كما يشاء الرب جل جلاله »[5].

ومن الملائكة من هو موكل بالسحاب، ففي سنن الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن الرسول ﷺ قال: « **الرعد ملك من الملائكة موكل بالسحاب، معه**

---

(١) هي التي تنسب إليها جمرة العقبة، وهي بمنى.

(٢) هو قرن المنازل، وهو ميقات أهل نجد وهو على مرحلتين من مكة، وأصل القرن كل جبل صغير ينقطع من جبل كبير.

(٣) هما جبلا مكة؛ أبو قبيس والجبل الذي يقابله.

(٤) صحيح مسلم (٣/ ١٤٢٠) (١٧٩٥) واللفظ له، والبخاري (٦/ ٣١٢) (٣٢٣١).

(٥) « البداية والنهاية » لابن كثير (١/ ٤٦).

مخاريق من نار، يسوق بها السحاب حيث شاء الله »[١]، وقد يسقي بلادًا دون بلاد، أو قرية دون أخرى.

وقد يؤمر بأن يسقي زرع رجل واحد دون سواه، كما في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **بينا رجل بفلاة من الأرض، فسمع صوتًا في سحابة: اسْقِ حديقةَ فلان؛ فتنحى ذلك السحاب، فأفرغ ماءَه في حرّة، فإذا شرجة من تلك الشراج**[٢] **قد استوعبت ذلك الماء كله. فتتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته، يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله، ما اسمك؟ قال: فلان، للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبد الله، لِمَ تسألني عن اسمي؟ قال: إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان، لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أمّا إذ قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخرج منها، فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثًا، وأرد فيها ثلثه »**[٣].

وعلى كلٍ فالملائكة موكلون بالسماوات والأرض، فكل حركة في العالم فهي ناشئة عن الملائكة، كما قال تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾[النازعات:٥]، وقال: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾[الذاريات:٤]، ويزعم المكذبون للرسل المنكرون للخالق أن النجوم هي التي تقوم بذلك كله، وكذبوا، فالذي يدبر ذلك كله الملائكة بأمر الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾[المرسلات:١-٥].

---

(١) « صحيح وضعيف سنن الترمذي » لمحمد ناصر الدين الألباني (٣/ ٦٤) برقم (٢٤٩٢).
(٢) الشرجة: مسيل الماء.
(٣) صحيح مسلم (٤/ ٢٢٨٨) (٢٩٨٤).

والمرسلات عرفًا: المرسلات: الرياح الطيبة، والعرف: المتتابعة.

فالعاصفات عصفًا: فالرياح الشديدة الهبوب المضرة لشدتها.

والناشرات نشرًا: الرياح تنشر المطر وتفرقه في السماء نشرًا.

فالملقيات ذكرًا: أي: فالملائكة تلقى بالوحي على الأنبياء للتذكير به[1].

وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾ [النازعات: ١-٥].

والنازعات غرقًا: أي: الملائكة تنزع أرواح الفجار والكفار عند الموت بشدة.

والناشطات نشطًا: أي: الملائكة تنشط أرواح المؤمنين الصالحين نشطًا، أي: تسلُّها برِفْقٍ.

والسابحات سبحًا: أي: الملائكة تسبح من السماء بأمر الله، أي: تنزل به إلى الأرض.

فالسابقات سبقًا: أي: الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة[2].

---

(١) «أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير»؛ لأبي بكر جابر الجزائري (٥/ ٤٩١).

(٢) «تفسير الجلالين» لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي (١/ ٧٨٩).

المبحث الثالث:

أسماء الملائكة، وثمرات الإيمان بهم.

أسماء الملائكة:

للملائكة أسماء، ونحن لا نعرف من أسماء الملائكة إلا القليل، وإليك الآيات التي ورد فيها أسماء بعض الملائكة:

١ و ٢- جبريل وميكائيل عليهما السلام:

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٩٧-٩٨]، وجبريل عليه السلام هو الروح الأمين المذكور في قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٣ -١٩٤]، وهو الروح المعني في قوله: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ [القدر: ٤]، وهو الروح الذي أرسله إلى مريم: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ [مريم: ١٧][(١)].

قال الشعراوي رحمه الله **في تفسير قوله تعالى:** ﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم: ١٧]: « وقوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾.. كما سمَّى الله السِّرَّ الذي ينفخه في المادة فتدبّ فيها الحركة والحياة « روحًا »، كذلك سمَّى القيم التي تحيا بها النفوس حياة سعيدة « روحًا »، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى:٥٢] أي: القرآن الكريم.

---

(١) « عالم الملائكة الأبرار » لعمر سليمان الأشقر (ص: ١٦).

كما سَمَّى الملَك الذي ينزل بالروح رُوحًا: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴾ [الشعراء:١٩٣] وهو جبريل عليه السلام.

إذًا: فقوله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾ أي: جبريل عليه السلام ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾ معنى تمثَّل: أي: ليست هذه حقيقته، إنه تمثَّل بها، أما حقيقته فنورانية ذات صفات أخرى، وذات أجنحة مَثنى وثُلاَث ورُبَاع... »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رحمه الله هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

٣- إسرافيل عليه السلام:

ومن الملائكة إسرافيل الذي ينفخ في الصور[2]؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **إنَّ اللهَ تعالى لما فرغ من خلقِ السمواتِ والأرضِ خلق الصُّورَ وأعطاهُ إسرافيلَ فهو واضعُه على فيهِ شاخصٌ ببصرِه إلى العرشِ ينتظرُ متى يؤمَرُ** »[3].

وجبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام هم الذين كان يذكرهم الرسول صلى الله عليه وسلم، في دعائه عندما يستفتح صلاته من الليل: « **اللّٰهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحقّ بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**[4] »[2].

(١) « تفسير الشعراوي » (١٥/ ٩٠٥٢-٩٠٥٤).
(٢) « عالم الملائكة الأبرار » لعمر سليمان الأشقر (ص: ١٦).
(٣) « التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة » للقرطبي (ص: ١٤٩).
(٤) صحيح مسلم (١/ ٥٣٤) ح(٧٧٠).

٤- مالك عليه السلام:

ومنهم مالك خازن النار: ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ [الزخرف:٧٧].

ونادى هؤلاء المجرمون بعد أن أدخلهم الله جهنم « مالكًا » خازن جهنم: يا مالك لِيُمِتْنا ربُّك، فنستريح ممَّا نحن فيه، فأجابهم مالكٌ: إنكم ماكثون، لا خروج لكم منها، ولا محيد لكم عنها[1].

٥- رضوان عليه السلام:

قال ابن كثير: « وخازن الجنّة ملَك يُقال له رضوان، جاء مصرَّحًا به في بعض الأحاديث »[2].

ومن الملائكة الذين سماهم الرسول ﷺ منكر ونكير، وقد استفاض في الأحاديث ذكرهما في سؤال القبر[2].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إذا قبر أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: منكر والآخر نكير فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد؟ فهو قائل ما كان يقول، إن كان مؤمنًا قال: هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، قال: فيقولان: إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك، ثم يُفْسَح له قبره سبعون ذراعًا في سبعين ذراعًا،**

(١) « التفسير الميسر » لنخبة من أساتذة التفسير (ص: ٤٩٥) و« عالم الملائكة الأبرار » لعمر سليمان الأشقر (ص: ١٦).

(٢) « البداية والنهاية » لابن كثير (١/ ١١٣)، و« عالم الملائكة الأبرار » لعمر سليمان الأشقر (ص: ١٦).

ويُنَوّر له فيه فيقال له: نَمْ، فيقول: دعوني أرجع إلى أهلي أخبرهم، فيقال له: نم، فينام كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقًا قال: لا أدري كنت أسمع الناس يقولون كذلك فكنت أقول ما يقولون، فيلتام عليه حتى يختلفَ مضجعه فيها »(١).

٨ و ٩: هاروت وماروت:

ومنهم ملكان سماهما الله باسم (هاروت وماروت) قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢].

ويبدو من سياق الآية أن الله بعثهما فتنة للناس في فترة من الفترات، وقد نُسجت حولهما في كتب التفسير وكتب التاريخ أساطير كثيرة، لم يثبت شيء منها في الكتاب والسنة، فيكتفى في معرفة أمرهما بما دلت عليه الآية الكريمة(٢).

١٠- عزرائيل عليه السلام**:**

وقد جاء في بعض الآثار تسمية ملك الموت باسم عزرائيل، ولا وجود لهذا الاسم في القرآن، ولا في الأحاديث الصحيحة(٣).

---

(١) قال الألباني في تخريج كتاب السنة: إسناده حسن (٨٦٤).

(٢) المرجع السابق.

(٣) « البداية والنهاية » لابن كثير (١/ ٥٠)، و« عالم الملائكة الأبرار » لعمر سليمان الأشقر (ص: ١٦).

١١و ١٢- رقيب وعتيد:

يذكر بعض العلماء أن من الملائكة من اسمه رقيب وعتيد، استدلالًا بقوله تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق:١٧-١٨]، وما ذكروه غير صحيح، فالرقيب والعتيد هنا وصفان للملكين اللذين يسجلان أعمال العباد، ومعنى رقيب وعتيد؛ أي: ملكان حاضران شاهدان، لا يغيبان عن العبد، وليس المراد أنهما اسمان للملكين[١].

من ثمرات الإيمان بالملائكة:

١- الاستقامة على أمر الله ليقينه بكتابة الملائكة عليه أعماله[٢]:

قال تعالى: ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ [الانفطار:١١]: يحفظون عليكم أعمالكم ويحصونها لكم ويكتبونها في صحائفكم[٣]، وقوله ﷻ: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨] أي: ما يقول الإنسان إلا لديه رقيب عتيد، أي: إلا عنده ملك رقيب حافظ، وعتيد حاضر، لا يفارقانه مدى الحياة، إلا أنهما يتناوبان ملكان بالنهار وملكان بالليل، ويجتمعون في صلاتي الصبح والعصر[٤].

---

(١) «عالم الملائكة الأبرار» لعمر سليمان الأشقر (ص: ١٦).

(٢) «مادة العقيدة» للدكتور أبوزيد مكي (ص: ٨٨).

(٣) «أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير» لأبي بكر جابر الجزائري (٤/ ٦٣٣).

(٤) «أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير» لأبي بكر جابر الجزائري (٤/ ٣٠٧).

٢- الشعور بالأنس والطمأنينة، ليقينه بأن الملائكة معه تدعو له وتثبته وتشجعه[١]:

قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١]: قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾؛ جائز أن يعود الضمير في « له » على من هو مستخف بالليل وسارب بالنهار، فيكون المراد من المعقبات الحرس والجلاوزة الذين يحرسون السلطان من أمر الله تعالى في نظرهم، ولكن إذا أراده الله بسوء فلا مرد له وما له من دون الله من وال يتولى حمايته والدفاع عنه، وجائز أن يعود على الله تعالى ويكون المراد بالمعقبات الملائكة الحفظة والكتبة للحسنات والسيئات، ويكون معنى: من أمر الله، أي: بأمره تعالى وإذنه[٢].

٣- محبة الملائكة، ليقينه بأنهم يستغفرون له ويدعون له[١]:

قال تعالى: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]، يخبر تعالى عن عظمته وموجبات الإيمان به وبآياته وتوحيده ولقائه فيقول الذين يحملون العرش، أي: عرشه، من الملائكة، كالملائكة الذين يحفون بعرشه الجميع ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾: تسبيحًا مقرونًا بالحمد بأن يقولوا سبحان الله وبحمده، ويؤمنون به أي: يؤمنون بوحدانيته وعدم الإشراك في عبادته ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لرابطة الإيمان التي

---

(١) « مادة العقيدة » للدكتور أبوزيد مكي (ص: ٨٨).
(٢) « أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير » لأبي بكر جابر الجزائري (٢/ ٤٤٣).

تربطهم بهم ولعل هذا السرّ في ذكر إيمانهم لأن المؤمنين إخوة واستغفارهم هو طلب المغفرة من الله للمؤمنين من عباده[1].

٤- **العلم بعظمة الله تعالى، وقوته، وسلطانه،** فإنّ عظمة المخلوق من عظمة الخالق جل وعلا[2].

٥- **شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم** حيث وكل هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك من مصالحهم[2].

٦- **محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى**[2].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]: « وتَأَسَّ أيها المؤمن بالملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون، فإذا كان الملائكة والذين لم يرتكبوا أية معصية وليس لهم موجبات المعصية، ولا يأكلون ولا يتناسلون، وليس لهم شهوة بطن ولا شهوة فرج، وكل المعاصي جميعها تأتي من هذه الناحية، مع ذلك يجب عليك أن تتأسى بهم؛ لأنهم هم الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لا يستكبرون عن عبادته، ويسبحونه؛ وله يسجدون »[3].

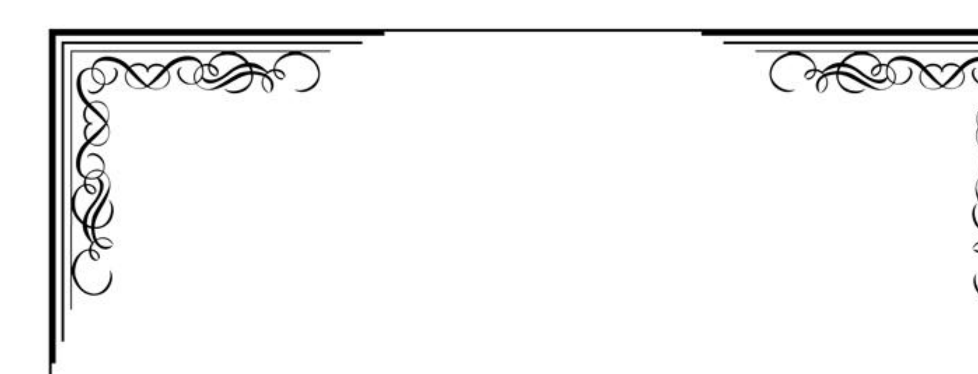
- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

---

(١) « أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير » لأبي بكر جابر الجزائري (٤/ ٦٩).

(٢) « شرح ثلاثة الأصول » لابن عثيمين (ص: ٩٢).

(٣) « تفسير الشعراوي » (٨/ ٤٥٥٣).



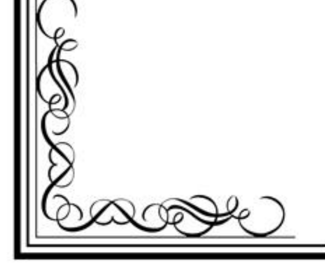
الفصل الثاني

الجــن

وفيه مبحثان

المبحث الأول : تعريف الجنّ وخلقهم وصفاتهم.

المبحث الثاني : العلاقة بين الجن والملائكة ، وبين الجن والإنس





المبحث الأول
تعريف الجِنّ وخلقهم وصفاتهم

تعريف الجِنّ:

التعريف لغة:

ج ن ن: جن عليه الليل وجَنّهُ الليل يجنه بالضم جُنُونًا وأَجَنَّهُ مثله، والجِنُّ ضد الإنس الواحد جِنِّيٌّ، قيل: سميت بذلك لأنها تُتقى ولا تُرى، وجُنَّ الرجل جُنونًا وأَجَنَّهُ الله فهو مَجنونٌ ولا تقل مُجن، وقولهم للمجنون ما أَجَنَّهُ شاذ لأنه لا يقال في المضروب ما أضربه ولا في المسلول ما أسله فلا يقاس عليه[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[الأنعام: ١٠٠].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «مادة الجن هي «الجيم» و«النون» وكلها تدل على الستر والتغطية والتغليف، ومنها الجنون، لأن العقل في هذه الحالة يكون مستورًا، ونحن لا نرى الجن، فهم مستورون، والملائكة كذلك، والمادة كلها مادة «الجيم» و«النون» تدل على اللف والتغطية.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ و«الجن» هو الخفي من كل شيء، والجن - كما تعلمون - هم خلق من خلق الله، فسبحانه خلق الإنس وخلق الجن، خلق الجن مستورًا حتى لا نعتقد أن خلق الله لحي كائن، يجب أن يتمثل في هذا القالب

---

(١) «مختار الصحاح» (ص: ١١٩).

المادي، بل سبحانه يخلق ما شاء وكما شاء، فيخلق أشياء مستورة لا تُرى، ولها حياة، ولها تناسل، ويخلق أشياء مستورة، ولا تناسل لها: كل ذلك بطلاقة قدرة الحق سبحانه، ليقرب لنا هذه القضية؛ لأن عقولنا قد تقف في بعض الأشياء التي لا تُدرَك ولا تُرى؛ لأننا لا نعلم وجودًا لشيء إلا إذا أحسسناه »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

اصطلاحًا:

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: « إنَّ الجِنَّ حق وهم خلق من خلق الله عَزَّ وَجَلَّ؛ فيهم الكافر والمؤمن؛ يروننا ولا نراهم؛ يأكلون وينسلون ويموتون قال الله تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ ﴾ [الأنعام: ١٣٠] »[2].

الجن عالم مستقل:

الجن عالم غير عالم الإنسان وعالم الملائكة، بينهم وبين الإنسان قدر مشترك من حيث الاتصاف بصفة العقل والإدراك، ومن حيث القدرة على اختيار طريق الخير والشر، ويخالفون الإنسان في أمور، أهمها: أن أصل الجان مخالف لأصل الإنسان[3].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٦/ ٣٨٢٩).
(٢) « المحلى بالآثار » لابن حزم (١/ ٣٣).
(٣) « عالم الجن واشياطين » للدكتور عمر سليمان الأشقر (ص: ١١).

لماذا سمّوا جنًّا:

وسمو جنًّا لاجتنانهم، أي: استتارهم عن العيون، قال ابن عقيل: « إنما سمّي الجن جنًّا لاجتنانهم واستتارهم عن العيون، ومنه سمي الجنين جنينًا، وسمّي المجنّ مجنًا لستره للمقاتل في الحرب »[1].

وجاء في محكم التنزيل: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف: ٢٧].

خلقهم:

أصلهم الذي منه خلقوا: أخبرنا الله جلّ وعلا أن الجنّ قد خُلقوا من النار في قوله: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الحجر: ٢٧]، وفي سورة الرحمن: ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [الرحمن: ١٥]، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما، وعكرمة، ومجاهد، والحسن، وغير واحد من السلف في قوله تعالى: ﴿ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾: طرف اللهب، وفي رواية: من خالصه وأحسنه.

وقال النووي في شرحه على مسلم: « المارج: اللهب المختلط بسواد النار ».

وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول ﷺ: « **خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم** »[2].

قوله ﷺ: « **وخلق الجان من مارج من نار** » الجان: الجن، والمارج: اللهب المختلط بسواد النار[3].

---

(١) « آكام المرجان في أحكام الجان » لمحمد بن عبد الله الشبلي (ص: ٧).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢٢٩٤) برقم (٢٩٩٦).

(٣) « المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج » لأبي زكريا النووي (١٨/ ١٢٣).

ابتداء خلقهم :

لا شك أن خلق الجن متقدم على خلق الإنسان؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾، فقد نصّ في الآية أن الجان مخلوق قبل الإنسان. ويرى بعض السابقين أنهم خلقوا قبل الإنسان بألفي عام، وهذا لا دليل عليه من كتاب ولا سُنّة[1].

صفاتهم:

نحن لا نعرف من خلقتهم وصورهم وحواسهم إلا ما عرَّفنا الله بها، فنعلم أن لهم قلوبًا؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فقد صرح تبارك وتعالى بأن للجن قلوبًا، وأعينًا وآذانًا، وللشيطان صوتًا، لقوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾ [الإسراء: ٦٤]. وثبت في الأحاديث أن للشيطان لسانًا، وأن الجان يأكلون، ويشربون، ويضحكون، وغير ذلك[1].

والدليل على أنّ للشيطان لسان؛ قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[إبراهيم: ٢٢].

---

(١) « عالم الجن والشياطين » الدكتور عمر سليمان الأشقر (ص: ١/ ١).

والدليل على أنّ الجان يأكلون: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه كان يحمل مع النبي ﷺ إداوة لوضوئه وحاجته، فبينما هو يتبعه بها، فقال: « من هذا؟ » فقال: أنا أبو هريرة، فقال: « **ابغني أحجارًا أستنفض بها، ولا تأتني بعظم ولا بروثة** ». **فأتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبي، حتى وضعتها إلى جنبه، ثم انصرفت حتى إذا فرغ مشيت، فقلت: ما بال العظم والروثة؟ قال:** « **هما من طعام الجن، وإنه أتاني وفد جن نصيبين، ونعم الجن، فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم، ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعامًا** »[1].

أسماء الجن في لغة العرب وأصنافهم:

قال ابن عبد البر رحمه الله: « الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان على مراتب:

١- فإذا ذكروا الجن خالصًا قالوا: جنّي.

٢- فإذا أرادوا أنه مما يسكن مع الناس، قالوا: عامر، والجمع: عمّار.

٣- فإن كان مما يعرض للصبيان قالوا: أرواح.

٤- فإن خبث وتعرض، قالوا: شيطان.

٥- فإن زاد على ذلك، فهو مارد.

٦- فإن زاد على ذلك وقوي أمره، قالوا: عفريت، والجمع: عفاريت »[2].

وأخبرنا الرسول ﷺ أنّ: « **الجن ثلاثة أصناف: فصنف يطير في الهواء، وصنف حيّات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون** »[3].

---

(١) صحيح البخاري (٥/ ٤٦) برقم (٣٨٦٠).

(٢) « التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد » لابن عبد البر (١١/ ١١٧).

(٣) المستدرك للحاكم (٢/ ٤٩٥)، وصححه الألباني في « مشكاة المصابيح » (٢/ ١٢٠٦).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ ...﴾ [البقرة: ١٠٢].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشياطين هم العصاة من الجن، والجن فيهم العاصون والطائعون والمؤمنون؛ واقرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن:١١]، وقوله سبحانه عن الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٤].

إذًا الجن فيهم المؤمن والكافر، والمؤمنون من الجن فيهم الطائع والعاصي، والشياطين هم مردةُ الجنِ المتمردون على منهج الله، وكل متمرد على منهج الله نسميه شيطانًا؛ سواء كان من الجن أو من الإنس.

ولذلك يقول الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]»[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قيل: إنّ الشيطان قد يتمثل على هيئة حشد من الناس ليُرهب المؤمنين، والشيطان من عالم الجن، وعالم الجن يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم، وقد أعطاه الله القدرة على أن يتشكل بما يُحب. فله أن يتشكل في إنسان، في حيوان، أو كما يريد، ولكن إذا تشكل فالصورة تحكمه لأنه ارتضى أن يخرج عن واقعه ليتشكل بهيئة أخرى، فإذا ما تشكل على هيئة إنسان، فقانون

---

(١) «تفسير الشعراوي» (١/ ٤٨٨-٤٨٩).

الإنسان يسري عليه، بحيث إن كان معك مسدس أو سيف أو خنجر وتمكنت منه وطعنته يموت. وهذا هو ما رحمنا من تخويفهم لنا.

ولذلك تجد أن الشيطان يظهر لمحة خاطفة ثم يختفي، لأنه يخاف أن يكون الإنسان الذي أمامه واعيًا بأن الصورة تحكمه، فعندما يتمثل لك بأي شكل تخنقه فيُخنق؛ لذلك يخاف من الإنسان، فلا يظهر إلا في لمحات خاطفة »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) « تفسير الشعراوي » (٣/ ١٨٧٤-١٨٧٥).

المبحث الثاني

العلاقة بين الجن والملائكة، وبين الجن والإنس

العلاقة بين الجن والملائكة:

أولًا: نبتدأ هذا المطلب بسؤال سؤل عنه الشيخ العلامة/ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هل الجن من الملائكة؟[1]

فأجاب بقوله: الجن ليسوا من الملائكة؛ لأن الملائكة خلقوا من نور والجن خلقوا من نار، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الحجر: ٢٧].

وثبت عن النبي ﷺ، أن الملائكة خلقوا من نور؛ كما ولأن الملائكة وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧].

والجن فيهم المؤمن والكافر والمطيع والعاصي قال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ﴾.

وقال عن الجن: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۝١٤ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن: ١٤-١٥].

وقال عنهم أيضًا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾ [الجن: ١١].

ولأن الملائكة - كما قال أهل العلم - صمد لا يأكلون ولا يشربون، والجن يأكلون ويشربون، فقد ثبت عن النبي ﷺ، أنه قال للجن الذين وفدوا إليه: « **لكم**

---

(١) « مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين » لابن عثيمين (١/ ٢٨٥).

كُلُّ عَظمٍ ذُكِرَ اسمُ اللهِ عَلَيهِ يَقَعُ فِي أَيدِيكُم أَوفَرَ مَا يَكُونُ لَحمًا وَكُلُّ بَعرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُم »[1] فتبين بهذه الأدلة أن الملائكة ليسوا من الجن.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴾ [الكهف: ٥٠].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وقلنا: إن العلماء اختلفوا كثيرًا على ماهية إبليس: أهو من الجن أم من الملائكة، وقد قطعت هذه الآية هذا الخلاف وحَسَمَته، فقال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ وطالما جاء القرآن بالنص الصريح الذي يُوضِّح جنسيته، فليس لأحد أن يقول: إنه من الملائكة.

وما دام كان من الجن، وهم جنس مختار في أن يفعل أو لا يفعل، فقد اختار ألاَّ يفعل: ﴿فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: رجع إلى أصله، وخرج عن الأمر »[2].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

وهذا النص ليس بصريح ولكنه ظاهر، ومن قال من العلماء بأنه من الملائكة استدل بأن الملائكة تسمى جنًا، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴾ [الصافات: ١٥٨].

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٣٣٢).

(٢) « تفسير الشعراوي » (١٤/ ٨٩٣٥).

ثانيًا: يوجد علاقة بين الجن والملائكة حيث قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[الجن :٨-٩]؛ فالحرس الشديد هم الملائكة تمنع الجن من استراق السمع.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآيتين: يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسولَه محمدًا ﷺ وأنزل عليه القرآن، وكان من حفظه له أن السماء مُلئَت حرسًا شديدًا، وحُفِظت من سائر أرجائها، وطُرِدت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك؛ لئلا يسترقوا شيئًا من القرآن، فيلقوه على ألسنة الكهنة، فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدرى من الصادق. وهذا من لطف الله بخلقه ورحمته بعباده، وحفظه لكتابه العزيز، ولهذا قال الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ أي: من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابًا مرصدًا له، لا يتخطاه ولا يتعداه، بل يمحقه ويهلكه، ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾، أي: ما ندري هذا الأمر الذي قد حدث في السماء، لا ندري أشر أريد بمن في الأرض، أم أراد بهم ربهم رشدًا؟ وهذا من أدبهم في العبارة حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل، والخير أضافوه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

وقد ورد في الصحيح: « **والشر ليس إليك** »(١)، وقد كانت الكواكب يُرمَى بها قبل ذلك، ولكن ليس بكثير بل في الأحيان بعد الأحيان، كما في حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ رمي بنجم فاستنار، فقال: **« ما كنتم تقولون في هذا؟ » فقلنا: كنا نقول: يولد عظيم، يموت عظيم، فقال:**

(١) صحيح مسلم (١/ ٣٣٢).

« **ليس كذلك، ولكن الله إذا قضى الأمر في السماء** »، وذكر تمام الحديث، وقد أوردناه في سورة « سبأ » بتمامه. وهذا هو السبب الذي حملهم على تطلب السبب في ذلك، فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فوجدوا رسول الله ﷺ يقرأ بأصحابه في الصلاة، فعرفوا أن هذا هو الذي حفظت من أجله السماء، فآمن من آمن منهم، وتمرد في طغيانه من بقي، كما تقدم حديث ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك، عند قوله في سورة « الأحقاف »: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

ولا شك أنه لما حدث هذا الأمر وهو كثرة الشهب في السماء والرمي بها، هال ذلك الإنس والجن وانزعجوا له وارتاعوا لذلك، وظنوا أن ذلك لخراب العالم، كما قال السدي: لم تكن السماءُ تحرس إلا أن يكون في الأرض نبيٌّ أو دين لله ظاهر، فكانت الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت المقاعد في السماء الدنيا، يستمعون ما يحدث في السماء من أمر، فلما بعث الله محمدًا نبيًا، رُجموا ليلة من الليالي، ففزع لذلك أهل الطائف، فقالوا: هلك أهل السماء، لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب، فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويُسَيِّبون مواشيهم، فقال لهم عبد يا ليل بن عمرو بن عمير: ويحكم يا معشر أهل الطائف، أمسكوا عن أموالكم، وانظروا إلى معالم النجوم، فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء، إنما هذا من أجل ابن أبي كبشة - يعني: محمدًا ﷺ - وإن أنتم لم تروها فقد هلك أهل السماء، فنظروا فرأوها، فكفوا عن أموالهم. وفزعت الشياطين في تلك الليلة، فأتوا إبليس فحدثوه بالذي كان من أمرهم، فقال: ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها. فأتوه فَشَم فقال: صاحبكم بمكة. فبعث

سبعة نفر من جن نصيبين، فقدموا مكة فوجدوا رسول الله ﷺ قائمًا يصلي في المسجد الحرام يقرأ القرآن، فدنوا منه حرصًا على القرآن حتى كادت كلاكلهم تصيبه، ثم أسلموا. فأنزل الله تعالى أمرهم على نبيه ﷺ[1].

وأما الإمام البغوي رحمه الله فقد ذكر في تفسير الآيتين: ﴿وَأَنَّا﴾ تقول الجن ﴿لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ قال الكلبي: السماء الدنيا ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ من الملائكة ﴿وَشُهُبًا﴾ من النجوم. ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ من السماء ﴿مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ أي: كنا نستمع ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ أرصد له ليرمى به.

قال ابن قتيبة رحمه الله: «إنّ الرجم كان قبل مبعث النبي ﷺ ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة، وكانوا يسترقون السمع في بعض الأحوال، فلما بعث النبي ﷺ منعوا من ذلك أصلًا»[2].

وذكر الإمام النسفي رحمه الله في تفسيره للآيتين: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها، واللمسُ: المسُّ، فاستعير للطلب لأن الماس طالب متعرف ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ جمعًا أقوياء من الملائكة يحرسون، جمع حارس، ونُصِبَ على التَّمييز، وقيل: الحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام، ولذا وصف بشديد، ولو نظر إلى معناه لقيل شداد ﴿وَشُهُبًا﴾ جمع شهاب، أي: كواكب مضيئة.

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٨/ ٢٤٠).
(٢) «تفسير البغوي» (٨/ ٢٣٩).

﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾:

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ من السماء قبل هذا ﴿مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ لاستماع أخبار السماء، يعني: كنا نجد بعض السماء خالية من الحرس والشهب قبل المبعث ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ﴾ يرد الاستماع ﴿ٱلْءَانَ﴾ بعد المبعث ﴿يَجِدْ لَهُۥ﴾ لنفسه ﴿شِهَابًا رَّصَدًا﴾ صفة لشهابًا بمعنى الراصد، أن يجد شهابًا راصدًا له ولأجله، أو هو اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع، والجمهور على أن ذلك لم يكن قبل مبعث محمد ﷺ، وقيل: كان الرجم في الجاهلية ولكن الشياطين كانت تسترق السمع في بعض الأوقات فمنعوا من الاستراق أصلًا بعد مبعث النبي ﷺ[1].

وهنا سؤال: هل الملائكة تكتب أعمال الجن؟

ظاهر النصوص أنهم يكتبون أعمال المكلفين والنصوص على أن الجن مكلفون قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ومن العلاقة بين الجن والملائكة الخفاء والستر.

ومنها أن أباهم كان مع الملائكة في الجنة حيث قال الله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة: ٣٤].

---

(١) « تفسير النسفي » (٣/ ٥٥٠).

العلاقة بين الجن والإنس:

١- أصل التكليف؛ والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.

٢- أن رسل وأنبياء الإنس هم رسل وأنبياء الجن؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ونلاحظ أنه قال هنا: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ لأنه يريد أن يقيم عليهم الحُجة بأنه سبحانه لم يجرِّمْ أعمالهم ولم يضع لهم العقوباتِ إلا بعد أن بلَّغَهم بواسطة الرسل؛ فقد أعطاهم بلاغًا بواسطة الرسل عما يجب أن يُفعل، وما يجب أن يُترك. فلم يأخذْهُم - سبحانه - ظلمًا.

وهنا وقفة؛ فالخطاب للجن والإنس ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ فقال بعض العلماء: إن الجن لهم رسل، والإنس لهم رسل، وقال آخرون: الرسل من الإنس خاصة؛ لأن القرآن جاء فيه على لسانهم: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأحقاف: ٣٠].

إذًا؛ فقد احتج الجن بكتاب أنزل من بعد موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وعندهم خبر عن الكتاب الذي جاء بعده، كأن الجن يأخذون رسالتهم من الإنس؛ فكأن الله قد أرسل رسلًا من الإنس فقط وبلغ الجن ما قاله الرسول، وهو هنا يقول سبحانه: ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

وأنت حين تأتي إلى اثنين: أولهما معه مائه جنيه، والثاني يسير معه وليس معه شيء وتقول: « هذان معهما مائة جنيه » فهذا قول صحيح. فقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أي: من مجموعكم. أو أن الرسل تأتي للإنس، وبعد ذلك من الجن من يأخذ عن الرسول ليكون رسولًا مبلِّغًا إلى إخوانه من الجن: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾[الأحقاف: ٢٩]، فكأن المنذرين من الجن يأخذون من الرسل من الأنس وبعد ذلك يتوجهون إلى الجن »[١].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

٣- المسلمُ يؤمن بأن الكافرين من الجن يوسوسون إلى الإنسان، ويزينون له المعاصي، ويشككون المسلم في الله عَزَّوَجَلَّ، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولْيَنْتَهِ** »[٢].

٤- والمسلمُ يؤمن بأن الله سبحانه يحفَظُه من مسِّ الجن وإيذائه، بالتزام الطاعات، قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ..﴾ [الرعد: ١١]؛ أي: للإنسان ﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾ من الملائكة يتعاقبون في الليل والنهار. ﴿مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، أي: يحفظون بدنه وروحه

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٧/ ٣٩٤٧-٣٩٤٨).

(٢) متفق عليه؛ البخاري (٤/ ١٢٣)، مسلم (١/ ١٢٠).

من كل من يريده بسوء، ويحفظون عليه أعماله، وهم ملازمون له دائمًا. فكما أن علمَ الله محيطٌ به، فالله قد أرسل هؤلاء الحفظة على العباد، بحيث لا تخفى أحوالهم ولا أعمالهم، ولا يُنسى منها شيء.

أما الذين يبتعدون عن طريق الله، فمن السهل على الجن أن يؤذوهم بالصرع والجنون، فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثني أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: **يا نبي الله، إن لي أخًا وبه وجع، قال:** « **وما وجعه؟** »، **قال: به لمم. قال:** « **فأتني به، فوضعه بين يديه فعوَّذَه النبي** ﷺ **بفاتحة الكتاب، وأربعِ آيات من أول سورة البقرة، وهاتين الآيتين** ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [البقرة: ١٦٣] ، **وآيةِ الكرسي، وثلاثِ آيات من آخر سورة البقرة، وآيةٍ من آل عمران** ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران: ١٨]، **وآيةٍ من الأعراف** ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، **وآخرِ سورة المؤمنين** ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، **وآيةٍ من سورة الجن** ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ [الجن: ٣] ، **وعشرِ آيات من أول الصافات، وثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وقل هو الله أحد، والمعوذتين؛ فقام الرجل كأنه لم يَشْتَكِ قط** »[(١)].

٥- والمسلمُ يعرف أعداءه جيدًا، وأول عدو يجب أن يحترس منه هو الشيطان، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٦]، وقال: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يس: ٦٠].

---

(١) المسند للإمام أحمد (٣٥/ ١٠٦).

٦- فالمسلمُ لا يتبع الشيطان في طريق غوايته، بل يحذر دائمًا من وسوسته؛ لأنه سبب الضلال في كل وقت وفي أي مكان، فهو الذي زيَّن للأمم السابقة طرقَ الشرك بالله تعالى، ودعاهم إلى تكذيب الرسل، وقد أخذ على نفسه العهد أن يضلَّ الناس جميعًا إلا المخلصين المؤمنين، فقال: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[ص: ٨٢-٨٣]، بعد أن استوثق إبليسُ من وعد الله تعالى له بالنَّظِرة إلى يوم القيامة، كشف عما كان يستهدفه من سؤاله ربه النظرة والإمهال، فأقسم بعزة الله تعالى وجلاله على أنه سيضل جميع ذرية آدم عليه السلام ويغويهم.

٧- والشيطان يلازم الإنسان في كل حركاته وسكناته، فكلَّما همَّ بطاعة الله صرفه عنها، وكلما ابتعد عن معصية الله قَرَّبَهُ منها، فهو يكره أن يرى الإنسان في طاعة لله عز وجل، ويوسوس للإنسان في صلاته ودعائه وقراءة القرآن، بل وفي كل طاعة.

٨- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ... ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

قال الشعراوي رحمه الله: «و«الشيطان» جنس من خلق الله؛ لأن الله قال لنا: إنه خلق الإنس والجن، والجن منهم شياطين، وجن مطلق، والشيطان هو عاصي الجن. ونحن لم نر الشيطان، ولكننا علمنا به بواسطة إعلام الحق الذي آمنا به فقال: إن لي خلقًا مستترًا، ولذلك سميته الجن، من الاستتار، ومنه المجنون؛

أي: المستور عقله، والعاصي من هذا الخلق اسمه « شيطان ». إذن فإيماننا به لا عن حس، ولكن عن إيمان بغيب أخبرنا به من آمنا به.

ثم قال: ويقول الحق: ﴿ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ...﴾ الشيطان قلنا: إنه العاصي من الجن، وقلنا: إن ربنا ﷻ حكى لنا كثيرًا أن الشياطين لهم التصاق واتصال بكثير من الإنس: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾ [الجن: ٦]، و ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ...﴾ فكأن الشيطان قد مس التكوين الإنساني مسًّا أفسد استقامة ملكاته، فالتكوين الإنساني له استقامة ملكات مع بعضها البعض؛ فكل حركة لها استقامة، فإذا ما مسّه الشيطان فسد تآزر الملكات، فملكاته النفسية تكون غير مستقيمة وغير منسجمة مع بعضها البعض، فتكون حركته غير رتيبة وغير منطقية »[(١)].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رحمه الله هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

فعلى المسلم أن يتعوذ بالله من الشيطان حينما يشعر بوسوسة منه، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، والشيطانُ يسعى بين الناس بالفساد، وتقطيع الأرحام، ونشر الحقد والحسد والضغينة بينهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٢/ ١١٨٥-١١٨٧).

والمسلمُ يعلم أن إبليس يبعث جنوده من الشياطين للفساد في الأرض، ويكون أكثرهم فسادًا أقربَهم إليه منزلة. عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدُهم فيقول: فعلتُ كذا وكذا فيقول: ما صنعتَ شيئًا، قال: ثم يجيء أحدُهم فيقول: ما تركتُه حتى فرّقتُ بينه وبين امرأته، قال: فيُدْنِيه منه ويقول: نعم أنت** » قال الأعمش: أراه قال: « **فيلتزمه** »[1]. فالشيطان يفرح بخراب البيوت العامرة، وتشريد النفوس الآمنة.

٩- والمسلمُ يعلم أن الشيطان عدوٌّ للأنبياء والمرسلين: قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام:١١٢].

١٠- وأن الشيطان مع المؤمن إذا ذكر الله خَنَس وتوارى، وإذا غفل برز فوسوس له؛ وأن المؤمن أقوى بالذكر من كيد الشيطان الضعيف. عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ قال: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خَنَس. وكذا قال مجاهد، وقتادة[2].

١١- وإذا أراد أن يجامع الرجل زوجته حثَّنا رسولُ الله ﷺ على أن يقول أحدُنا: « اللَّهم جَنِّبْنا الشيطانَ وجَنِّبِ الشيطانَ ما رزَقْتَنا »[3].

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢١٦٧) (٢٨١٣).

(٢) « تفسير القرآن العظيم » لابن كثير (٨/ ٥٤٠).

(٣) صحيح البخاري (٤/ ١٢٢)، ومسلم (٢/ ١٠٥٨).

١٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣].

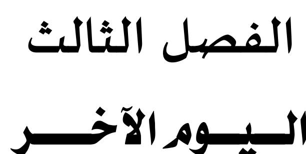
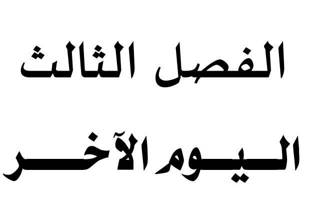
قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ومن حكمة الحق أن الجن يأخذ صورة القدرة على أشياء لا يقدر عليها الإنس، مثل السرعة، واختراق الحواجز، والتغلب على بعض الأسباب، فقد ينفذ الجن من الجدار أو من الجسم، وكما قال الرسول ﷺ: « **إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم** »[١] »[٢].

وغير هذا من الأمور التي تدل على قوة العلاقة بين الجن والإنس.

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ٥٠)، ومسلم (٤/ ١٧١٢).

(٢) « تفسير الشعراوي » (٧/ ٤٠٦٦).

الفصل الثالث

اليوم الآخر

وفيه عشرة مباحث

المبحث الأول: مفهوم الإيمان باليوم الآخر، وأهميته، وثمرات الإيمان به

المبحث الثاني: القبر: فتنته وعذابه ونعيمه

المبحث الثالث: البعث

المبحث الرابع: الحشر

المبحث الخامس: العرض والحساب

المبحث السادس: الميزان

المبحث السابع: الحوض

المبحث الثامن: الصراط

المبحث التاسع: الشفاعة

المبحث العاشر: الجنة والنار

المبحث الأول
مفهوم الإيمان باليوم الآخر، وأهميته، وثمرات الإيمان به

المراد باليوم الآخر:

المراد به: هو يوم القيامة، وسمي آخرًا لأنه يوم لا ليلَ بعده، وهو يوم عقيم لا حدَّ له ولا انتهاء، وهو آخر يوم من أيام الدنيا، وبدء الآخرة[1].

قال الحليمي: « اليوم الآخر إنما يراد به آخر أيام الدنيا، والدنيا نعت للحياة.. فاليوم الآخر هذا هو آخر أيام الحياة الدنيا، فإذا نُفخ في الصور وصَعِقَ من في الأرض، فلم يبق منهم أحد، فيومهم الذي انقضت فيه حياتهم الدنيا هو يومهم الآخر، فإذا نفخ في الصور نفخةَ الإحياء فبُعثوا، فذلك يوم القيامة، وما بينهما لا من الدنيا ولا من الآخرة، وهو البرزخ الذي ذكره الله ﷻ في كتابه فقال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] »[2].

والمراد بالإيمان باليوم الآخر: الإيمانُ بكل ما أخبرنا الله ورسوله ﷺ مما يكون بعد الموت من: فتنة القبر، وسؤال الملكين، ونعيم القبر، وعذابه، والبعث بعد الموت، والحشر، والعرض، والحساب، والميزان، والصراط، والحوض، والشفاعة، والجنة والنار، وما أعد الله لأهلهما جميعًا[3].

---

(١) « مادة العقيدة » للدكتور أبو زيد مكي (ص: ١٠٣).

(٢) « المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج » (٢/ ٢٣٨).

(٣) انظر: « العقيدة الواسطية » بشرح الفوزان (ص: ١٤٢)، و« كتاب الإيمان » لمحمد نعيم ياسين، و« مجموع فتاوى ابن تيمية » (٤/ ٢٦٢-٢٦٣)، و« أشراط الساعة » للوابل (٧٤).

والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: الإيمان بالبعث: وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غير منتعلين، عراة غير مستترين، غرلًا غير مختتنين، قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:٤]، والبعث: حق ثابت دل عليه الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٥-١٦]، وقال النبي ﷺ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يومَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرلًا**»[1].

وأجمع المسلمون على ثبوته، وهو مقتضى الحكمة، حيث تقتضي أنْ يجعَلَ الله تعالى لهذه الخليقة معادًا يجازيهم فيه على ما كلَّفَهم به على ألسنة رسله، قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥]، وقال لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥][2].

الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء: يحاسَب العبد على عمله، ويُجازى عليه، وقد دلَّ على ذلك الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦]، وقال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام:١٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

---

(١) البخاري (٨/ ١٠٩)، ومسلم (٤/ ٢١٩٤).

(٢) «شرح ثلاثة الأصول» لابن عثيمين (ص: ١٠٠).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: « **إن الله يُدني المؤمنَ فيضع عليه كَنَفَهُ ويَسْتُرُه، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى أنه قد هلك قال: قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرُها لك اليوم، فيعطى كتابَ حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين**[(١)] »[(٢)].

وصح عن النبي ﷺ: « **إنَّ اللَّه كتبَ الحسَناتِ والسَّيِّئات ثمَّ بيَّنَ ذلكَ، فمَن همَّ بحَسَنةٍ فلَم يعمَلهَا كتبَهَا اللَّهُ لهُ عندَهُ حسَنةً كاملَةً، فإن هوَ همَّ بهَا فعَمِلهَا كتَبهَا اللَّه لهُ عندهُ عشرَ حَسناتٍ إلى سبعِ مائَةِ ضعفٍ إلى أضعَافٍ كثيرةٍ، ومن همَّ بسَيِّئةٍ فلَم يعمَلهَا كَتبَها اللَّه لهُ عندَهُ حسَنةً كاملَةً، فَإن هُو همَّ بهَا فعمِلهَا كتبَها اللَّه لهُ سيِّئةً واحدةً**[(٣)] »[(٢)].

وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال، وهو مقتضى الحكمة، فإن الله تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قَبولَ ما جاءوا به، والعملَ بما يجب العملُ به منه، وأوجب قتال المعارضين له وأحلَّ دماءهم، وذرياتهم، ونساءهم، وأموالهم. فلو لم يكن حساب ولا جزاء، لكان هذا من العبث الذي يُنزَّه الرب الحكيم عنه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٦-٧][(٢)].

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٢٨).

(٢) « شرح ثلاثة الأصول »؛ لابن عثيمين (ص: ١٠٠).

(٣) البخاري (٨/ ١٠٣)، ومسلم (١/ ١١٨).

الثالث: الإيمان بالجنة والنار، وأنهما المآل الأبدي للخلق، فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين لله متبعين لرسوله، فيها من أنواع النعيم ما لا عينٌ رأَتْ، ولا أُذُنٌ سمِعت، ولا خطرَ على قلبِ بشر. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾[البينة: ٧-٨].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[السجدة: ١٧][(١)].

أهمية الإيمان باليوم الآخر:

لليوم الآخر أهمية عظيمة يظهر ذلك من خلال هذه الأمور:

١- أنه ركنٌ من أركان الإيمان لا يتم إيمان الإنسان إلا به: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[النساء: ١٣٦].

وفي حديث جبريل عليه السلام: « **الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره** »[(٢)].

(١) « شرح ثلاثة الأصول »؛ لابن عثيمين (ص: ١٠٠).

(٢) سبق تخريجه، وانظر: « المنهاج في شعب الإيمان » (١/ ٣٣٦)، و« كتاب الإيمان » لمحمد نعيم ياسين (٩١-٩٣)، و« أشراط الساعة » للوابل (٢٧-٣٩)

٢- ربط الإيمان به بالإيمان بالله تعالى: قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، وقال تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩][١].

٣- كثرة ذكره في القرآن الكريم: قلّ أن نجد صفحة في القرآن إلا وفيها ذكر لليوم الآخر، وأهوالِه، وما أعدَّ الله فيه لأوليائه، والاستدلال على البعث والنشور بإنزال الأمطار وإنبات الحشائش وغير ذلك من الأمور التي تدل على عناية القرآن باليوم الآخر لا سيما القرآن المكي، فإن غالب سوره تعالج هذه القضية[١].

٤- كثرة أسمائه، وكثرة الأسماء تدل على عظمة المسمى، ومنها:

١- القيامة. ٦- الصاخة. ١١- يوم الحساب. ١٦-يوم الخلود.

٢- الساعة. ٧- الحاقة. ١٢- يوم الفتح. ١٧-يوم الخروج.

٣- الآخرة. ٨- الغاشية. ١٣- يوم التلاق. ١٨-يوم الحسرة.

٤- الآزفة. ٩- الواقعة. ١٤- يوم الجمع. ١٩- يوم التناد.

٥- الطامة. ١٠- يوم الدين. ١٥- يوم التغابن[٢].

(١) انظر: «المنهاج في شعب الإيمان» (١/ ٣٣٦)، و«كتاب الإيمان» لمحمد نعيم ياسين (٩١-٩٣)، و«أشراط الساعة» للوابل (٢٧-٣٩).

(٢) «مادة العقيدة» للدكتور أبو زيد مكي (ص: ١٠٦)، وانظر: «المنهاج في شعب الإيمان» (١/ ٣٣٦)، و«كتاب الإيمان» لمحمد نعيم ياسين (٩١-٩٣)، و«أشراط الساعة» للوابل (٢٧-٣٩).

٥- أثره العظيم في توجيه حياة الإنسان وضبط سلوكه: قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ١-٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة: ١٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

للإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة منها:

الأولى: الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاءً لثواب ذلك اليوم(١).

الثانية: الرهبة عند فعل المعصية والرضى بها خوفًا من عقاب ذلك اليوم(١).

الثالثة: تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها(١).

---

(١) «شرح ثلاثة الأصول» لابن عثيمين (ص: ١٠٥).

المبحث الثاني

القبر: فتنته وعذابه ونعيمه

نتحدث عن القبر لأنه أول منازل اليوم الآخر في هذه النقاط:

فتنة القبر وسؤال الملكين:

١- القبر أول منزل من منازل الآخرة: كان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: « **إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه** »[1].

٢- فتنة القبر: عن أسماء رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « **ما من شيء لم أكن رأيته إلا رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار، فأوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم مثلًا أو قريبًا من فتنة المسيح الدجال...** »[2].

٣- نوع الفتنة: أسئلة تطرح على الميت وتظهر النتيجة فورًا: وهي ثلاثة أسئلة: عن الرب والدين والرسول مع الدليل، يسأل كل أحد ما عدا الرسل والأنبياء.

---

(١) « سنن الترمذي » (٤/ ٥٥٣) (٢٣٠٨)، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع برقم (١٦٨٤)، وانظر: « العقيدة الواسطية » (ص: ١٤٢)، و« الحياة البرزخية في الإسلام » لحسين جابر (ص: ٩٧-١٠٥).

(٢) البخاري (١/ ١٨٢)، ومسلم (٢/ ٦٢٤)، وانظر: « العقيدة الواسطية » (ص: ١٤٢)، و« الحياة البرزخية في الإسلام » لحسين جابر (ص: ٩٧-١٠٥).

ففي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الطويل، قوله ﷺ: « **فيأتي - أي المؤمن - ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام ، فيقولان له: من هذا الرجل الذي بُعِث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فذلك قوله تعالى:** ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾[إبراهيم:٢٧]، **فينادي منادٍ من السماء: أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة، فيفتح، قال: فيأتيه من رَوُحها وطيبها ويفسح له في الجنة مُدَّ بصره. وأما الكافر - فذكر موته - قال: ويعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: من هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي منادٍ من السماء: أن كذب عبدي فافرشوه من النار وألبسوه من النار وافتحوا له بابًا إلى النار، قال: فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى يختلف فيه أضلاعه، ثم يُقيَّضُ له أعمى أصم معه مرزبة من حديد، لو ضرب بها جبل لصار ترابًا، فيضربه ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين، فيصير ترابًا ،ثم يعاد فيه الروح**[١] »[٢].

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٣٨) (٤٧٥١) ، وهو في صحيح الجامع (١٦٧١).

(٢) انظر: « العقيدة الواسطية » (ص: ١٤٢)، و« الحياة البرزخية في الإسلام » لحسين جابر (ص: ٩٧-١٠٥).

٤ - **صفة الملكين:** أسودان أزرقان، أحدهما المنكر والآخر النكير، قال ﷺ: « **إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير..** »[(١)].

عذاب القبر حق ونعيمه حق:

عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ فقال: « **نعم؛ عذاب القبر حق** »[(٢)].

والله عز وجل يقول: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٥-٤٦]، فسرها كثير من السلف بعذاب القبر[(٣)].

قال الشعراوي رحمه الله: « أما قوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ فالعرض على النار إذًا ليس في الآخرة؛ لأنه قال بعدها: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾.

عندنا عرض، ودخول العرض على النار قبل دخولها، فهو إما في الدنيا أو في البرزخ، وما داموا لم يُعرَضُوا على النار في الدنيا لم يَبقَ إلا حياة البرزخ يُعرضون فيها على النار إلى قيام الساعة. وهذا ما نسميه عذاب القبر، ثم يأتي دخولهم النار بعد البعث والحساب.

---

(١) « سنن الترمذي » (٣/ ٣٧٢) (١٠٧١) وهو في صحيح الجامع (٧٢٤)، وانظر: « العقيدة الواسطية » (ص: ١٤٢)، و« الحياة البرزخية في الإسلام » لحسين جابر (ص: ٩٧-١٠٥).
(٢) صحيح البخاري (٣/ ٢٣٢) (١٣٧٢).
(٣) « مادة العقيدة » للدكتور أبوزيد مكي (ص: ١٠٩)، وانظر: « الحياة البرزخية في الإسلام » (١٤-٦١).

وهكذا جمع الله على المسرفين عذابًا في الدنيا وعذابًا في البرزخ، وعذابًا أشدّ وأنكى في الآخرة.

وكلمة ﴿أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ تثبت أيضًا عذاب القبر، فيه عذاب شديد لكن عذاب الآخرة أشدّ، عافانا الله وإيّاكم من العذاب »(1).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « الإنسان – كما نعلم – في استقبال الزمن له ثلاث حالات: زمن هو حياته الدنيا، وزمن هو زمن موته، وزمن هو زمن آخرته. فحين يصاب المؤمن في الزمن الأول – زمن حياته – يُعزِّيه في مصابه الزمنُ الأخير، وهو زمن آخرته.

أما حين يصاب الكافر أو المنافق في زمن حياته، فلا شيء يعزيه أبدًا؛ لأنه لا يؤمن بالله، ولا هو يطمع في شيء من خيره سبحانه، ويأتيه الزمن الثاني، وهو زمن الموت، وفيه عذاب القبر. والعذاب إنما يكون بأحد اثنين: إما عرض ما يعذب به، أو دخول فيما يعذب به، وهذا يكون في الآخرة ... »(2).

– يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٢١/ ١٣٣٩٢).

(٢) « تفسير الشعراوي » (٩/ ٥٤٥٦).

عذاب القبر: للكافر مستمر، وللعاصي، بحسب ذنوبه والله أعلم[1].

نعيم القبر حق: حديث البراء رضي الله عنه، قال في حق المؤمن: « ..**عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة ، فيفتح له ، فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له مد بصره فينادي منادٍ من السماء أن صدق** »[2].

نعيم القبر: للمؤمن مستمر، والعاصي، لم يرد فيه شيء، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) « الحياة البرزخية في الإسلام » (١٤-٦١).

(٢) سنن أبي داود (٤٧٥٣)، صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٢١٩)، « الحياة البرزخية في الإسلام » (١٤-٦١).

المبحث الثالث

البعث

البعث: تعريفه:

لغة: ب ع ث - (بعثه) و(ابتعثه) بمعنى، أي: أرسله (فانبعث)، و(بعثه) من منامه: أهَّبه وأيقظه، وبعث الموتى: نشرهم[1].

اصطلاحًا: قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البعث: وهو المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة»[2].

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥].

وقال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٨].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: أن الله تبارك وتعالى يبعثكم ليحاسبكم. لقد حاول الكفار والملحدون وأصحاب الفلسفة المادية أن ينكروا قضية البعث، وهم في هذا لم يأتوا بجديد؛ بل جاءوا بالكلام نفسه الذي قاله أصحاب الجاهلية الأولى. واقرأ قوله تعالى عما يقوله أصحاب الجاهلية الأولى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

---

(١) «مختار الصحاح» (ص: ٢٣).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٥/ ٣٩٥).

وأمنية الكافر والمسرف على نفسه ألا يكون هناك بعث أو حساب، والذين يتعجبون من ذلك نقول لهم: إن الله ﷻ الذي أوجدكم من عَدَمٍ يستطيع أن يعيدكم وقد كنتم موجودين؛ يقول ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

فإيجاد ما كان موجودًا أسهل من الإيجاد من عدم على غير مثال موجود، والله ﷻ يردّ على الكفار فيقول سبحانه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ...﴾ [يس: ٧٨- ٧٩].

وهكذا، فإن البعث أهون على الله من بداية الخلق، وكل شيء مكتوب عند الله ﷻ في كتاب مبين، وما أخذته الأرض من جسد الإنسان ترده يوم القيامة ليعود من جديد »[١].

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦]، فالبعث من مقتضيات عدل الله وحكمته، ويحكم به العقل، وتطمئن له الفطرة، قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]، أي: ادَّعى الذين كفروا بالله باطلًا أنهم لن يُخرَجوا من قبورهم بعد الموت، قل لهم - أيها الرسول -: بلى وربي لتُخرَجُنَّ من قبوركم أحياء، ثم لتُخبَرُنَّ بالذي عملتم في الدنيا، وذلك على الله يسير هيِّن[٢].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رحمه الله هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١/ ٢٢٦-٢٢٧).

(٢) « التفسير الميسر » لنخبة من أساتذة التفسير (ص: ٥٥٦).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٣٨].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « ثم يقول الحق سبحانه: ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: لا يعلمون أن الله قادر على البعث، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَـٰفِرُونَ ﴾ [السجدة: ١٠].

وقال: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ [الإسراء:٤٩].

فقد استبعد الكفار أمر البعث؛ لأنهم لا يتصورون كيف يبعث الله الخلق من لَدُن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى تقوم الساعة.. ولكن لِمَ تستبعدون ذلك؟ وقد قال تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [يس: ٨٢]. فالأمر ليس مزاولة يجمع الله سبحانه بها جزئيات البشر كل على حدة.. لا.. ليس في الأمر مزاولة أو معالجة تستغرق وقتًا؛ ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: ٢٨] »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[لقمان: ٢٨].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « ...لذلك تجد الحق - تبارك وتعالى - يؤكد دائمًا على مسألة البعث والقيامة والحساب، وترى أعداء الدين يحاولون أن يُشككوا في هذه القضية، وأن يُزحزحوا الناس عن الإيمان بها بطرق شتى.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١٣/ ٧٩٣١-٧٩٣٢).

فالفلاسفة لهم في ذلك دور، وللملاحدة دور، ولأهل الكتاب دور؛ لذلك تجد التوراة مثلًا تكاد تخلو من إشارة عن اليوم الآخر، وهذا أمرٌ غريبٌ لا يمكن تصوره في كتاب ودين سماوي ومنهج حياة »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

من أدلة البعث:

١- الوجود والعيان: لا شيء أدل على إمكان الشيء من وجوده، وقد ذكر الله في كتابه صورًا من إحياء الموتى، ومنها:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة :٥٥-٥٦].

قال تعالى: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة :٧٣].

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ﴾ [البقرة:٢٤٣].

قال تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١٩/ ١١٧٣٠).

أصحاب الكهف، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾ [الكهف:٢١].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما بعثناهم ﴿أَعْثَرْنَا﴾ أطلعنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ قومهم والمؤمنين ﴿لِيَعْلَمُوٓا۟﴾ أي قومهم ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ﴾ بطريق أن القادر على إنامتهم المدة الطويلة وإبقائهم على حالهم بلا غذاء قادر على إحياء الموتى ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهَآ﴾[١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٨].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « إذًا الآية السابقة - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ - عالجت قضية البعث بضرب المثل بالآية الكونية الموجودة؛ فالرياح التي تحمل السحاب، والسحاب يساق إلى بلد ميت وينزل منه الماء فيخرج به الزرع. والأرض كانت ميتة ويحييها الله بالمطر، وهكذا الإخراج بالبعث وهذه قضية دينية »[٢].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

---

(١) « تفسير الجلالين » لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي (ص: ٣٨٣).
(٢) « تفسير الشعراوي » (٧/ ٤١٨٦).

المبحث الرابع
الحشر

الحشر: تعريفه:

لغة: قال الراغب الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: « الحشر: إخراج الجماعة من مقرهم، وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها. ويطلق على الإزالة، يقال: حشرت السنة مال بني فلان؛ أي: أزالته عنهم، ولا يقال الحشر إلا في الجماعة »[1].

اصطلاحًا: قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان معنى الحشر: أنه « حشر الأموات من قبورهم وغيرها بعد البعث جميعًا إلى الموقف. قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٧] »[2].

١- نؤمن أنه بعد بعث الخلائق من قبورهم يكون الحشر، وهو سوقهم جميعًا إلى الموقف، وهو المكان الذي يقفون فيه انتظارًا لفصل القضاء بينهم. قال تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ [الصافات: ٢٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « ويذيل الحق الآية بالقول الكريم: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾؛ وقد جاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بكلمة ﴿تُحْشَرُونَ ﴾ لتتناسب زحمة الحج؛ لأنه كما حشركم هذا الحشر وأنتم لكم اختيار، هو سبحانه القادر أن يحشركم وليس لكم اختيار. فإذا كنت قد ذهبت باختيارك إلى هذا الحشر البشري الكبير

---

(١) « المفردات في غريب القرآن » للراغب الأصفهاني (١/ ١٥٧).

(٢) « فتح الباري شرح صحيح البخاري » لابن حجر (١٨/ ٣٦٦).

في الحج فاعرف أن الذي كلفك بأن تذهب باختيارك لتشارك في هذا الاجتماع الحاشد هو القادر على أن يأتي بك وقد سلب منك الاختيار »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم:٨٥-٨٦]، **وقال تعالى:** ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٧].

٢- حال الناس أثناء الحشر: « **يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلًا** »[2]؛ أي: غير مختونين، قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ [الفرقان: ١٧].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « قوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾: الحشر: جَمع الناس أجمعين من لَدُن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وإلى أن تقومَ الساعة في مكان واحد، ولغاية واحدة، وإذا كنا الآن نضجّ من الزحام ونشكو من ضيق الأرض بأهلها، ونحن في جيل واحد، فما بالك بموقف يجمع فيه كل الخلائق من آدم إلى قيام الساعة؟! »[3].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٢/ ٨٦٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) « تفسير الشعراوي » (١٧/ ١٠٣٨٨).

٣- حال الناس بعد الحشر: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين: ٤-٦].

« **يقُومُ أَحَدُهُم في رشحهِ إلى أنصَافِ أُذُنيهِ** »[١].

« **تُدنَى الشَّمسُ يومَ القيَامَة منَ الخلقِ، حتَّى تكُونَ منهُم كمِقدَارِ ميلٍ، فَيكُونُ النَّاسُ على قدرِ أعمالِهِم في العرَقِ، فمِنهُم مَن يكُونُ إلَى كعبَيهِ، ومنهُم مَن يكُونُ إلَى رُكبَتَيهِ، ومِنهُم من يكُونُ إلَى حَقويهِ، ومنهُم مَن يُلجِمهُ العَرَقُ إلجَامًا** ». قَالَ: « وأَشَارَ رسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدهِ إلَى فِيهِ »[٢].

هناك من يظله الله في ظله ذلك اليوم.

حديث السبعة: « **سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه** »[٣].

---

(١) البخاري (٨/ ١١١)، ومسلم (٤/ ٢١٩٥).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢١٩٦).

(٣) البخاري (١/ ١٣٣)، ومسلم (٢/ ٧١٥).

المبحث الخامس
العرض والحساب

معنى العرض والحساب:

معنى العرض في اللغة: من معاني العرض: الإبراز والظهور، ويقال :عرض الجند :جعلهم يمرون عليه واحدًا واحدًا، وعرض له من حقه شيئًا :أعطاه إياه مكان حقه، وعرض القوم على النار :أحرقهم بها[1].

معنى العرض في الاصطلاح: - عند الإطلاق -: هو بروز الخلائق وعرضهم على ربهم سبحانه وتعالى في الموقف، عندما يتجلى تبارك وتعالى لهم لحسابهم وفصل القضاء بينهم، وهو كذلك عرض أعمال العباد عليهم، وعرض بعض الأشخاص عليه عرضًا خاصًا بعد خروجهم من النار، وهذا المعنى الخاص للعرض الاصطلاحي هو أخص من العرض اللغوي العام كما أفادته النصوص الشريفة من كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ.

وقد قسم الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ معاني العرض إلى معنيين، فقال: « العرض له معنيان: **معنى عام:** وهو عرض الخلائق كلهم على ربهم ﷻ، بادية له صفحاتهم، لا تخفى عليه منهم خافية، وهذا يدخل فيه من يناقش الحساب ومن لا يحاسب.

---

(١) « المفردات » للراغب (ص: ٣٣٠)، « أساس البلاغة » للزمخشري (ص: ٢٩٨)، و« معجم الألفاظ والأعلام القرآنية » (ص: ٣٣٧).

والمعنى الثاني: عرض معاصي المؤمنين عليهم، وتقريرهم بها، وسترها عليهم، ومغفرتها لهم »[1].

قال تعالى في شأن العرض: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٨]، وقال أيضًا: ﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف: ٤٨].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ﴾؛ العرض: أن يستقبل العارض المعروضَ استقبالًا مُنظّمًا يدلّ على كُلِّ هيئاته، كما يستعرض القائد الجنود في العرض العسكري مثلًا، فيرى كل واحد من جنوده ﴿صَفًّا ﴾ أي: صُفوفًا منتظمة، حتى الملائكة تأتي صُفوفًا، كما قال تعالى:﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[الفجر:٢٢]؛ أي: أنها عملية مُنظمة لا يستطيع فيها أحد التخفي، ولن يكون لأحد منها مفَرٌّ، وهي صفوف متداخلة بطريقة لا يُخفِي فيها صَفٌّ الصفَّ الذي يليه، فالجميع واضح بكل أحواله »[2].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

والحساب: هو توقيف الله عَزَّ وَجَلَّ عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم أقولًا، وأفعالًا، واعتقادًا، وتفصيلًا بعد أخذهم كتبهم، فيقفون على مقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إيّاهم بما قد نسوه، وقد دلَّ عليه الكتاب، والسنة، والإجماع والعقل.

---

(١) « معارج القبول » لحافظ بن أحمد الحكمي (ص: ٢/ ٢٤٧).

(٢) « تفسير الشعراوي » (١٤/ ٨٩٣٠).

١ – قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ٧-٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦].

٢ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « أما الحساب في ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ فيقتضي مُحَاسبًا هو الله ﷻ، ومُحاسَبًا هم الناس، ومُحَاسَبًا عليه وهي الأعمال والأحداث التي أحدثوها في دنياهم، وهذه قسمان: قسم قبل أن يُكلَّفوا، وقسم بعد أن كُلِّفوا. ما كان قبل التكليف وسِنِّ البلوغ لا يحاسبنا الله عليه، إنما تركنا نمرح ونرتع في نعمه سبحانه دون أن نُسأل عن شيء، أما بعد البلوغ فقد كلَّفنا بأشياء تعود علينا بالخير، وألزمنا المنهج الذي يضمن سعادتنا « بافعل » و« لا تفعل » وهذا يقتضي أن نحاسب، فَعَلْنا، أم لم نفعل. إذن: المسألة حساب، ليست جُزَافًا، جماعة في الجنة وجماعة في النار، وقوله سبحانه في الحديث القدسي: « هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي »، بِناءً على علمه تعالى بما يُؤدُّونه وقت الحساب، ففي علم الله ما فعلوا وما تركوا. ولا تنسَ أن المحاسب في هذا الموقف هو الله، فإن كان الحساب في الخير عاملك بالفضل والزيادة كما يشاء سبحانه؛ لذلك يضاعف الحسنات، وإن كان الحساب في الشر كان على قَدره دون زيادة، كما قال تعالى: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦].

وما دام المحاسب هو الله سبحانه وتعالى، وهو لا ينتفع بما يقضيه على الخَلق، فمن رحمته بِنَا ونعمته علينا أن حذَّرنا من أسباب الهلاك، ولم يأخذنا على غَفلة، ولم

يفاجئنا بالحساب على غِرّة، إنما أبان لنا التكاليف، وأوضح الحلال والحرام، وأخبرنا بيوم الحساب لنستعدَّ له، فلا نسير في الحياة على هوانا.

فقال سبحانه: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، فمن رحمته تعالى بعباده أن وعدهم هذا الوعد، وعرَّفهم هذا الميزان وهم في سَعَة الدنيا، وإمكان تدارك الأخطاء، واستئناف التوبة والعمل الصالح، من رحمته بنا أن يعِظَنا هذه الموعظة ويكررها على أسماعنا ليلَ نهارَ... »[1].

٣- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [الرعد: ٢١].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وأولو الألباب يخافون سُوء حساب الحق سبحانه لهم؛ فيدفعهم هذا الخوف على أَن يَصِلوا ما أمر به سبحانه أن يُوصَل، وأن يبتعدوا عن أي شيء يغضبه.

ونحن نعلم أن سوء الحساب يكون بالمناقشة واستيفاء العبد لكل حقوقه؛ فسبحانه مُنزَّه عن ظلم أحد، ولكن مَن يُناقش الحسابَ فهو مَن يَلقى العذاب؛ ونعوذ بالله من ذلك، فلا أحد بقادر على أن يتحمل عذابَ الحق له »[2].

٤- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١٥/ ٩٤٧٣-٩٤٧٥).

(٢) « تفسير الشعراوي » (١٢/ ٧٢٧٩).

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن بعضًا يفهم أنه بمجرد البعث والحشر ستكون النار مثواهم، ولكن المثوى في النار لن يكون إلا بعد الحساب، وهذا استثناء من الزمن الخلودي، فلن يحدث دخول للجنة أو للنار إلا بعد الحساب، فزمن الحساب والحشر مستثنى وخارج عن زمن الخلود في الجنة أو النار »[(١)].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ فيما سبق جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية.

٥- وفي الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: « ليسَ أحَدٌ يُحاسَبُ يومَ القِيامةِ إلَّا هَلكَ » فقُلتُ: يا رسُولَ اللَّه، أَلَيسَ قد قالَ اللَّهُ تعالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧-٨]؟ فقَال رسُولُ الله ﷺ: « **إنَّمَا ذَلكِ العَرضُ، ولَيسَ أحَدٌ يُناقَشُ الحسَابَ يومَ القِيامَةِ إلَّا عُذِّبَ** »[(٢)].

وقال ﷺ: « **لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه** »[(٣)].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٧/ ٣٩٤٣).

(٢) البخاري (٨/ ١١٢)، ومسلم (٤/ ٢٢٠٤).

(٣) سنن الترمذي (٤/ ٦١٢)، وقال هذا حديث حسن صحيح، ورواه الدارمي في سننه (١/ ١٤٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٣٠)، وهو في صحيح الجامع برقم (٧٣٠٠).

المبحث السادس
الـميزان

الميزان: تعريفه:

لغةً: ما يعرف به قدر الشيء؛ أي: مقداره، وعند المتكلمين ما يعرف به مقادير الأعمال في الآخرة[1].

اصطلاحًا: وهو ميزان حقيقي، له لسان وكفتان توزن به أعمال العباد، خيرها وشرها، وقد أخبر الله تعالى عنه في القرآن الكريم إخبارًا مجملًا من غير تفصيل لحقيقته، وجاءت السنة النبوية فبينته[2].

والواجب نحو الميزان:

١- نثبته كما ورد، وأنه ميزان حسي له كفتاه، وأن الوزن يكون بالراجح والمرجوح؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٨-٩].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « في هذه الآيات نجد الحديث عن الوزن للأعمال، وهذا كله تأكيد للحجة عليهم؛ فالله لا يظلم أحدًا، وفي وزن الأعمال إبطال للحجة من الذين يخافون النار، ولم يؤدوا حقوق الله في الدنيا، وكل ذلك ليؤكد الحجة، ويظهر الإنصاف ويقطع العذر، وهنا قول كريم يقول فيه الحق

---

(١) « قواعد الفقه » للبركتي (١/ ٢٢٣).

(٢) « الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار » للدكتور غالب عواجي (٢/ ١٠٨٥).

سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ...﴾ [الأنبياء: ٤٧]، هذه الموازين هي عين العدل، وليست مجرد موازين عادلة، بل تبلغ دقة موازين اليوم الآخر أنها هي عدل في ذاتها. وهنا يقول الحق: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ نعم، الميزان في هذا اليوم حق ودقيق، لنذكر أنه قال من قبل: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠] »[1].

- يرى الباحث أن الشيخ الشعراوي رحمه الله وافق هنا أهل السنة في إثبات (**الميزان**)؛ خلافًا للفرق التي ضلت فيه وأنكرته.

٢- هل هو ميزان واحد أو عدة موازين؟ كل ذلك جائز، لأن النصوص جاءت تارة على صيغة الجمع، وتارة على صيغة الإفراد، فإما أن يكون ميزانًا واحدًا لجميع الأفراد والأمم، وإما أن يكون الميزان متعددًا بحسب الأمم والأفراد، والله أعلم.

٣- أن الوزن يكون للعمل، **قال تعالى**: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣].

قال الشعراوي رحمه الله: « والميزان يقوم على كِفَّتين؛ في أحدهما الموزون، وفي الأخرى الموزون به، وللوزن ثلاث صور عقلية: أن يخفّ الموزون، أو يخف الموزون به، أو يستويا، وقد ذكرت الآية حالتين: خفت موازينه، وثقلت موازينه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ٦-١١].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٧/ ٤٠٤٩-٤٠٥٠).

أما حالة التساوي فقد جاءت لها إشارة رمزية في سورة الأعراف: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٦-٤٧].

فمَن غلبت حسناته ذهب إلى الجنة، ومَن غلبت سيئاته ذهب إلى النار؛ وبقي أهل الأعراف بين الجنة والنار؛ لأنهم تساوت عندهم كِفَّتا الميزان، فلا هو من أهل الجنة، ولا هو من أهل النار، فهم على الأعراف، وهو السُّور بين الجنة والنار ينظرون إلى هؤلاء وإلى هؤلاء. ثم يقول تعالى في شأنهم: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾؛ لأن رحمة الله سبقت غضبه، وعفوَه سبق عقابه.

ومعنى ثقلت موازينه وخفت موازينه يدل على أن الأعمال تصبح ولها كثافة وجِرم يعطي ثقلًا، أو أن الله تعالى يخلق في كل عمل له كتلة، فحسنةٌ كذا بكذا، والمراد من الميزان دِقَّة الفَصل والحساب.

ونلحظ في الآية: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾بالجمع ولم يقل: ميزانه، لماذا؟ قالوا: لأنه يمكن أن يكون لكل جهة عمل ميزان خاص، فللصلاة ميزان، وللمال ميزان، وللحج ميزان.. إلخ ثم تُجمع له كل هذه الموازين »[(١)].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا ليس صحيحًا، وأن هذا تكييف وتجسيم؛ فأهل السنة يؤمنون بالميزان وليس بالكيف.

وقال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾[الأنبياء:٤٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[الأحزاب: ٣٤].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١٦/ ١٠١٦٢-١٠١٦٣).

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللهُ: « أمَّا ذكر الله فهو يجري على لسانك في أيِّ وقت، وبدون استعداد أو مشقة، ويلهج به لسانك في أي وقت، وعلى أي حال أنت فيه، واقرأ في ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ١٠]؛ فما دام أن الذكر هو أن تجعل الله على بالك، فلا يمنعك من ذلك سَعيٌ ولا عمل؛ لأن الذِّكر أخف العبادات وأيسَرُها على النفس، وأثقلها في الميزان »[١].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

٤- وتارة يكون للصحائف، كما في حديث البطاقة[٢].

٥- وتارة يكون للعامل، لقوله ﷺ عن ساقي ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: « **لهما في الميزان أثقل من أحد** »[٣].

من الناس من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهؤلاء الذين جاء وصفهم في الحديث بأنهم: « **همُ الَّذينَ لا يَستَرقُونَ، ولا يَتطيَّرُونَ، ولا يكتَوُونَ، وعلَى ربِّهِم يتوكَّلُونَ** »[٤].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١٩/ ١٢٠٢٧-١٢٠٢٨).

(٢) « سنن الترمذي » (٥/ ٢٤) (٢٦٣٩)، وابن ماجة (٢/ ١٤٣٧) (٤٣٠٠)، والمستدرك للحاكم (١/ ٥٢٩) وصحح إسناده ووافقه الذهبي، انظر: السلسلة الصحيحة (١/ ٢١٢) (١٣٥).

(٣) المسند للإمام أحمد (١/ ٤٢١)، ومجمع الزوائد (٩/ ٢٨٩) (١٥٥٦٢)، وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح.

(٤) البخاري (٧/ ١٢٦)، ومسلم (١/ ١٩٩).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ [الكهف: ١٠٥].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ثم يقول تعالى: ﴿فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ أي: بَطُلت وذهب نفعُها ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾؛ وقد اعترض المستشرقون على هذه الآية ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ وقالوا: كيف نُوفِّق بينها وبين الآيات التي تثبت الميزان، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾ [القارعة: ٦-١١].

ونقول: إنَّ العلماء في التوفيق بين هذه الآيات قالوا: المراد بقوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ جاءت على سبيل الاحتقار وعدم الاعتبار، فالمراد لا وزنَ لهم عندنا؛ أي: لا اعتبارَ لهم، وهذه نستعملها الآن في نفس هذا المعنى نقول: فلان لا وزنَ له عندي. أي: لا قيمة له.

وبالبحث في هذه الآية وتدبرها تجد أن القرآن الكريم يقول: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ﴾ ولم يَقُل: عليهم، إذن: الميزان موجود، ولكنه ليس في صالحهم، فالمعنى: لا نقيم لهم ميزانًا لهم، بل نقيم لهم ميزانًا عليهم »[1].

- يرى الباحث أن الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وافق هنا - أيضًا - أهل السنة في إثبات (**الميزان**)؛ وأنه ميزان حقيقي.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١٥/ ٩٠٠٤-٩٠٠٥).

المبحث السابع

الحوض

تعريف الحوض في اللغة والاصطلاح:

الحوضُ في اللغة يُطلق ويُرادُ به : مجمع الماء ، وجمعه: حياض وأحواض ، قال الليث: « الحوضُ معروف، والجمع : الحياض والأحواض. والفعل: التحويض، واستحوض الماء ، أي أتخذ لنفسه حوضًا »[(١)].

والمرادُ بالحوض في الشرع: هو ما جاء الخبر به، من أن لنبينا محمد ﷺ حوضًا، تَرِدُ عليه أمتُهُ يوم القيامة، جعله الله غياثًا لهم وإكرامًا لنبينا محمد ﷺ.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ما وردَ في الحوض النبوي المحمدي - سقانا الله منه يوم القيامة - من الأحاديث المتواترة المتعددة من الطرق الكثيرة المتضافرة، وإن رغمت أُنوف كثير من المبتدعة المعاندة المكابرةِ، القائلين بجحوده، المنكرين لوجوده، وأخلِق بهم أن يُحال بينهم وبين من وُرُودِه ؛ كما قال بعض السلف: « مَن كذب بكرامةٍ لم ينَلْها »[(٢)].

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما ينقله عن النووي: « أحاديثُ الحوض صحيحة والإيمان بهِ فرض ، والتصديق به من الإيمان، وهو على ظاهِرهِ عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يُختلف فيه »[(٣)].

---

(١) « تهذيب اللغة » (٥/ ١٥٨).

(٢) « البداية والنهاية » لابن كثير (٢/ ٢٩).

(٣) « شرح النووي لمسلم » (٥/ ١٥٠).

الأدلة من السنة النبوية على إثبات الحوض:

١- ما جاء في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ خرج يومًا فصلَّى على أهل أُحد صلاته على الميت ثم انصرفَ على المنبر فقال : « **إني فرطٌ لكم، وأنا شهيدٌ عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أُعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخافُ عليكم أن تنافسوا فيها** »(١).

٢- وفي رواية شقيقٍ عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ: « **أنا فَرطكم على الحوض، ولأنازعن أقوامًا ثم لأغلبن عليهم، فأقول: يا رب أصحابي أصحابي. فيُقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك** »(٢)، والفرط: السابق لهم المتقدم عليهم في الوصول إليه.

٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيﷺ قال: « **أمامكم حوضي كما بين جرباء وأذرُح** »، وقد بيَّن مسلم المسافة بين تلك القريتين ومكانهما بقوله عن محمد بن بشر عن عُبيد الله أنه قال : « قريتين بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال »(٣).

صفات الحوض ومزاياه :

وردت للحوض صفاتٌ كثيرة في أحاديث رسول الله ﷺ، منها(٤):

---

(١) البخاري (٨/ ١٢١)، ومسلم (٤/ ١٧٩٥).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٧٩٥).

(٣) شرح النووي لمسلم (٥/ ١٥٨).

(٤) انظر لهذه الصفات: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ١٤٦)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢/١٩٦- ١٩٧).

- أنه حوضٌ عظيم وموردٌ كريم.

- آنيته من ذهبٍ وفضة.

- وهو أطيب من ريح المسِك.

- من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا.

- غاية في الأتساع، فكلما شُربَ منه زادَ واتسع .

- فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء في الليلة المظلمة المُصحية.

- ماؤه أشدُ بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأشد بردًا من الثلج.

- ينبت منِ خلالهِ المسك والرضراض من اللؤلؤ وقضبان الذهب، ويُثمر ألوان الجواهر.

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]: « «جاءوك» أي: يجيئون لسنَّتِك ولِمَا تركْتَ منها، فالنبي ﷺ هو القائل: « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما؛ كتاب الله وسنتي، ولن يتفرَّقا حتى يَرِدا عليّ الحوض »[١]، فكما كان الأحياء يجيئونه، فنحن نجيء إلى حكمه وسنته وتشريعه... »[٢].

- لم يجد الباحث في تفسير الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامًا عن الحوض إلا في هذا الموضع فقط؛ وبه يتبين أنه يوافق السلف في إثبات (**الحوض**)؛ والله أعلم.

---

(١) المستدرك للحاكم (١/ ١٧٢)، وصححه الألباني في « صحيح الجامع الصغير وزيادته » (١/ ٥٦٦).

(٢) « تفسير الشعراوي » (٤/ ٢٣٧٨).

المبحث الثامن
الصراط

تعريف الصراط:

الصراط في اللغة: هو الطريق[1]، وأصله من صرطت الشيء أصرطه؛ إذا بلعته بلعًا، فسمي الطريق صراطًا لأنه يسترط المارة فيه.

والصراط: هو ما جمع خمسة أوصاف: أن يكون طريقًا مستقيمًا، سهلًا مسلوكًا، واسعًا موصلًا إلى المقصود؛ فلا تسمي العرب الطريق المعوج صراطًا، ولا الصعب المشق، ولا المسدود غير الموصل[2].

شرعًا: هو جسر ممدود على متن جهنم، فمن جازه سلم من النار[3].

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللهُ: « ...وفي الآخرة؛ وبعد الحساب يضرب الصراط فوق جهنم، ويعبر من فوقه المؤمنون والكافرون. فالمؤمنون يجتازون الصراط المستقيم كل حسب عمله منهم من يمر بسرعة البرق، ومنهم من يمر أكثر بطأً وهكذا، والكافرون يسقطون في النار.

---

(١) « لسان العرب » (٧/ ٣٤٠)، و« الصحاح » (ص: ٣٧٥).
(٢) « بدائع الفوائد » (٢/ ٢٥٤).
(٣) « زاد المعاد » لابن القيم (٣/ ٥٨).

ولكن لماذا يمر المؤمنون فوق الصراط، والله ﷻ قال: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧١-٧٢]؟؛ لأن مجرد رؤية المؤمنين لجهنم نعمة كبرى، فحين يرون العذاب الرهيب الذي أنجاهم الإيمان منه، يحس كل منهم بنعمة الله عليه أنه أنجاه من هذا العذاب. وأهل النار وأهل الجنة يرى بعضهم بعضًا؛ فأهل الجنة حينما يَرَون أهل النار يحسون بعظيم نعمة الله عليهم إذ أنجاهم منها، وأهل النار حين يرون أهل الجنة يحسون بعظيم غضب الله عليهم أن حرمهم من نعيمه، فكأن هذه الرؤية نعيمٌ لأهل الجنة وزيادةٌ في العذاب لأهل النار »[1].

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « وكما قلنا من قبل: إنَّ الله قد أخبر المؤمنين بأمور غيبية، ومن هذه الأمور الغيبية أن له جنةً وأن له نارًا، وصدق المؤمنون بكل ما جاءهم من البلاغ عن ربهم، وعلموا أن ذلك من الله، وصار هذا العلم عِلمَ يقينٍ كقدر مشترك فيما بينهم، فإذا جاءَ يوم القيامة ورأوا الصراط مضروبًا عن متن جهنم مطابقًا لما صدقوه صار عَيْنَ يقين، وإذا ما دخل بعضهم النار - والعياذ بالله - تكفيرًا لذنوب ارتكبوها، فهذا حق يقين »[2].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١/ ٢٠٤-٢٠٥).

(٢) « تفسير الشعراوي » (٨/ ٤٥٤١).

٣- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٧١].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « إذًا: معنى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ أي: أنكم جميعًا مُتقون ومجرمون، ستَرِدُون النار وترونها؛ لأن الصراط الذي يمرُّ عليه الجميع مضروب على مَتن جهنم.

وقد ورد في ذلك حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال قال ﷺ: « **يوضع الصراط بين ظهراني جهنم، عليه حسك كحسك السعدان، ثم يستجيز الناس، فنَاجٍ مُسلَّم، ومخدوش به، ثم ناج ومحتبس به، ومنكوس ومكدوس فيها** »[1]؛ فإذا ما رأى المؤمن النار التي نجاه الله منها يحمد الله ويعلم نعمته ورحمته به »[2].

- يرى الباحث أن الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وافق هنا أهل السنة في إثبات (**الصراط**)؛ خلافًا للفرق التي ضلت فيه وأنكرته.

---

(١) المستدرك للحاكم (٤/ ٦٢٨)، وصححه الألباني في « صحيح الجامع الصغير وزيادته » (٢/ ١٣٦٠).

(٢) « تفسير الشعراوي » (١٥/ ٩١٥٥).

- الأحاديث التي وردت في الصراط وصفته ثابتة عن النبي ﷺ منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه حديث النبي ﷺ: « **... ثم يُؤتَى بالجسر، فيُجعَل بين ظهري جهنم** »، **قلنا: يا رسولَ الله، وما الجسر؟ قال:** « **مدحضة مزِلَّةٌ، عليه خطاطيف وكلاليب وحَسكة مُفَلطحة، لها شوكة عُقَيفَاءُ تكون بنجد، يقال لها: السعدان، المؤمنُ عليها كالطَّرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والرِّكاب، فناجٍ مسَلَّم، وناجٍ مخدوش، ومكدوس في نار جهنم، حتى يمرَّ آخرُهم يُسحَب سحبًا...** »[1].

٢- حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: « **ويُضرب الصراطُ بين ظهرانَي جهنَّم** »[2].

❀ ❀ ❀

(١) صحيح البخاري (٩/ ١٢٩).

(٢) البخاري (٩/ ١٢٨)، ومسلم (١/ ١٦٣).

المبحث التاسع
الشفاعة

الشفاعة في اللغة والاصطلاح:

في اللغة: شَفَعَ شفعًا الشيء، صيّره شفعًا؛ أي: زوجًا، بأن يضيف إليه مثله، يقال: كان وترًا فشفعهُ بآخر: أي: قَرَنَهُ به.

وتقول: « شُفِعَ لي الأشخاص » أي: أرى الشخص شخصين لضعف بصري، وشَفَعَ شفاعةً لفلان، أو فيه إلى زيد: طلب من زيد أن يعاونه، وشفعَ عليه بالعداوة: أعان عليه وضادّهُ، وتشفّع لي وإليَّ بفلان أو في فلان: طلب شفاعتي.

وأما التعريف الاصطلاحي: فلم يخرج عن الدلالة اللغوية كثيرًا، إذ الشفاعة هي: « السؤال في التجاوز عن الذنوب »(١). أو هي: « التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة »(٢).

شروط الشفاعة:

للشفاعة المثبتة شرطان: وهما:

١- **إذن الله للشافع:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

---

(١) « التعريفات » للجرجاني (١/ ١٦٨)، و« النهاية في غريب الحديث » (٢ / ١١٨٤).
(٢) « تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد » لابن عثيمين (ص: ١٢٨).

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « ويتابع سبحانه بقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾... لكنه سيأتي يوم القيامة وليس للكافر إلا العذاب، لأنه ما دام قد عمل في الدنيا وأحسن عملًا فقد أخذ جزاءه، فإياكم أن تظنوا كما قالوا: «هؤلاء شفعاؤنا عند الله»، وجاء فيهم قول الحق: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[يونس: ١٨].

إنّ هؤلاء الذين افتروا على الله بالشرك به، واتخذوا أصناما باطلة لا تضرهم ولا تنفعهم. يقولون عن هذه الأصنام: إنها تشفع لهم عند الله في الآخرة، ويأمر الحق سبحانه رسوله محمدًا ﷺ أن يبلغ المشركين: قل لهم يا محمد: هل تخبرون الله بشريك لا يعلم الله له وجودًا في السموات ولا في الأرض، وهو الخالق لكل ما في السموات والأرض ومُنزه سبحانه عن أن يكون له شريك في المُلك.

لقد أرادوا أن يُخِلّوا بقضية التوحيد ويجعلوا لله شركاء ويقولوا: إن هؤلاء الشركاء هم الذين سيشفعون لنا عند الله، فيقول الحق سبحانه: إن الشفاعة لا يمكن أن تكون عندي إلا لمن أذنت له أن يشفع، إنَّ الشفاعة ليست حقًا لأحد، ولكنها عطاء من الله، لذلك يقول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ »[1].

- يرى الباحث أن الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ وافق هنا أهل السنة في إثبات (**الشفاعة**)؛ وأنه لا ينالها إلا من توفرت فيه شروطها.

(١) « تفسير الشعراوي » (٢/ ١٠٩٧-١٠٩٨).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[يونس: ٣].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللهُ: « ويضيف: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾ وجاء الحق بمسألة الشفاعة بعد مسألة تدبير الأمر؛ لأن هؤلاء الكافرين الذين تعجبوا من إرسال الله لرسوله ﷺ، كانوا يعبدون ما لا يضرهم ولا ينفعهم، ويقولون: إن تلك الأصنام تشفع لهم عند الله، مصداقًا لقوله الحق: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[يونس: ١٨].

ولذلك يُفصِّل الحق سبحانه مسألة الشفاعة. فالإنسان لا يحتاج إلى شفاعة عند مَن يملك الأمر إلا إذا ارتكب جُرمًا أو حدث منه تقصير في أمر ما. والآية أوضحت أنهم يعبدون ما لا يضرهم إن لم يعبدوه، وما لا ينفعهم إن عبدوه، وأقروا أن مثل هذه الأصنام إنما تشفع لهم، والشفاعة من الشفع، والشفع ضد الوتر والوتر هو ما لا يقبل القسمة على اثنين، فيكون الوتر رقمًا فرديًا... وكان الكفار على عهد رسول الله ﷺ يقولون عن تلك الأصنام: إنهم شفعاء لهم عند الله، فيقول الحق سبحانه في الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾ لأن الشفاعة تقتضي شافعًا ومشفوعًا عنده، ومشفوعًا له، ومشفوعًا فيه، هذه هي الأربعة العناصر في الشفاعة. والذي يستشفع هو المقصِّر، وهؤلاء الكفار قالوا عن الأصنام: إنّها شفعاء لهم عند الله، وهذا إقرار منهم بالتقصير، وأقروا بأن المشفوع عنده هو الله، وأما المشفوع فيه؛ فهو تخفيف

العذاب أو إنهاء العذاب. إذًا: فالمشفوع فيه أمر مشترك، والمشفوع عنده أمر مشترك، أما الأمر في الشافع، والأمر في المشفوع له، فهما مختلفان... لذلك بيَّن الحق هنا أن الشفيع لا بد أن يكون بإذن منه سبحانه ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ﴾، وفي سورة البقرة يقول سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وفي آية أخرى يقول سبحانه: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ [طه: ١٠٩].

إذًا: فالشفيع لا بد له من إذن ورضًا من الله.

أما المشفوع له فقد قال الحق: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

هكذا بيَّن لنا الحق عناصر الشفاعة: الشافع، والمشفوع له، والمشفوع عنده وهو الله سبحانه، والمشفوع فيه هو الذنوب وهي معروفة.

ثم قال: وقد جعل الحق سبحانه الشفاعة لرسول الله تكريمًا له ﷺ، وكذلك في المأذون له في الشفاعة، حتى يعلم المسلم أن الرسول قد يشفع له، وأن المؤمن قد يشفع لأخيه، وأن الأب قد يشفع لابنه، وحين يعلم المسلم ذلك، فهو يحسن إلى كل هؤلاء؛ لعله يحصل على الشفاعة منهم، ويحسن اتباع سنة الرسول ﷺ، ويحسن معاملة المؤمنين، ويحسن الابن معاملة والديه، وهكذا يعيش المجتمع في كرامة الشفاعة بعمل الخير وإخلاص النية.

ثم قال: وفي القرآن آيتان جاءتا بنص متقارب، فالحق يقول: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨]، والآية الثانية تقول: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ١٢٣].

ومن حاولوا المقارنة بين الآيتين بغرض الطعن في القرآن، هم من الغرباء عن اللغة ولا يملكون ملكة البيان التي يمكن أن يستقبلوا الأساليب بها، ولو امتلكوا هذه الملكة لعلموا أن الصدر في الآيتين محتمل لوجهين، فهناك نفس جازية هي التي تتشفع، ونفس مجزيٌّ عنها هي التي يُتشفع لها.

والضمير الذي يأتي في قوله الحق: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا﴾ ﴿وَلَا يُؤْخَذُ﴾ ﴿وَلَا تَنفَعُهَا﴾، هذا الضمير يصح أن يرجع إلى النفس الشافعة، ويصح أن يرجع إلى النفس المشفوع لها. والإنسان منا إذا ما كان عليه شيء لإنسان آخر، وغير قادر على أن يستبرئ ذمته منه، فهو يلجأ إلى صديق لهذا الآخر، له مكانة عنده ليستشفع له، وفور أن يذهب صاحب المكانة إلى هذا الآخر فهو يقول له: هل تقبل شفاعتي لفلان؟ فإن قال صاحب الأمر: لن أقبل الشفاعة، فالمستشفع عنده يقول له: إذن: سأدفع العدل، أي: ما يساوي قيمة ما كنت سأتشفع له فيه.

وهكذا نجد أنفسنا أمام نفسين: شافعة، ومشفوع لها. والضمير يعود على أي من النفسين.

وهكذا نجد أن صدر كل آية من الآيتين اللتين يقال عنهما: إنهما متشابهتان، صدر كل منهما منسجم مع عجزها »[1].

- يرى الباحث أن الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ وافق هنا أهل السنة في مسألة الشفاعة؛ بأنه لا بد من إذن الله للشافع أن يشفع.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٩/ ٥٧٠٦-٥٧٠١٢).

٢- **رضاه عن المشفوع له**: قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والشفاعة تقتضي مشفوعًا له وهو الإنسان، وشافعًا وهو الأعلى منزلةً، ومشفوعًا عنده. والمشفوع عنده لا يسمح بالشفاعة هكذا ترتجلها من نفسك، إنما لا بُدَّ أن يأذنَ لك بها، وأن يضعَك في مقام ومرتبة الشفاعة، وهذا شَرط في الشافع. وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾: هذه للمشفوع له، أن يقول قولًا يرضى الله عنه وإن قصَّر في جهة أخرى، وخَيرُ ما يقوله العبد ويرضى عنه الله أن يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فهذه مَقُولة مَرضيَّة عند الله، وهي الأمل الذي يُتعلق به، والبُشْرى لأهل المعاصي؛ لأنها كفيلة أن تُدخِلهم في شفاعة النبي ﷺ»[1].

وبعضهم يزيد شرطين وهما:

٣- **قدرة الشافع على الشفاعة**: كما قال تعالى في حق الشافع الذي يطلب منه: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]؛ فعلم أن طلبها من الأموات طلب ممن لا يملكها.

٤- **إسلام المشفوع له**: قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨]؛ والمراد بالظالمين هنا: الكافرون، ويستثنى منهم أبو طالب. وهذان الشرطان - في الحقيقة - يدخلان في الشرطين الأولين؛ فلا يَقدر على الشفاعة إلا من أذن له الله، ولا يُشفع إلا لمسلم.

---

(١) «تفسير الشعراوي» (١٥/ ٩٣٩٥-٩٣٩٦).

- يرى الباحث أن الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ وافق فيما سبق أهل السنة في إثبات الشرط الثاني للشفاعة؛ وهو رضا الله عن المشفوع له، وأثبت أيضًا شفاعة الرسول ﷺ في عمه أبي طالب؛ حتى يكون أخف أهل النار عذابًا.

تنقسم يوم القيامة إلى قسمين:

١- مثبتة: وهي التي توافرت فيها شروط الشفاعة.

٢- **منفية:** وهي التي لم تتوافر فيها تلك الشروط. وهذه الشفاعة لا حقيقة لها ولا وجود لها، ومن صورها:

أ- شفاعة الآلهة التي عُبدت من دون الله للكفار والمشركين، سواء المرجو شفاعته ملكًا أو نبيًا أو وليًا أومن الجن أو الشياطين أو الحيوانات أو الجمادات؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـًٔا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [الزمر: ٤٣-٤٤]، ولأن من عَبَدَ غير الله تعالى مشرك كافر، ولا شفاعة لكافر، قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[المدثر:٤٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴾[مريم: ٨٧].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الكافر حين يباشر العذاب يطمع أول ما يطمع في أن يشفعَ له معبودُه، ويُخرجه ممَّا هو فيه، لكِن هيهات، ألم تقرأ قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴾[الزخرف: ٨٦].

لذلك يقول تعالى عن هؤلاء يوم القيامة: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾؛ لأن الشفاعة لا تكون إلا لمن أخذ الإذن بها ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾.

والعهد الذي تأخذه على الله بالشفاعة أن تُقدِّم من الحسنات ما يسع تكاليفك أنت، ثم تزيد عليها ما يؤهلُك لأن تشفع للآخرين، والخير لا يضيع عند الله، فما زاد عن التكليف فهو في رصيدك في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، ولا يهمل مثقال ذرة.. إذًا: لا بُدَّ لمن يشفع أن يكون له رصيد من الطاعات يسمح له بالشفاعة، وإذا تأملت لوجدت رسول الله ﷺ أول مَن قدّم رصيدًا إيمانيًا وسع تكليفه وتكليف أمته، ألم يخبر عنه ربه بقوله: ﴿...يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ...﴾ [التوبة: ٦١]؛ لذلك وجبت له الشفاعة، وأُذِن له فيها »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

ب- الشفاعة بدون إذن من الله للشافع أو عدم رضاه عن المشفوع؛ قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥].

(١) « تفسير الشعراوي » (١٥/ ٩١٩٠-٩١٩١).

أنواع الشفاعة

النوع الأول: الشفاعة الخاصة:

وهي التي تكون للرسول ﷺ خاصة لا يشاركه فيها غيرُه من الخلق وهي أقسام:

أولها: الشفاعة العظمى: وهي من المقام المحمود الذي وعده الله إياه في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء: ٧٩].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « والمراد بالمقام المحمود: هو مقام الشفاعة، حينما يقف الخَلق في ساحة الحساب وهَول الموقف وشِدّته، حتى ليتمنى الناس الانصراف ولو إلى النار، ساعتها تستشفع كُلُّ أمة بنبيها، فيردّها إلى أن يذهبوا إلى خاتم المرسلين وسيد الأنبياء ﷺ، فيقول: أنا لها، أنا لها. لذلك أمرنا النبي ﷺ أن ندعو بهذا الدعاء: « **وابعثه اللّهم المقام المحمود الذي وعدته** »[1] ولا شَكَّ أنه دعاء لصالحنا نحن »[2].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

---

(١) عن جابرٍ قال: قال رسول الله ﷺ: « من قال حين يسمع النِّداء: اللهمَّ ربَّ هذه الدَّعوة التَّامَّة والصَّلاة القائمة. آت محمَّدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه المقام المحمود الَّذي وعدته إلَّا حلَّت له شفاعتي يوم القيامة » سنن النسائي (٢/ ٢٦).

(٢) تفسير الشعراوي (١٤/ ٨٧٠٤-٨٧٠٥).

وحقيقة هذه الشفاعة هي أن يشفع لجميع الخلق حين يؤخر الله الحساب فيطول بهم الانتظار في أرض المحشر يوم القيامة، فيبلغ بهم من الغم والكرب ما لا يطيقون، فيقولون: من يشفع لنا إلى ربنا حتى يفصل بين العباد، يتمنون التحول من هذا المكان، فيأتي الناس إلى الأنبياء فيقول كل واحد منهم : لست لها، حتى إذا أتوا إلى نبينا ﷺ فيقول: « أنا لها، أنا لها ». فيشفع لهم في فصل القضاء، فهذه الشفاعة العظمى، وهي من خصائص النبي ﷺ.

والأحاديث الدالة على هذه الشفاعة كثيرة في الصحيحين وغيرهما، ومنها حديث ابن عمر: « **إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثًا، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود** »(١).

ثانيها: الشفاعة لأهل الجنة لدخول الجنة: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك** »(٢).

وفي رواية: « **أنا أول شفيع في الجنة** »(٢).

ثالثها : شفاعة الرسول ﷺ لعمه أبي طالب: فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر عنده عمُّه أبو طالب فقال: « **لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضَحْضاحٍ من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه** »(٣).

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ٨٦).

(٢) صحيح مسلم (١/ ١٨٨).

(٣) البخاري (٥/ ٥٢)، ومسلم (١/ ١٩٥).

رابعها : شفاعته ﷺ في دخول أناس من أمته الجنة بغير حساب: وهذا النوع ذكره بعض العلماء واستدل له بحديث أبي هريرة الطويل في الشفاعة وفيه : « **ثمَّ يقَالُ: يا مُحمَّدُ ارفَع رأسَكَ سَل تُعطَه واشفَع تُشفَّع، فأَرفعُ رأسِي فأقُولُ: أُمَّتي يا ربِّ أُمَّتي يا ربِّ أُمَّتي يا ربِّ، فيُقالُ: يا مُحمَّدُ أدخِل مِن أُمَّتكَ من لا حسَابَ عليهِم من البابِ الأيمَنِ من أبوَابِ الجنَّةِ، وهُم شُركَاءُ النَّاسِ فيما سوَى ذلِكَ مِن الأبوَابِ** »[1].

النوع الثاني: الشفاعة العامة:

وهي تكون للرسول ﷺ ويشاركه فيها من شاء الله من الملائكة والنبيين والصالحين وهي أقسام:

أولاها: الشفاعة لأناس قد دخلوا النار في أن يخرجوا منها:

والأدلة على هذا القسم كثيرة جدًّا منها:

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا: « **فو الذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون. فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقًا كثيرًا... فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط** »[2].

---

(١) البخاري (٦/ ٨٤)، ومسلم (١/ ١٨٤).

(٢) صحيح مسلم (١/ ١٦٧).

ثانيها: الشفاعة لأناس قد استحقوا النار أن لا يدخلوها:

وهذه قد يستدل لها بقول الرسول ﷺ: « ما مِن رجُلٍ مُسلِمٍ يمُوتُ، فَيقُومُ علَى جَنازَتِهِ أربَعُونَ رجُلًا، لا يُشرِكُونَ باللهِ شيئًا، إلَّا شَفَّعهُمُ اللهُ فيهِ »[1]. فإن هذه شفاعة قبل أن يدخل النار، فيشفعهم الله في ذلك.

ثالثها: الشفاعة لأناس من أهل الإيمان قد استحقوا الجنة أن يزدادوا رفعة ودرجات في الجنة:

ومثال ذلك ما رواه مسلم عن النبي ﷺ أنه دعا لأبي سلمة فقال: « **اللّهمّ اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديّين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا ربّ العالمين، وافسح له في قبره، ونوّر له فيه** »[2].

وأعظم هذه الشفاعات: شفاعة رب العباد:

فيقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: « **فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبار: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار فيخرج أقوامًا قد (امُتحشوا) أي: احترقوا، فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له: ماء الحياة، فينبتون في حافتيه كما تنبت الحِبَّة في حميل السيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة، فما كان إلى الشمس منها كان أخضر، وما كان إلى جانب الظل منها كان أبيض، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيجعل في رقابهم الخواتيم، فيدخلون الجنة فيقول أهل**

(١) صحيح مسلم (٢/ ٦٥٥).

(٢) صحيح مسلم (٢/ ٦٣٤).

الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدّموه، فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه »[1].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسير قوله تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الأحزاب: ١]: « ...وعرفنا في مسألة الشفاعة أن الصيام والقرآن يشفعان لصاحبهما، وأن الله يُشفِّع بعض المؤمنين، ويُشفِّع الأنبياء والملائكة، ثم بعد ذلك تبقى شفاعة أرحم الراحمين... »[2].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا **(في مسألة الشفاعة)** جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

❀ ❀ ❀

(١) صحيح البخاري (٩/ ١٢٩).

(٢) « تفسير الشعراوي » (١٩/ ١١٨٩٣).

المبحث العاشر

الجَنّة والنّار

تعريف الجنة والنار:

الجنة لغة: الجنة: البستان ومنه (الجنات) والعرب تسمي النخيل جنة[1].

اصطلاحًا: الجنة دار النعيم التي أعدّها الله للمؤمنين والمتقين الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله مخلصين لله متبعين لرسوله[2].

النار لغة: عنصر طبيعي فعال يمثله النور والحرارة المحرقة، وتطلق على اللَّهَب الذي يبدو للحاسة، كما تُطلق على الحرارة المحرقة (مج) (ج) نيران وأنور، ويقال: استضاء بناره: استشاره وأخذ برأيه، وأوقد نار الحرب: أثارها وهيجها[3].

اصطلاحًا: هي دار العذاب التي أعدَّها الله تعالى للكافرين الظالمين الذين كفروا به وعصوا رسله[2].

ونختم الحديث عن هذا الركن بالحديث عن الجنة والنار لأنهما المآل الأبدي:

قال تعالى عن الجنة: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٧].

وقال تعالى عن النار: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة:٥-٩].

---

(١) «مختار الصحاح» (ص: ٤٨).

(٢) «شرح ثلاثة الأصول» لابن عثيمين (ص: ١٠٢).

(٣) «المعجم الوسيط» (٢/ ٩٦٢).

الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان:

١ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ...وهكذا نرى أن هذه الجنة قد أُعدَّت للمتقين، ومعنى « أُعدت » أي: هُيّئت وصُنعت وانتهت المسألة! يؤكد ذلك رسول الله ﷺ فيقول: « عُرِضت عليّ الجنة ولو شئت أن آتيكم بقطاف منها لفعلت ».

لماذا؟ لأن الإخبار بالحدث قد يعني أن الحدث غير موجود وسيوجد من بعد ذلك، ولكن الوجود للحدث ينفي أن لا يوجد؛ لأن وجوده صار واقعًا، فعندما يقول: ﴿أُعِدَّتۡ﴾ فمعناها أمر قد انتهى الحق من إعداده، ولن يأخذ من خامات الدنيا وينتظر إلى أن ترتقي الدنيا عندكم ويأخذ وسائل وموادّ مما ارتقيتم ليعد بها الجنة، لا.

لقد أخبر سبحانه عنها فقال: « فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »، وأعد سبحانه الجنة كلها بـ« كن »، فعندما يقول: ﴿أُعِدَّتۡ﴾ تكون مسألة مفروغًا منها. وما دامت مسألة مفروغًا منها إذن فالمصير إليها أو إلى مقابلها مفروغ منه... »[١].

- يرى الباحث أن الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وافق هنا السلف في إثبات وجود الجنة والنار، ولم يتطرق لمسألة فنائهما؛ كما هي عقيدة أهل السنة.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٣/ ١٧٥٢-١٧٥٣).

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [طه: ٧٦].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « عدن: أي إقامة. مِن عَدَنَ في المكان: أقام فيه، فالمراد جنات أعِدَّت لإقامتك، وفرق بين أن تُعِد المكان للإقامة وأن تُعِدَّ مكانًا لعابر، كما أن المكان يختلف إعداده وترفه حَسب المُعِد وإمكاناته، فالإنسان العادي يُعِد مكانًا غير الذي يعده عظيم من العظماء، فما بالك إذن بمكان أعدّه لك ربك عَزَّ وَجَلَّ بقدراته وإمكاناته؟!.. فقوله تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ لأن ظاهرة جريان الأنهار في الدنيا وسيلة للخُضرة والخِصب والإيناع، و﴿مِن تَحۡتِهَا﴾ أي: أن الماء ذاتيّ فيها، ونابع منها، ليس جاريًا إليك من مكان آخر، ربما يُمنَع عنك أن تُحرم منه. لذلك يقول تعالى في آية أخرى: ﴿تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [التوبة: ١٠٠]؛ فتحتها أنهار جارية، لكن مصدرها ومنبعها من مكان آخر.

ونسب الجريان إلى النهر، لا إلى الماء للمبالغة، فالنهر هو المجرى الذي يجري فيه الماء.

ثم يقول تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ وهذا هو التأمين الحقّ للنعيم؛ لأن آفة النعم أن تزولَ، إمّا بأن تفوتها أنت أو تفوتك هي، أما نعيم الجنة فقد سَلَّمه الله تعالى من هذه الآفة، فهو خالد بَاقٍ، لا يزول ولا يُزال عنه »[١].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

---

(١) تفسير الشعراوي (١٥/ ٩٣٣٣-٩٣٣٥).

٣- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٨].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ثم يقول سبحانه: ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾؛ والفعل الماضي هنا دليل على أن كل شيء معدٌّ وموجود سَلَفًا، ولن ينشئ الحق سبحانه شيئًا جديدًا، كذلك قال عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣] »[1].

٤- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء :١٦٨-١٦٩].

٥- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يخبرهم وهم في الدنيا، أن النار أعدت للكافرين. وقوله تعالى: النار أعدت للكافرين، تطمين غاية الاطمئنان للمؤمن، وإرهابٌ غاية الإرهاب للكافر، وقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ﴾ معناها: أنها موجودة فعلًا وإن لم نكن نراها، وأنها مخلوقة وإن كانت محجوبة عنا؛ ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « عُرضت عليّ الجنة ولو شئت أن آتيكم منها بقطاف لفعلت ».وهذا دليل على أنها موجودة فعلًا »[2].

- يرى الباحث أن الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وافق هنا أهل السنة في مسألة « **الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان** ».

(١) تفسير الشعراوي (١٩/ ١١٩٤٩).

(٢) تفسير الشعراوي (١/ ٢٠٢).

نعيم الجنة وجحيم النار:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [العنكبوت: ٥٨].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ومعنى ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا ...﴾ أي: نُنزلهم ونُمكِّنهم منها، كما جاء في قوله تعالى مخاطبًا رسوله ﷺ: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٢١]؛ يعني: تُنزِلهم أماكنهم.

والجنة تُطلقَ على الأرض ذات الخضرة والأشجار والأزهار في الدنيا، كما جاء في قوله سبحانه: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ... ﴾ [البقرة: ٢٦٦]، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ [القلم: ١٧]، وقوله سبحانه: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ [الكهف: ٣٢]؛ فإذا كانت جنة الدنيا على هذه الصورة من الخِصب والنماء والجمال، وفيها أسباب القُوت والترف، إذا كان ذلك في دنيا الأسباب التي نراها، فما بالك بما أعدَّه الله لخَلقه في الآخرة؟!

ومن عجائب الجنة أنها ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ﴾ [العنكبوت: ٥٨]. ونحن نعرف أن أنهار الدنيا تجري خلالها عبر الشُّطان التي تحجز الماء، أمّا في الجنة فتجري أنهارها بلا شُطآن.

لذلك لما كنا نسافر إلى بلاد المدنية والتقدّم، ونرى زخارف الحياة وترفَها كنتُ أقول لمن معي: خذوا من هذا النعيم عِظَة، فهو ما أعدَّه البشر للبشر، فما بالكم بما أعدَّه ربُّ البشر للبشر؟!!.

فإذا رأيتَ نعيماً عند أحد فلا تحقد عليه، بل ازدَد به يقينًا في الله تعالى، وأن ما عنده أعظم من هذا. أَلاَ ترى أن الحق - تبارك وتعالى - حينما يخبرنا عن الجنة يقول: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [محمد: ١٥]؛ فيجعلها مثلًا؛ لأن ألفاظ اللغة لا تؤدي المعاني التي في الجنة ولا تَصِفها.

لذلك يقول النبي ﷺ: « فيها ما لا عَين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر » فكل ما جاء فيها ليس وصفًا لها إنما مجرد مثَل لها، ومع ذلك لما أعطانا المثل للجنة صَفّى المثل من شوائبه، فقال: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾[محمد: ١٥].

ويكفي أن تعلم أن نعيم الجنة يأتي مناسبًا لقدرة وإمكانيات المنِعم سبحانه.

وقوله سبحانه ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾؛ لأن النعيم مهما كان واسعًا، ومهما تعددت ألوانه، فيُنغِّصه ويُؤرِّق صاحبه أن يزول إما بالموت وإما بالفقر، أما نعيم الجنة فدائم لا يزول ولا ينقطع، فلا يفوتك ولا تفوته، كما قال سبحانه: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾[الواقعة: ٣٣]؛ لا يُكدِّرها شيء »(١).

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رحمه الله هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

(١) تفسير الشعراوي (١٨/ ١١٢٤٥-١١٢٤٧).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قلنا: إنَّ الحق سبحانه أخفى أسرار الخير عن الخَلق، ولم يُعطهم منها إلا على قدر حاجتهم منها، فإذا أراد سبحانه أن يُجازي عباده المؤمنين لا يجازيهم بما يعملون من خيرات الدنيا وإمكاناتهم فيها، إنما يجازيهم بما يعلم هو سبحانه، وبما يتناسب مع إمكانات قدرته.

وهذه الإمكانات لا نستطيع نحن التعبير عنها؛ لأن ألفاظ اللغة لا تستطيع التعبير عنها، ومعلوم أن الإنسان لا يضع الاسم إلا إذا وُجد المسمى والمعنى أولًا؛ لذلك قال تعالى في التعبير عن هذا النعيم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾.

وقال النبي ﷺ عن الجنة: «**فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»[1]؛ إذًا: كيف نُسمِّي هذه الأشياء؟ وكيف نتصَّورها وهي فوق إدراكاتنا؟ لذلك سنفاجأ بها حين نراها إن شاء الله. ثم ألاَ ترى أن الحق سبحانه حينما يعرض علينا طرفًا من ذكر الجنة لا يقول لنا الجنة كذا وكذا، إنّما يقول: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ...﴾ [الرعد: ٣٥]؛ أي: أن ما نعرضه عليك ليس هو الجنة، إنما شبيه بها، أما هي على الحقيقة ففوق الوصف الذي تؤديه اللغة، فأنا أعطيكم الصورة القريبة لأذهانكم.

ثم يُنقي الحق سبحانه المثل الذي يضربه لنا من شوائبه في الدنيا، وتأمل في ذلك قول الله تعالى عن نعيم الجنة: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢١٧٥).

ءَاسِنٍ﴾ [محمد: ١٥]؛ وكانت آفة الماء عندهم أن يأسن ويتغير في الجرار، فنقَّاه الله من هذه الآفة.

وكذلك في ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ وكان العربي إذا سار باللبن يحمض فيعافه، ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ وآفة خمر الدنيا أنها تغتال العقل، وتذهب به، وليس في شربها لذة؛ لذلك نرى شاربها والعياذ بالله يتجرَّعها مرة واحدة، ويسكبها في فمه سَكبًا، دليلًا على أنها غير طيبة، وهل رأيت شارب الخمر يمتصُّها مثلًا كما تمتص كوبًا من العصير، وتشعر بلذة شربه؟ وقد وصف الله خمر الآخرة بقوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾[الصافات: ٤٧].

ثم يقول سبحانه: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ فوصف العسل بأنه مُصفًّى؛ لأن آفة العسل عندهم ما كان يعلَق به من الحصى والشوائب حين ينحدر من بيوت النحل في الجبال، فصفَّى الله عسل الآخرة من شوائب العسل في الدنيا.

ومهما بلغ بنا ترف الحياة ونعيمها، ومهما عَظمَت إمكاناتنا في الدنيا، فلن نرى فيها نهرًا من الخمر، أو من اللبن، أو من العسل، ثم إن هذه الأنهار تجري في الجنة بلا شطآن، بل ويتداخل بعضها في بعض دون أن يطغى أحد منها على الآخر، وهذه طلاقة القدرة التي لا حدود لها.

إذًا: الحق سبحانه حين يشرح لنا نعيم الجنة، وحين يَصفُها يعطينا المثال لا الحقيقة، ثم يُنقِّي هذا المثال مما يشوبه في الدنيا.

ومن ذلك أن العربي كان يحب شجرة السِّدر؛ أي: النبق، فيستظل بظلها، ويأكل ثمرها، لكن كان ينغص عليه هذه اللذة ما بها من أشواك لا بُدَّ أن تؤذي

مَن يقطف ثمارها، فلما ذكرها الله تعالى في نعيم الجنة قال عنها: ﴿ فِى سِدۡرٍ مَّخۡضُودٍ ﴾ [الواقعة: ٢٨]، أي: منزوع الشوك، فالمتعة به تامة لا يُنغِّصها شيء.

ولما تكلم عن نساء الجنة قال سبحانه عن الحور العين: ﴿ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٌ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن: ٧٤]؛ فنفى عنهن ما يُنغِّص على الرجل جمالَ المرأة في الدنيا، وطمأنك أنها بِكر لم ينظر إليها أحد قبلك.

لهذا قال تعالى عن نعيم الجنة: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٍ ﴾[السجدة: ١٧]؛ والقرة والقُرور؛ أي: السكون، ومنه قرَّ في المكان؛ أي: استقر فيه... فمعنى (قرة العين)؛ أي: استقرارها على شيء بحيث لا تتحول عنه إلى غيره، والعين لا تستقر على الشيء إلا إذا أعجبها، ورأت فيه كل ما تصبو إليه من متعة »[1].

- يرى الباحث أن الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وافق هنا أهل السنة في إثبات **(نعيم الجنة)**.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [الأنفال: ١٤].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وهنا يقول المولى سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ ﴾: والذوق غير البلع والشبع، ونرى ذلك في عالمنا السِّلعي والتجاري؛ فساعة تشتري - على سبيل المثال - جوافة، أو بلحًا أو تينًا، يقول لك البائع: إنها فاكهة حلوة، ذق منها، ولا يقول لك كل منها واشبع... والعذاب الذي رآه الكفار على أيدي المؤمنين مجرد ذوق هيّن جدًا بالنسبة لما سوف يرونه في الآخرة من العقاب الشديد والعذاب الأليم، وسيأتي الشبع من العذاب في الآخرة، لماذا؟ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ١٣].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١٩/ ١١٨٣٤-١١٨٣٧).

وهذا اللون من إذاقة الذل والإهانة في الدنيا لهؤلاء الكفار المعاندين، مجرد نموذج بسيط لشدة عقاب الله على الكفر، وفي يوم القيامة يطبق عليهم القانون الواضح في قوله ﷻ: ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾؛ إذًا فالهزيمة لمعسكر الكفر والذلة هي مجرد نموذج ذوق هين لما سوف يحدث لهم يوم القيامة من العذاب الأليم والحق ﷻ هو القائل: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الطور: ٤٧].

وعذاب الآخرة سيكون مهولًا، و« العذاب » هو إيلام الحس، إذا أحببت أن تديم ألمه، فأبق فيه آلة الإحساس بالألم، ولذلك تجد الحق ﷻ حينما يتكلم عن سليمان والهدهد يقول: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢٠-٢١]؛ كأن الذبح ينهي العذاب، بدليل أنّ مقابل العذاب في هذا الموقف هو الذبح.

وماذا عن عذاب النار؟ إن النار المعروفة في حياتنا تحرق أي شيء تدخله فيها، لكنّ نار الآخرة تختلف اختلافًا كبيرًا لأن الحق هو القائل: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] »[1].

- يرى الباحث أن الشيخ الشعراوي رحمه الله وافق هنا أهل السنة في إثبات **(عذاب النار)**.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٨/ ٤٦٠٥).

أسباب دخول الجنة:

لدخول الجنة أسبابٌ كثيرة؛ منها:

١- التوحيد: قال رسول الله ﷺ: « **من قال لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة** »[1].

٢- صلة الأرحام: قال رسول الله ﷺ: « **أفشُوا السَّلامَ، وأطعِمُوا الطَّعامَ، وصِلُوا الأرحَامَ، وصَلُّوا والنَّاسُ نيَامٌ تَدخُلُوا الجنَّةَ بسَلَامٍ** »[2]، وغيرها من الأسباب.

أسباب دخول النار:

لدخول النار أسبابٌ كثيرة؛ منها:

١- الشرك بالله: قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [المائدة:٧٢].

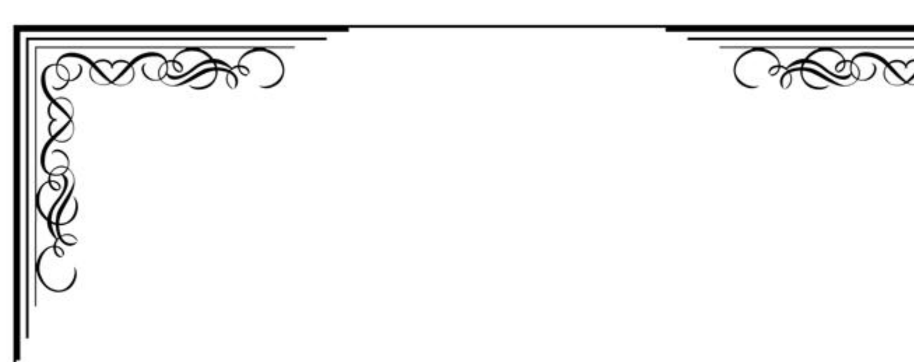
٢- النميمة: قال رسول الله ﷺ: « **لا يدخل الجنة نمام** »[3]، وغيرها من الأسباب.

---

(١) « الجامع الصغير » للسيوطي (٨٨٩٦).

(٢) المسند للإمام أحمد (٣٩/ ٢٠١)، والحاكم (٣/ ١٤)، وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشَّيخين ولم يخرِّجاه.

(٣) صحيح مسلم (١/ ١٠١).



الفصل الرابع

القضاء والقدر

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: مفهوم الإيمان بالقضاء والقدر، ومراتب القدر

المبحث الثاني: مسألة خلق أفعال العباد، والفِرَق التي ضلت في القدر

المبحث الثالث: الهداية





المبحث الأول

مفهوم الإيمان بالقضاء والقدر، ومراتب القدر

مفهوم الإيمان بالقدر:

١- تعريفه: القدر: القضاء الموَفَّق، يقال: قدّر الإله كذا تقديرًا، وإذا وافق الشيءُ الشيءَ قلت: جاءه قدَرَه[١].

والقدر في الاصطلاح:

هو علم الله السابق بالأشياء، وكتابته لها في اللوح المحفوظ، وعموم مشيئته - جل وعلا - وخلقه للأعيان والصفات القائمة[٢].

٢- حكم الإيمان بالقدر وأهميته:

الإيمان بالقدر واجب، ومرتبته في الدين أنه أحد أركان الإيمان الستة؛ كما قال النبي ﷺ لجبريل عليه السلام حين قال: ما الإيمان؟ قال: « **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره** »[٣]، يؤمن بالقدر خيره وشره وحلوه ومُرّه، ولا يتم إيمان أحد إلا به.

٣- يجب على العبد الإيمان بالقدر خيره وشره:

الخير: ما يلائم طبيعته؛ بحيث يحصل له به خير أو ارتياح وسرور، وكل ذلك من الله عز وجل.

---

(١) « لسان العرب » (٥/ ٧٤).

(٢) « التمهيد لشرح كتاب التوحيد » (ص: ٥٤٩).

(٣) سبق تخريجه.

والشر في القدر: ما لا يلائم طبيعة الإنسان؛ بحيث يحصل له به أذية أو ضرر.

ولكن؛ إن قيل: كيف يقال: إن في قدر الله شرًا؛ وقد قال النبي ﷺ: « والشر ليس إليك »[1]**؛ فالجواب على ذلك أن يقال:** الشر في القدر ليس باعتبار تقدير الله له، لكنه باعتبار المقدور له؛ لأن لدينا قدرًا هو التقدير ومقدورًا؛ كما أن هناك خلقًا ومخلوقًا وإرادة ومرادًا، فباعتبار تقدير الله له ليس بشرٍّ، بل هو خير، حتى وإن كان لا يلائم الإنسان ويؤذيه ويضره، لكن باعتبار المقدور؛ فنقول: المقدور إما خيرًا وإما شرًا، فالقدر خيره وشره يراد به المقدور خيره وشره.

ونضرب لهذا مثلًا في قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ ﴾ [الروم: ٤١]؛ ففي هذه الآية بين الله ﷻ ما حدث من الفساد وسببه والغاية منه؛ فالفساد شر، وسببه عمل الإنسان السيء، والغاية منه: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ ﴾.

فكون الفساد يظهر في البر والبحر فيه حكمة؛ فهو نفسه شر، لكن لحكمة عظيمة، بها يكون تقديره خيرًا.

كذلك المعاصي والكفر شر، وهو من تقدير الله، لكن لحكمة عظيمة، لولا ذلك لبطلت الشرائع، ولولا ذلك لكان خلق الناس عبثًا[2].

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٥٣٤).

(٢) « الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة » لعبد الله الأثري (ص: ٨٥).

٤- الإيمان بالقدر خيره وشره لا يتضمن الإيمان بكل مقدور، بل المقدور ينقسم إلى كوني وإلى شرعي:

- فالمقدور الكوني: إذا قدر الله عليك مكروهًا؛ فلا بد أن يقع؛ رضيت أم أبيت.

- والمقدور الشرعي قد يفعله الإنسان وقد لا يفعله، ولكن باعتبار الرضى به فيه تفصيل: إن كان طاعة لله؛ وجب الرضى به، وإن كان معصية؛ وجب سخطه وكراهته والقضاء عليه؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وعلى هذا، يجب علينا الإيمان بالمقضي كله، من حيث كونه قضاء الله ﷻ، أما من حيث كونه مقضيًّا؛ فقد نرضى به وقد لا نرضى؛ فلو وقع الكفر من شخص؛ فلا نرضى بالكفر منه، لكن نرضى بكون الله أوقعه(١).

٥- ثمرات الإيمان بالقدر جليلة، منها:

الأولى: الاعتماد على الله تعالى، عند فعل الأسباب، بحيث لا يعتمد على السبب نفسه؛ لأن كل شيء بقدر الله تعالى.

الثانية: أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصول مراده؛ لأن حصوله نعمة من الله تعالى، بما قدره من أسباب الخير، والنجاح، وإعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة.

الثالثة: الطمأنينة، والراحة النفسية بما يجرى عليه من أقدار الله تعالى، فلا يقلق بفوات محبوب، أو حصول مكروه، لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك

---

(١) «الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة» لعبد الله الأثري (ص: ٨٤).

السماوات والأرض، وهو كائن لا محالة، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣].

ويقول النبي ﷺ: « **عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن اصابته سراءُ شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراءُ صبر فكان خيرًا له** »[1].

الرابعة: أنه من تمام الإيمان، ولا يتم الإيمان إلا بذلك[2].

الخامسة: أنه من تمام الإيمان بالربوبية؛ لأن قدر الله من أفعاله[2].

السادسة: رَدُّ الإنسان أموره إلى ربه؛ لأنه إذا علم أن كل شيء بقضائه وقدره؛ فإنه سيرجع إلى الله في دفع الضراء ورفعها، ويضيف السراء إلى الله، ويعرف أنها من فضل الله عليه[2].

السابعة: أن الإنسان يعرف قدر نفسه، ولا يفخر إذا فعل الخير[2].

الثامنة: هَوْنُ المصائب على العبد؛ لأن الإنسان إذا علم أنها من عند الله؛ هانت عليه المصيبة؛ كما قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١١]؛ قال علقمة: « هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم »[3].

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٢٩٥).

(٢) « شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية » للعثيمين (٢/ ١٩١).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٨/ ٨٠).

التاسعة: إضافة النعم إلى مُسديها، لأنك إذا لم تؤمن بالقدر؛ أضفت النعم إلى من باشر الإنعام، وهذا يوجد كثيرًا في الذين يتزلفون إلى الملوك والأمراء والوزراء؛ فإذا أصابوا منهم ما يريدون؛ جعلوا الفضل إليهم، ونسوا فضل الخالق سبحانه. صحيح أنه يجب على الإنسان أن يشكر الناس؛ لقول النبي ﷺ: « **وَمَن أَتَى إِلَيكُم معرُوفًا فكَافئُوهُ** »[1] ، ولكن يعلم أن الأصل هو فضل الله ﷻ جعله على يد هذا الرجل[2].

العاشرة: أن الإنسان يعرف به حكمة الله ﷻ، لأنه إذا نظر في هذا الكون وما يحدث فيه من تغييرات باهرة؛ عرف بهذا حكمة الله ﷻ؛ بخلاف من نسي القضاء والقدر؛ فإنه لا يستفيد هذه الفائدة[2].

مراتب القدر:

الإيمان بالقدر يقوم على أربعة أركان تُسمى مراتب القدر أو أركانه، وهي المدخل لفهم باب القدر، ولا يتم الإيمان به إلا بتحقيقها كلها؛ فبعضها مرتبط ببعض، فمن أقر بها جميعًا اكتمل إيمانه بالقدر، ومن انتقص واحدًا منها أو أكثر اختل إيمانه بالقدر، وهذه الأركان هي:

١- **العلم**. ٢- **الكتابة**. ٣- **المشيئة**. ٤- **الخلق**[3].

---

(١) المسند للإمام أحمد (١٠/ ٢٦٧).

(٢) « شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية » للعثيمين (٢/ ١٩١).

(٣) انظر هذه المراتب في: « أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة » لنخبة من العلماء (ص: ٣٣٥).

المرتبة الأولى: العلم:

وهو الإيمان بأن الله عالم بكل شيء جملة وتفصيلًا، أزلًا، وأبدًا، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله، أو بأفعال عباده؛ فعلمه محيط بما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

ويعلم الموجود، والمعدوم، والممكن، والمستحيل، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، وقد عَلِمَ جميعَ خلقه قبل أن يخلقهم، فعلم أرزاقهم، وآجالهم، وأقوالهم، وأعمالهم، وجميع حركاتهم، وسكناتهم، وأهل الجنة، وأهل النار.

وهذه المرتبة وهي العلم السابق اتفق عليها الرسل من أولهم إلى آخرهم، واتفق عليها جميع الصحابة، ومن تبعهم من هذه الأمة، وخالفهم مجوسُ هذه الأمة القدرية الغلاة.

والأدلة على هذه المرتبة من القرآن الكريم والسنة المطهرة كثيرة جدًّا منها:

١- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الحشر: ٢٢]؛ أي: عالم ما غاب من الإحساس وما حضر، وقيل: عالم السر والعلانية، وقيل: ما كان وما يكون، وقيل: الآخرة والدنيا[١]، وقدم الغيب على الشهادة؛ لكونه متقدمًا وجودًا.

٢- قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٣٧).

﴿تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]. قيل: إنه علم من إبليس المعصية وخلقه لها، وقيل: كان علمه أنه سيكون من تلك الخليقة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة[١].

٣- قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: علم ما يكون قبل أن يخلقه، وقال أيضًا: على علم قد سبق عنده، وقال أيضًا: يريد الأمر الذي سبق له في أم الكتاب[٢].

٤- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]، فهذا إضلال ناشئ عن علم الله السابق في عبده أنه لا يصلح للهدى، ولا يليق به، وأن محله غير قابل له؛ فالله أعلم حيث يضع هداه وتوفيقه كما هو أعلم حيث يجعل رسالته.

وأما من السنة؛ فمن ذلك ما يلي:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سُئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين، فقال: « **الله أعلم بما كانوا عاملين** »[٣]، ومعنى قوله: « **الله أعلم بما كانوا عاملين** » أي: لو أبقاهم؛ فلا تحكموا عليهم بشيء، وقيل: أي علم أنهم لا يعملون شيئًا، ولا يرجعون فيعملون، أو أَخبَرَ بعلم شيء لو وجد كيف يكون مثل قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟﴾ »[٤].

٢- قال ﷺ: « **ما منكم من نفس إلا وقد عُلم منزلها من الجنة والنار** »[٥].

---

(١) « شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل » لابن قيم الجوزية، الباب العاشر في مراتب القضاء والقدر (١٢/ ١).
(٢) « الجامع لأحكام القرآن » (١٦/ ١٦٩).
(٣) صحيح البخاري (١/ ٤٦٥).
(٤) « فتح الباري شرح صحيح البخاري » لابن حجر العسقلاني (٣/ ٢٤٧).
(٥) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٠).

المرتبة الثانية: الكتابة:

وهي الإيمان بأن الله كتب ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ.

وقد أجمع الصحابة، والتابعون، وجميع أهل السنة والحديث على أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب، التي هي اللوح المحفوظ، والذكر، والإمام المبين، والكتاب المبين.

والأدلة على هذه المرتبة كثيرة من الكتاب والسنة منها:

١- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، فما كتبه الله عز وجل وأثبته عنده كان في علمه قبل أن يكتبه، ثم كتبه كما في علمه، ثم وُجِدَ كما كتبه عز وجل.

٢- قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، قوله: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ أي: من الأعمال والنيات وغيرها ﴿أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ﴾ أي: في كتاب هو أم الكتاب، وإليه مرجع الكتب التي تكون بأيدي الملائكة، وهو اللوح المحفوظ[1].

٣- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التوبة: ٥١].

قال الشعراوي رحمه الله: «وقوله سبحانه: ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يعني: مُسجلة عندنا مقدورة ومقضية، والفرق بين المقدور

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٥٦٨).

والمقضي: القضاء حكم لازم لا دخل لك فيه، أما القدر فحكم لك فيه اختيار، ولكن الله تعالى علمه أزلًا فكتبه مقدمًا.

ثم قال: وقوله تعالى: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾ أي: من قبل أن نخلقها ونبرزها في عالم الواقع ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا جميل ومفيد، ووافق أهل السنة، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

٤- قوله: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [الحديد: ٢٢]؛ أي: ما قدره الله، وأجراه في اللوح المحفوظ.

٥- قال سبحانه عن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾ [الأعراف: ١٥٦]؛أي: من علم نافع، ورزق واسع، وعمل صالح.

٦- قال تعالى عن محاجة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لفرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥١-٥٢]؛ أي: قد أحصى أعمالهم من خير وشر، وكتبه في كتابه، وهو اللوح المحفوظ، وأحاط به علمًا وخُبرًا؛ فلا يضل عن شيء منها، ولا ينسى ما علمه منها[2].

٧- قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، أي: كتبنا في الكتاب المزبور، والمراد: الكتب المنزلة كالتوراة ونحوها، من بعد الذكر؛ أي: كتبناه في الكتب المنزلة بعدما كتبنا في

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٢٤/ ١٤٩٥١-١٤٩٥٢).

(٢) « تفسير القرآن العظيم » (٥/ ٢٩٨).

الكتاب السابق، وهو اللوح المحفوظ، وأم الكتاب الذي توافقه جميع التقادير المتأخرة عنه[1].

٨- وقال تعالى: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[الأنفال: ٦٨]، أي: سبق به القضاء والقدر أنه قد أحل لكم الغنائم، وأن الله قد رفع عنكم - أيتها الأمة - العذاب، لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم[2].

وأما من السنة؛ فمن ذلك ما يلي:

١- قال رسول الله ﷺ: « **كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء** »[3]، قال العلماء: « المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل التقدير؛ فإن ذلك أزلي لا أول له »[4].

٢- قال النبي ﷺ: « **ما منكُم من أحَدٍ، ما من نفسٍ منفُوسَةٍ، إلَّا وقَد كتبَ اللهُ مكَانهَا منَ الجنَّة والنَّارِ، وإلَّا وقَد كُتبَت شقيَّةً أو سعِيدةً** »[5].

---

(١) « تيسير الكريم الرحمن » للسعدي (ص: ٥٣١).
(٢) « تيسير الكريم الرحمن » للسعدي (ص: ٣٢٦).
(٣) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٤).
(٤) « شرح النووي على صحيح مسلم » (١٦/ ٢٠٣).
(٥) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٣٩).

المرتبة الثالثة: المشيئة:

وهذه المرتبة تقتضي الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا حركة، ولا سكون، ولا هداية، ولا إضلال إلا بمشيئته.

وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقل والبيان.

والنصوص الدالة على هذا الأصل كثيرة جدًا من الكتاب والسنة، منها:

١- قال تعالى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

٢- قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [التكوير: ٢٩]؛ في هذه الآية دليل على عموم خلقه تعالى لسائر المخلوقات، ونفوذ مشيئته بجميع البريات، وانفراده ﷻ باختيار من يختاره ويختصه من الأشخاص، والأوامر، والأزمان، والأماكن، وأن أحدًا ليس له من الأمر والاختيار شيء.

٣- قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤].

٤- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١].

٥- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، وكذلك تعليقهم الإيمان بإرادتهم، ومشيئتهم وحدهم، وعدم الاعتماد على الله من أكبر الغلط، فإنهم لو جاءتهم الآيات العظيمة،

من تنزيل الملائكة إليهم، يشهدون للرسول بالرسالة، وتكليم الموتى وبعثهم بعد موتهم، وحشر كل شيء إليهم حتى يكلمهم ﴿ قُبُلًا ﴾ ومشاهدة، ومباشرة، بصدق ما جاء به الرسول ما حصل منهم الإيمان، إذا لم يشأ الله إيمانهم، ولكن أكثرهم يجهلون، فلذلك رتبوا إيمانهم، على مجرد إتيان الآيات، وإنما العقل والعلم، أن يكون العبد مقصوده اتباع الحق، ويطلبه بالطرق التي بينها الله، ويعمل بذلك، ويستعين ربه في اتباعه، ولا يتَّكِل على نفسه وحوله وقوته، ولا يطلب من الآيات الاقتراحية ما لا فائدة فيه.

٦ – قوله تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[الأنعام: ٣٩].

والذين كذبوا بحجج الله تعالى صمٌّ لا يسمعون ما ينفعهم، بُكمٌ لا يتكلمون بالحق، فهم حائرون في الظلمات، لم يختاروا طريقة الاستقامة. من يشأ الله إضلاله يضلله، ومن يشأ هدايته يجعله على صراط مستقيم.

وأما من السنة؛ فمن ذلك ما يلي:

١ – قال ﷺ: « **إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يُصَرِّفه حيث يشاء** »(١).

٢ – وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: **كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل، أو طلبت إليه حاجة قال: « اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء »**(٢).

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٥).

(٢) صحيح البخاري (٢/ ١١٣).

ومشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة يجتمعان فيما كان، وما سيكون، ويفترقان فيما لم يكن، ولا هو كائن، فما شاء الله كونه فهو كائن بقدرته لا محالة، وما لم يشأ كونه فإنه لا يكون؛ لعدم مشيئته له، لا لعدم قدرته عليه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، فعدم اقتتالهم ليس لعدم قدرة الله، ولكن لعدم مشيئته ذلك، ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥].

المرتبة الرابعة: الخلق:

وهذه المرتبة تقتضي الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله بذواتها، وصفاتها، وحركاتها، وبأن كل من سوى الله مخلوق مُوجَدٌ من العدم، كائن بعد أن لم يكن. وهذه المرتبة دلت عليها الكتب الإلهية، وأجمع عليها الرسل، واتفقت عليها الفطر القويمة، والعقول السليمة.

والنصوص الدالة على هذا الأصل كثيرة جدًّا من الكتاب والسنة، منها:

١ - قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

٢ - قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

٣ - قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

٤ - قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

وأما من السنة؛ فمن ذلك ما يلي:

١- قال النبي ﷺ: « **إن الله يصنع كل صانع وصنعته** »[1].

٢- وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: **لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول، كان يقول:** « **اللَّهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم وعذاب القبر، اللَّهم آت نفسي تقواها، وزكِّها أنت خير من زكَّاها، أنت وليها ومولاها** »[2]، والشاهد من ذلك قوله ﷺ: اللَّهم آت نفسي تقواها، وزكِّها.. فالفاعل هو الله تعالى، فهو الذي يُطلَب منه ذلك.

٣- عن ورَّاد مولى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: كتب معاوية رضي الله عنه إلى المغيرة: اكتبْ إليَّ ما سمعتَ النبي ﷺ يقول خلف الصلاة، فأملى عليَّ المغيرة، قال: سمعت النبي ﷺ يقول خلف الصلاة: « **لا إله إلا الله وحده لا شريك له، اللَّهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد** »[3].

والشاهد من ذلك قوله: « **اللَّهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت** »، فالمعطي والمانع هو الله تعالى فهو الفاعل لذلك، وهذا يدل على أنَّ الخالق هو الله عز وجل.

---

(١) « خلق أفعال العباد » للإمام البخاري (١/ ٤٦).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٨٨).

(٣) البخاري (٨/ ٧٢)، ومسلم (١/ ٤١٤).

المبحث الثاني:
مسألة خلق أفعال العباد، والفِرَق التي ضلت في القدر.

مسألة خلق أفعال العباد:

أفعال العباد داخلة في عموم خلقه تعالى للأشياء، ولا يخرجها شيء من عموم قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وإنما أفردت هنا لوقوع اللبس فيها.

وخلاصة القول في هذه المسألة:

أن أفعال العباد كلَّها - من الطاعات والمعاصي - داخلةٌ في خلق الله، وقضائه، وقدره؛ فقد علم الله ﷻ ما سيخلقه في عباده، وعلم ما هم فاعلون، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وخلقهم الله كما شاء، ومضى فيهم قدره، فعملوا على النحو الذي شاءه فيهم، وهدى الله من كتب لهم السعادة، وأضل من كتب عليهم الشقاوة، وعلم أهل الجنة ويسرهم لعمل أهلها، وعلم أهل النار ويسرهم لعمل أهلها[1].

فأفعال العباد هي من الله خلقًا وإيجادًا وتقديرًا، وهي من العباد فعلًا وكسبًا، فالله هو الخالق لأفعالهم، وهم الفاعلون لها، فنؤمن بجميع نصوص الكتاب والسنة الدالة على شمول خلق الله، وقدرته على كل شيء من الأعمال والأوصاف، كما نؤمن بنصوص الكتاب والسنة الدالة على أن العباد هم الفاعلون حقيقةً للخير والشر، وعلى هذا اتفق أهل السنة والجماعة[1].

---

(١) «كتاب الإيمان بالقضاء والقدر» للدكتور محمد الحمد (ص: ٧٦).

والنصوص التي مرت في المرتبة الرابعة من مراتب القدر تدل على ذلك، وهناك أدلة أصرح في الدلالة على هذه المسألة كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، قال المفسرون: في معنى (ما) في الآية وجهان:

أحدهما: أن تكون بمعنى المصدر؛ فيكون المعنى: والله خلقكم وعملكم.

والثاني: بمعنى الذي؛ فيكون المعنى، والله خلقكم وخلق الذي تعملونه بأيديكم من الأصنام[1].

وفي هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله.

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسير قوله تعالى:** ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]: « بعضهم أخذ هذه الآية ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ونسب كل الأفعال إلى الله، فالله في نظرهم خالق كل شيء؛ خالق الإيمان وخالق الكفر، وخالق الطاعة وخالق المعصية، وبالتالي قالوا: فلِمَ يُعذب صاحبها؟

نقول: هناك من يتعصب لقدرة الحق فيقول: كل شيء بقدرته تعالى، وهناك من يتعصب للعدالة فيقول: إن الإنسان هو الذي يفعل وهو الذي يسعى لنفسه، لذلك يُثاب على الطاعة ويُعاقب على المعصية. وهذا خلاف ما كان ينبغي أن يُوجد بين العلماء؛ لأن الطاعة أو المعصية فعلٌ، والفعل ما هو؟

الفعل أداء جارحة من الجسم لمهمتها؛ فالعين ترى، لكن سبحانه وضع للرؤية قانونًا، وجعل لها حدودًا؛ فالعين تر ما أُحلَّ لها، وتغضّ عما حُرِّم عليها، كذلك الأذن واليد والرِّجل واللسان.. الخ؛ فإن وافقت في الفعل أمر الشرع فهو طاعة، وإن خالفت أمر الشرع فهي معصية.

(١) « فتح القدير » للشوكاني (٤/ ٥٧٢).

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذًا نقول: إنّ الفعل شيء، وتوجيه الجارحة إلى الفعل شيء آخر، فالفعل كله مخلوق لله؛ فهو سبحانه الذي أقدر اليد أن تضرب، وهو الذي أقدرها أن تمتد بالخير للآخرين، الخالق سبحانه هو الذي أقدر لسان المؤمن أن يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأقدر لسان الكافر أن ينطق بكلمة الكفر والعياذ بالله، العين باستطاعتك أن تنظر بها إلى الحلال، وباستطاعتك أن تنظر بها إلى الحرام.

إذًا: أقدر الله كلَّ جارحة على المهمة التي تؤديها؛ فإن كانت هذه المهمة موافقة للشرع فهي طاعة، وإن كانت غير موافقة له فهي معصية. وعليه نقول: إنَّ الله تعالى هو خالق الفعل على الحقيقة.

إذًا: ما فعل العبد في المعصية حتى يُعاقب عليها؟ وما فِعله في الطاعة حتى يُثاب عليها؟

إن فعل العبد ودورَه هو توجيه الطاقة التي خلقها الله فيه، هذه الطاقة التي جعلها الله صالحة لأن تفعل الشيء وضده؛ فالقدرة على الفعل ليست من عندك، إنما من عند الله، وعليك أنت توجيه الطاقة الفاعلة.

فمن نظر إلى الفعل فالفعل كلّه لله ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ ومن نظر إلى التوجيه والاختيار فهو للعبد؛ لذلك نقول: إن العاصي لم يعصِ غصبًا عن الله، والكافر لم يكفر بعيدًا عن علم الله وإرادته، لأن الحق سبحانه لو شاء لجعل الناس جميعًا أمة واحدة على الطاعة والإيمان، لكن ترك لهم الاختيار وتوجيه الأفعال ليرى سبحانه - وهو أعلم بعباده - من يأتيه طواعية وباختياره.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: إذًا إيّاك أن تدخل في متاهة؛ فتفهم قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ﴾ على غير وجهه، فتقول: خالق كفر الكافر وعصيان العاصي؛ فلماذا يُعذبهم؟. لأن الكافر هو الذي اختار الكفر ووجَّه طاقة الله لغير ما أراد الله، والعاصي كذلك وجَّه طاقة الله إلى خلاف ما أمر به الله »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ فيما سبق جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

الفِرَق التي ضلت في القدر:

وقد ضل في القدر طائفتان:

الأولى: الجبرية[2]: الذين قالوا إن العبد مجبر على عمله وليس له فيه إرادة ولا قدرة.

الثانية: القدرية[3]: الذين قالوا إن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله تعالى وقدرته فيه آثر[4].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٢١/ ١٣٢١٥-١٣٢١٨).

(٢) الجبرية: هم من أثبتوا القدر وغلوا في ذلك حتى جعلوا الإنسان مجبورًا على كل ما يفعل. فهم قد نفوا مشيئة العبد وإرادته.

(٣) القدرية: ظهروا في أواخر عصر الصحابة، وقد لقي غيلان الدمشقي أحد مؤسسي بدعتهم مصرعه على يد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بناء على فتوى بعض التابعين لأنهم ينفون القدر.

والقدرية أخذوا بالنصوص التي تثبت مشيئة العبد وإرادته ومسؤوليته عما يفعل - وهذا حق - ولكنهم أنكروا القدر وما دل عليه من النصوص.

وسمو بذلك لأنهم ينفون القدر ويقولون: إن الله لم يشأ أفعال العباد ولم يخلقها.

(٤) « شرح الأصول الثلاثة » لابن عثيمين (ص: ١١٦).

والرد على الطائفة الأولى (الجبرية) بالشرع والواقع:

أما الشرع: فإن الله تعالى أثبت للعبد إرادة ومشيئة، وأضاف العمل إليه قال الله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم الفرق بين أفعاله الاختيارية التي يفعلها بإرادته كالأكل، والشرب، والبيع والشراء، وبين ما يقع عليه بغير إرادته كالارتعاش من الحمى، والسقوط من السطح، فهو في الأول فاعل مختار بإرادته من غير جبر، وفي الثاني غير مختار ولا مريد لما وقع عليه[(١)].

والرد على الطائفة الثانية (القدرية) بالشرع والعقل:

أما الشرع: فإن الله تعالى خالق كل شيء، وكل شيء كائن بمشيئة، وقد بين الله تعالى في كتابه أن أفعال العباد تقع بمشيئته فقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

---

(١) «شرح ثلاثة الأصول» لابن عثيمين (ص١١٧).

وأما العقل: فإن الكون كله مملوك لله تعالى، والإنسان من هذا الكون فهو مملوك لله تعالى، ولا يمكن للمملوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طه: ١١٥].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « ومسألة نسيان العبد للمنهيات التي يترتب عليها عقاب وعذاب أثارت عند الناس مشكلة في القضاء والقدر، فتسمع البعض يقول: ما دام أن الله تعالى كتب عليَّ هذا الفعل فَلِمَ يعاقبني عليه؟

ونعجب لهذه المقولة، ولماذا لم تَقُل أيضًا: لماذا يثيبني على هذا الفعل، ما دام قد كتبه عليَّ؟ لماذا توقفتَ في الأولى و(بلعت) الأخرى، بالطبع؛ لأن الأولى ليست في صالحك. إذًا عليك أن تتعامل مع ربك معاملة واحدة، وتقيس الأمور بمقياس واحد »[2].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ

---

(١) « شرح ثلاثة الأصول » لابن عثيمين (ص: ١١٧).

(٢) « تفسير الشعراوي » (١٥/ ٩٤١٧).

ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [المائدة: ٤١].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ...وقلنا من قبل: إنّ هناك إرادة كونية وإرادة شرعية، والإرادة الكونية هي ما يحدث في كون الله، ولا شيء قد حدث في كون الله غصبًا عن الله، والاختيار خلقه الله في الإنسان ليصير الإنسان مُخيرًا بين الكُفر والإيمان. ومادام الحق قد خلق الإنسان مُختارًا لهذا أو لذلك إذًا فهو سبحانه مُريد كَونِيًّا ما يصدر عن الإنسان اختيارًا كفرًا أو هدايةً. لكن أَمُريد هو سبحانه ذلك شرعًا؟ لا.

إن الشرع أمر سماوي، إما أن يُنفّذه العبد وإما أن يعصيه، ونعرف أن هناك أشياء مُرادة كونيًا وأشياء مُرادة شرعيًا، والمُراد الكوني هو الذي يكون، أما الإنسان فقد خلقه الله وله الاختيار، فالذي يسرق لا يسرق غصبًا عن الله ولكن ما أعطاه له الله من اختيار ومن طاقة، إما أن يوجهها إلى الخير وإما إلى الشر.

والإرادة الكونية هي كل ما يكون في ملك الله، والإرادة الشرعية هي كل ما يكون في شرع الله « افعل ولا تفعل ». ومادام هناك أمرٌ كوني شرعي فالكون قد أوجده الله لخدمة المؤمن والكافر والعاصي، لكن الأمر الشرعي جعله الله للمؤمن.

إذًا فإيمان المؤمن أراده الله كَوْنًا؛ لأنه سبحانه قد وضع الإيمان منهجًا، وأراد الله إيمان المؤمن شرعًا، وكفر الكافر لم يتم غصبًا عن الله، ولكن الإنسان بخلقِه مختارًا، صار كُفره أمرًا كونيًا، ولكنه غير مُراد شرعًا، فكفر الكافر مُراد كونًا غير مُراد شرعًا. وإيمان الكافر غير مُراد كونًا وكفر المؤمن غير مُراد كونًا. وبهذا نكون أمام أربعة أقسام في المُراد كونًا وشرعًا. وهذه هي القسمة العقلية.

إذًا: من يُرِد الله فتنته كونًا فلا راد لإرادة الله؛ فإذا لم يُطِعِ الشرع، فذلك لأنه مخلوق صالح للطاعة وصالح للمعصية... هذا هو الفارق بين المُراد كونًا والمُراد شرعًا، وبين المُراد كونًا لا شرعًا، والمُراد شرعًا لا كونًا »[1].

- يرى الباحث أن الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وافق هنا أهل السنة في تقسيم الإرادة إلى كونية وشرعية؛ وضرب أمثلة صائبة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وكل مسرف على نفسه في عدم اتباع منهج الله يقول: إن ربنا هو الذي يهدي وهو الذي يضلّ، ويقول ذلك بتبجح ووقاحة لتبرير ما يفعل من سفه. وسيظل المسرفون على أنفسهم وكذلك المشركون يقولون ذلك وسيحاولون تحليل ما حرّم الله. وقد جاء المشركون بقضيتين: قضية في العقيدة، وقضية في التكليف؛ قالوا في قضية العقيدة: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾، وكأنهم أشركوا بمشيئة الله. وجاءوا إلى ما حرموا من حلال الله وقالوا إنهم قد فعلوا ذلك بمشيئة الله أيضًا؛ ليوجدوا لأنفسهم مبررًا، وهذا القول ليس قضية عقلية؛ لأنها لو كانت وقفة عقلية لكانت في الملحظين: الخير والشر، فالواحد منهم يقول: كتب ربنا علينا - والعياذ بالله - الشر، لماذا يعذبني إذن؟! ولا يقول هذ الإنسان: « وكتب الله لِيَ الخير ». هذا ما كان يفرضه ويقتضيه المنطق لكنهم تحدثوا عن الشر وسكتوا عمَّا يعطى لهم من خير.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٥/ ٣١٤٣-٣١٤٤).

وقولهم: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا﴾ صحيح المعنى؛ لأنه سبحانه لو شاء أن يجعل الناس كلهم مهديين لفعل، لكنه شاء أن يوجد لنا اختيارًا، وفي إطار هذا الاختيار لا يخرج أمر عن مشيئته الكونية، بل يخرج الكفر والشر عن مراده الشرعي. وعلمنا من قبل أن هناك فرقًا بين الكونية والشرعية؛ فكفر الكافر ليس غصبًا عن الله أو قهرًا عنه سبحانه، إنما حصل وحدث بما أعطاه الله لكل إنسان من اختيار، فالإنسان صالح للاختيار بين البديلات: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ...﴾ [الكهف: ٢٩]، فالإنسان قادر على توجيه الطاقة الموهوبة له من الله الصالحة للخير أو الشر.

إذًا: فاختيار الإنسان إما أن يدخله إلى الإيمان وإما أن يتجه به إلى الكفر، لذلك يقول الحق عن الذين يدَّعون أن كفرَهم كان بمشيئة الله: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ ...﴾ والسابقون لهم قالوا ذلك وفعلوا مثل ما يفعل هؤلاء من التكذيب؛ وجاءهم بأس وعذاب من الله شديد... »[١].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا موافق لاعتقاد أهل السنة في (**المشيئة**).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ثم يورد الحق سبحانه قولهم: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ﴾: إنهم هنا يدافعون عن

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٧/ ٣٩٧٨-٣٩٧٩).

أنفسهم، وهذه هي الشمّاعة التي يُعلّق عليها الكفار خطاياهم، شماعة أن الله كتب علينا وقضى بكذا وكذا.

فيقول المسرف على نفسه: ربُّنا هو الذي أراد لي كذا، وهو الذي يهدي، وهو الذي يُضل، وهو الذي جعلني أرتكب الذنوب، إلى آخر هذه المقولات الفارغة من الحق والنهاية؛ فلماذا يعذبني إذًا؟

وتعالوا نناقش صاحب هذه المقولات، لأن عنده تناقضًا عقليًا، والقضية غير واضحة أمامه. . ولكي نزيل عنه هذا الغموض نقول له: ولماذا لم تقُل: إذا كان الله قد أراد لي الطاعة وكتبها عليَّ، فلماذا يثيبني عليها.. هكذا المقابل.. فلماذا قُلت بالأولى ولم تقُل بالثانية؟ !

واضح أن الأولى تجرُّ عليك الشر والعذاب، فوقفت في عقلك.. أما الثانية فتجرُّ عليك الخير، لذلك تغاضيت عن ذِكرها.

ونقول له: هل أنت حينما تعمل أعمالك.. هل كلها خير؟ أم هل كلها شَرّ؟ أَمَا منها ما هو خير، ومنها ما هو شر؟

والإجابة هنا واضحة. إذن: لا أنت مطبوع على الخير دائمًا، ولا أنت مطبوع على الشرِّ دائمًا، لذلك فأنت صالح للخير، كما أنت صالح للشر. إذًا: هناك فَرق بين أن يخلقك صالحًا للفعل وضِدّه، وبين أن يخلقك مقصورًا على الفعل لا ضده، ولما خلقك صالحًا للخير وصالحًا للشر أوضح لك منهجه وبيَّنَ لك الجزاء، فقال: اعمل الخير؛ والجزاء كذا، واعمل الشر؛ والجزاء كذا، وهذا هو المنهج.

ويحلو للمسرف على نفسه أن يقولَ: إن الله كتبه عليَّ، وهذا عجيب، وكأنِّي به قد اطَّلع على اللوح المحفوظ ونظر فيه، فوجد أن الله كتب عليه أن يشرب الخمر مثلًا فراحَ فشربها؛ لأن الله كتبها عليه.

ولو أن الأمر هكذا لكنتَ طائعًا بشُربك هذا، لكن الأمر خلاف ما تتصور، فأنت لا تعرف أنها كُتِبت عليك إلا بعد أن فعلتَ، والفعل منك مسبوق بالعزم على أن تفعلَ، فهل اطلعتَ على اللوح المحفوظ ...؟.

وانتبه هنا واعلم أن الله تعالى كتب أزلًا؛ لأنه علم أنك تفعل أجلًا، وعِلمُ الله مُطلقٌ لا حدودَ له.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: إذًا: لا حُجَّة لهؤلاء الذين يُعلِّقون إسرافهم على أنفسهم على شماعة القدر، وأن الله تعالى كتب عليهم المعصية؛ لأننا نرى حتى من المسلمين مَن يتكلم بهذا الكلام، ويميل إلى هذه الأباطيل، ومنهم مَن تأخذه الجَرأة على الله عَزَّ وَجَلَّ فيُشبِّه هذه القضية بقول الشاعر:

أَلقَاهُ فِي اليَمِّ مَكتُوفًا وَقَالَ لَهُ ... إِيَّاكَ إِيَّاكَ أن تبتلَّ بالماءِ

وما يفعل هذا إلا ظالم!! تعالى الله وتنزَّه عن قَول الجُهَّال والكافرين. وأيضًا هناك مَن يقول: إن الإنسان هو الذي خلق الفعل، ويعارضهم آخرون يقولون: لا بل رَبَّنا هو الذي يخلق الفِعل.

نقول لهم جميعًا: افهموا، ليس هناك في الحقيقة خلافٌ.. ونسأل: ما هو الفعل؟ الفعل توجيه جارحة لحدثٍ، فأنت حينما تُوجِّه جارحة لحدثٍ، ما الذي فعلته أنت؟ هل أعطيتَ لليد مثلًا قوة الحركة بذاتها؟ أم أن إرادتك هي التي وجَّهَت حركتها؟

والجارحة مخلوقة لله تعالى، وكذلك الإرادة التي حكمت على الجارحة مخلوقة لله أيضًا. إذًا: ما فعلته أنت ما هو إلا أن وجَّهتَ المخلوق لله إلى مَا لا يحب الله في حالة المعصية، وإلى ما يحبه الله في حالة الطاعة.

كذلك لا بُدَّ أن نلاحظ أن لله تعالى مرادات كونية ومرادات شرعية؛ فالمراد الكونيّ هو ما يكون فِعلًا، كُلُّ ما تراه في الكون أراد الله أن يكون، والمراد الشرعي: هو طَلَبُ الشيء لمحبوبيته.

ولنأخذ مثلًا لتوضيح ذلك: كُفر الكافر، أراد الله كَونيًا أن يكون، لأنه خلقه مختارًا وقال: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ... ﴾ [الكهف: ٢٩]، وطالما خلقك الله مختارًا تستطيع أن تتوجه إلى الإيمان، أو تتوجه إلى الكفر، ثم كفرتَ. إذن: فهل كفرتَ غَصبًا عنه وعلى غير مُراده ﷻ؟ حاشا لله، ومعنى ذلك: أن كُفر الكافر مُراد كونيّ، وليس مرادًا شرعيًا.

وبنفس المقياس يكون إيمان المؤمن مُرادًا كونيًا ومُرادًا شرعيًا، أما كفر المؤمن، المؤمن حقيقة لم يكفر. إذن: هو مراد شرعي وكذلك مراد كوني، وهكذا، فلا بُدَّ أن نُفرِّق بين المراد كونيًا والمراد شرعيًا ... »[١].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رحمه الله هنا جميل ومفيد، ولا توجد ملاحظة عقائدية؛ والله أعلم.

---

(١) تفسير الشعراوي (١٣/ ٧٩٠٤-٧٩١٠).

المبحث الرابع
الهداية

الهدى لغة:

الهدى والهداية مصدران لقولهم: هدى يهدي، وهما مأخوذان من مادّة (هـ د ى) التي تدلّ على أصلين:

أحدهما: التّقدّم للإرشاد، والآخر: بَعْثَةُ لَطَفٍ، فالأوّل قولهم: هديته الطّريق هداية، أي: تقدّمته لأرشده، وكلّ متقدّم لذلك هاد، ويتشعب هذا المعنى فيقال: الهدى خلاف الضّلالة، ومن الباب قولهم: نظر فلان هدي أمره؛ أي: جهته، وما أحسن هديته؛ أي: هديه.

والأصل الآخر: الهديّة: وهي ما أهديت من لطف إلى ذي مودّة، يقال: أهديت أهدي إهداء.

ومن الباب الهدي والهديّ: ما أهدي من النّعم إلى الحرم قربة إلى الله تعالى[1].

وقال الرّاغب الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « الهداية دلالة بلطف، من ذلك هوادي الوحش؛ أي: متقدّماتها الهادية لغيرها، وخصّ ما كان دلالة بـ« هديت » وما كان إعطاء بأهديت، والهدى والهداية في موضوع اللّغة واحد، لكن قد خصّ الله عَزَّ وَجَلَّ لفظة الهدى بما تولّاه وأعطاه واختصّ هو به دون ما هو إلى الإنسان، نحو قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]، والاهتداء يختصّ بما يتحرّاه الإنسان على طريق الاختيار إمّا في الأمور

---

(١) « مقاييس اللغة » لابن فارس (٦/ ٤٢).

الدّنيويّة أو الأخرويّة، كما في قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ﴾ [الأنعام: ٩٧]، وقوله ﷻ: ﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣]. ويقال: المهتدي لمن يقتدي بعالم كما في قوله سبحانه: ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـًٔا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤]؛ تنبيهًا إلى أنّهم لا يعلمون بأنفسهم ولا يقتدون بعالم ».

وقال الجوهريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الهدى: الرّشاد والدّلالة؛ يؤنّث ويذكّر، يقال: هداه الله للدّين هدى، والهدى في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ [السجدة: ٢٦]؛ أي: لم يبيّن لهم، والهداء مصدر قولك: هديت المرأة إلى زوجها هداء وقد هديت إليه، ويقال: هدى هدي فلان؛ أي: سار سيرته، وفي الحديث: واهدوا هدي عمّار (أي: سيروا سيرته)، والتّهادي أن يهدي بعضهم إلى بعض، وفي الحديث: « تهادوا تحابّوا ».

وقال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو من هداه يهديه هدى وهديًا وهداية وهدية. والهدى: ضدّ الضّلال، وهو الرّشاد والبيان، لازم ومتعدّ، يقال: هداه الله الطّريق وهي لغة الحجاز. ولغة غيرهم يتعدّى بالحرف فيقال هداه إلى الطّريق وللطّريق؛ أي: بيّنه له وعرّفه به. وهداه الله إلى الإيمان وللإيمان؛ أي: أرشده إليه.

وهدي هدي فلان: سار سيرته، وهدى فلانًا: تقدّمه. وهدى الشّيء تهدية، وهو لا يهدّي إلّا أن يهدى؛ أي: لا يقدر أن ينتقل عن مكانه إلّا أن ينقلوه. ومعنى لا يهدّي: لا يهتدي. والهدى: مؤنّث ويذكّر، يقال: هو على الهدى، وسل الله الهدى؛ أي: الدّلالة على الرّشاد. والهدى: النّهار أيضًا »[1].

---

(١) « مقاييس اللغة » لابن فارس (٦/ ٤٢- ٤٣)، و« المفردات » للراغب (٥٤٠) وما بعدها، و« الصحاح » (٦/ ٢٥٣٣).

الهدى اصطلاحًا:

قال الرّاغب الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « الهداية دلالة بلطف، فإن قيل: كيف جعلت الهداية دلالة بلطف وقد قال تعالى: ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾[الصافات: ٢٣]؛ قيل: استعمال اللّفظ في ذلك على سبيل التّهكّم مبالغة في المعنى كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: ٣٤].

وقال الجرجانيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الهداية: الدّلالة على ما يوصّل إلى المطلوب[1]. وقيل: هي سلوك طريق يوصّل إلى المطلوب. والملاحظ هنا أنّه أضاف قيد « التّوصيل إلى المطلوب » وحذف قيد « كونها بلطف ». وقد جمع المناويّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين كلّ من الرّاغب والجرجانيّ فقال: الهداية: دلالة بلطف إلى ما يوصّل إلى المطلوب[2].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « الهداية: الإرشاد والتّوفيق، وقد تعدّى الهداية بنفسها؛ كما في قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[الفاتحة: ٦]، فتضمّن: معنى: ألهمنا أو وفّقنا أو ارزقنا أو أعطنا. و﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[البلد: ١٠]؛ أي: بيّنّا له الخير والشّرّ.

وقد تعدّى بـ (إلى) كما في قوله تعالى: ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[النحل: ١٢١]، وذلك بمعنى الإرشاد والدّلالة.

وقد تعدّى باللّام كقول أهل الجنّة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾[الأعراف: ٤٣]؛ أي: وفّقنا واجعلنا له أهلًا »[3].

---

(١) « التعريفات » للجرجاني (ص: ٢٧٧).

(٢) « التوقيف على مهمات التعاريف » لعبد الرؤوف المناوي (ص: ٣٤٣).

(٣) « تفسير القرآن العظيم » (١/ ٢٩)، وانظر: « عمدة التفسير » (ص: ٨٠).

مَراتِب الهداية:

يَسبِق إلى أفهام كثيرٍ من النَّاس أن الله تعالى اختَصَّ بعض عباده بالهداية، وحرَم آخَرين حقًّا من حُقوقِهم، ولو أراد الله أن يهدِيَهم لهداهم، بل يحتَجُّون بالقدر لما يصدر عنهم من كفر أو معصية أو تقصير، زاعِمين أن مَشِيئة الله نافذة وغالبة، بل يحتَجُّون على تَواكُلهم وتَقصِيرهم عن الواجب وتغيير ما بأنفسهم بآيات من القرآن الكريم يقطعونها من سياقها ولا يفهمون معناها؛ من ذلك قول الله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: ١٣]، وهذا مصدر خطأ كبير في فَهمِ مسألة سبق القضاء بالهداية والضَّلاَل. والقرآنُ يُوضِّح لنا ما في هذه القضيَّة من لبس حين نَعرِف أنَّ الهداية الوارِدَة في القرآن الكريم على أنواع.

وهذه المسألة - مسألة الهُدَى والضَّلال - هي قلب أبواب القدر ومسائله، فإن أفضل ما يقدره الله للعبد هو الهُدَى؛ فهو من أعظم النِّعَم، وأعظم ما يبتَلِيه به ويقدره عليه هو الضَّلال. وقد اتَّفقَت رسل الله جميعًا وكذلك كتبه المنزلة على أن الله يُضِلُّ مَن يشاء ويهدي مَن يشاء، فالهدى والإضلال بيده لا بيد العبد، أمَّا طلب الهداية والسعي إليها من طلب العبد وكسبه.

لذلك كان من الضروري ذكر مَراتِب الهداية كما وردَت في القرآن الكريم، وتتلخَّص في أربع مَراتِب، هي:

١ - الهداية العامَّة.

٢ - هداية الدلالة والبيان، والإرشاد والتعليم.

٣ - هداية التوفيق والمعونة.

٤ - الهداية إلى الجنَّة والنَّار يوم القيامة.

المرتبة الأولى: الهداية العامَّة:

وهي هداية عامَّة لجميع الكائنات، فالله قد هَدَى كلَّ نفس إلى ما يُصلِح شأنها ومعاشها، وفطَرَها على جلب النافع، ودفع الضارِّ عنها، وهذه أعمُّ مَراتِب الهداية.

والله ﷻ يقول: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ١-٣]، وفيها ذَكَرَ الله أربعة أمور عامَّة وهي: الخلق، والتسوِيَة، والتقدير، والهداية، وجعَلَ التسوِيَة من تَمام الخلق، والهداية من تَمام التقدير، وبذلك تكُون التسوِيَة والهداية كمالَين للخلق والتقدير؛ ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧].

فالخلق والتسوِيَة يشمَل الإنسان وغيره؛ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧]، ومن أمثلة ومعاني الهداية العامَّة الخاصَّة بالتسوِيَة والتقدير للمخلوقات عامَّة: الإنسان والحيوان، والطير والدوابُّ، فإن الله قد خَلَقَ الذكر والأنثى، فهَدَى الذكر للأُنثَى كيف يأتِيها، واختِلاف ذُكران الحيوان لإناثه مُختَلِف لاختِلاف الصور والخلق والهيئات، فلولا أنه - سبحانه - جعَلَ كلَّ ذكر على معرفة كيف يأتي أنثى جِنسِه لما اهتَدَى لذلك، أو هَداه لِمَعاشِه ومَرعَاه، وكذلك تقديره - سبحانه - للجَنِين في الرَّحِم ثم هَداه للخُروج.

وأنواع الهداية كثيرةٌ لا يُحصِيها إلا الله؛ مثل: هداية النحل إلى سلوك السُّبُل التي فيها مَراعِيها على تبايُنِها واختلافها، ثم عودها إلى بيوتها من الشجر والجبال وما يعرش بنو آدم؛ ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [النحل: ٦٨]، وكذلك هدايته – سبحانه – للنملة كيف تخرج من بيتها وتطلُب قُوتَها من هنا وهناك، وكيف خاطبَت أصحابها، وأمرَتهم بأن يدخلوا مساكنهم؛ ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: ١٨].

ومن أثر هذه الهداية الفطرية أنها قادَت كلَّ كائن إلى الاعتِراف برَبِّه وذكره؛ قال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وهذا النوع من الهداية – العامَّة الفطريَّة – مُقتَرِنة بالخلق في الدلالة على الربِّ – تبارَك وتعالى – وأسمائه وصفاته وتوحيده؛ ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠]، وهذا نظير قوله: ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى: ٣]، وهذا الخلق وهذه الهداية من آيات الربوبية والوحدانية، ومن المُلاحَظ أنَّ الجمع بين الخلق والهداية العامَّة قد جاء في القرآن كثيرًا؛ ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١-٥]، ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [الرحمن: ١-٤]، ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ [البلد: ٨-١١]، ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل: ٦٣].

المرتبة الثانية: هداية الدلالة والبيان والإرشاد:

وهذا النوع هو وظيفة الرسل والكتب المنزلة من السماء، وهو خاصٌّ بالمكلَّفين، وهذه الهداية هي التي أثبتَها لرسوله ﷺ بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، كما أنَّ هذا النوع من الهداية أخصُّ من التي قبلها، فهي مصدر التكليف ومَناطُه، وبها تقوم حُجَّة الله على عِباده؛ فإن الله تعالى لا يُدخِل أحدًا النار إلا بعد إرسال الرسل الذين يُبيِّنون للناس طريق الغيِّ من الرشاد: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: ٥٧]، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]، يقول ابن كثير: «أي: إنه تعالى أنزَل كتبه وأرسَلَ رسله بالبشارة والنِّذارة، وبيَّن ما يحبُّه ويَرضاه ممَّا يكرهه ويأباه؛ لئلاَّ يبقى لمُعتذِر عذر؛ ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه: ١٣٤].

وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «... **لا أحدَ أحبُّ إليه العذر من الله؛ من أجل ذلك بعَثَ النبيِّين مُبَشِّرين ومُنذِرين**»[(١)].

والله تعالى لم يمنع أحدًا هذه الهداية، ولم يَحُل بين أحدٍ من خلقه وبين هذه الهداية، بل خلَّى بينهم وبينها، ومَنَحَهم من الوَسائل والأدوات التي تُساعِدهم على تقبُّلها والاستِفادة بها؛ كالعقل والفطرة، وأقام لهم بذلك أسباب الهداية

---

(١) البخاري (٩/ ١٢٣)، ومسلم (٢/ ١١٣٦).

ظاهرة وباطنة، ومَن حرَمَه من خلقه بعضًا من هذه الأدوات والوسائل؛ كزوال العقل أو الصِّغَر أو المرض فقد حطَّ عنه من التكاليف بحسب ما حرَمَه من ذلك؛ قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ.. ﴾[النور: ٦١]، وقال ﷺ: « **رُفعَ القلَمُ عن ثلَاثٍ: عنِ النَّائمِ حتَّى يستَيقظَ، وعنِ المعتُوهِ حتَّى يعقلَ، وعن الصَّبيِّ حتَّى يَشِبَّ** »[1]، كما اتَّفق رِجال الأصول على أنه: « إذا أَخذَ ما وهب انقَطَع ما وجب ».

وهذه الهداية لا تستَلزِم حُصُولَ التوفيق واتِّباعَ الحقِّ من العِباد؛ بدليل أنَّ بعض الناس آمَن بدعوة الرسل وبعضهم كفر بها، ولكنَّها سبب في حصول الاهتِداء، والسبب هنا قد اكتَمَل بإرسال الرسل ووصول دعوة وبلاغ الرسل إلى أُمَمِهم، فلا نقص إذًا في السبب، إنما النقص يرجع إلى العبد الذي لم يَقبَل ولم يَنتَفِع بما جاءَت به الرسل بسبب فساد الفطرة وطغيان المادة؛ قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [فصلت: ١٧]، ﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾؛ أي: بَيَنَّا لهم ودعوناهم ووضَّحنا لهم الحقَّ على لسان نبيِّهم صالح، فاستحبُّوا العَمَى على الهدى؛ أي: فخالَفُوه وكذَّبُوه وعَقَروا ناقة الله تعالى التي هي برهان على صدق نبيِّهم، فَعدَمُ الاهتِدَاء واقِعٌ بسبب القُصُور الحادِث في المحلِّ القابِل للأثر وهو الإنسان، وليس في قُصُور السبب، فكانت النتيجة أن أضلَّهم الله عقوبة على ترك الاهتِداء وعدم الاستِجابة لما جاءَت به الرسل.

---

(١) المستدرك للحاكم (٤/ ٤٣٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٥٩).

وهذا شأن الله في كلِّ نعمة أنعَمَ بها على عباده إذا كفروا؛ فإنه يسلبها منهم بعد أن كانَت حظًّا لهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣]، والقرآن الكريم قد قصَّ علينا ما كان من الأُمَم التي أرسل الله إليها رسلًا فلم تستَفِد بهَديهم؛ فقال يصف حالهم في نار جهنم: ﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك: ٨-٩].

فالذي حدث من الله هو الهدايةُ، وكان من العبد التكذيبُ والضلال، رغم أنه كان في مَقدُورِه أن يَتَّبع الرسول ويُؤمِن بما جاء به، وليس ذلك شيئًا خارجًا عن قدرته أو فوق طاقته، ففي مثل هذه الحالة فإن الله يُخلِّي بين العبد ونفسه، والنفس بطبعها أمَّارة بالسوء إلا ما رحم ربي، فإذا وُكِل الإنسان إلى نفسه قادَته إلى الهلاك، وهو بذلك يكون قد قُطِع عنه تَوفِيقُه، ولم يُرِد الله أن يُعِينَه على نفسه ليُقبِل بقلبه إلى الله، وهو - سبحانه - إذا فعَل ذلك بأحدٍ من خلقه فليس ظالمًا؛ لأنه لم يسلبْه حقًّا له، ولم يمنَعْه من الدلالة أو البيان، وهذا في مَقدُور العبد فعله، ولكنَّه حرَمَه التوفيق والسداد عدلًا منه في خلقه.

المرتبة الثالثة: هداية التوفيق والإلهام والمعونة:

وهذه المرتبة أخصُّ من التي قبلها، فهي هداية خاصَّة تأتي بعد هداية البيان؛ تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ﴾ [مريم: ٧٦]، فلا تكون لملك مُقرَّب ولا نبي مُرسَل، إنما هي خاصَّة بالله وحدَه، فلا يقدر عليها إلا هو، ولا يُعطِيها إلا لِمَن حقَّق شروطها واستَوفَى أسبابها.

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[المائدة: ١٥-١٦].

وهذا النوع من الهداية هو الذي نَفَاه الله عن نبيِّه ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[القصص: ٥٦]، ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾[النحل: ٣٧].

وهذا النوع من الهداية يستَلزِم أمرَين:

أحدهما: فعل الربِّ - تعالى - وهو الهدى، بخلق الداعية إلى الفعل والمشيئة له.

الثاني: فعل العبد، وهو الاهتِداء، وهو نتيجةٌ للفعل الأول « الهدى »؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٧٣]، ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف: ١٧]، ولا سبيل إلى وجود الأثر الذي هو الاهتِداء من العبد إلا بعد وجود المؤثِّر الذي هو الهداية من الله، فإذا لم يحصل فعل الله لم يحصل فعل العبد، وهذا النَّوعُ من الهداية لا يقدر عليه أحدٌ إلا الله - سبحانه - قال أهل الجنة: « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ».

كما أنَّ هذا النوع من الهداية هو الذي نَفَاه القرآن عن الظالمين والفاسقين والكاذبين والمسرف المرتاب، وكلُّ آية في القرآن وردَت في نفي الهُدَى فيجب حملها على هذا النوع؛ لأن هذا فضله يختصُّ به مَن يشاء من عباده، ولا حرج في ذلك.

المرتبة الرابعة: مرتبة الهداية إلى الجنة والنار يوم القيامة:

وهذه المرتبة - وهي آخِر مراتِب الهداية - وهي الهداية يوم القيامة إلى طريق الجنة، وهو الصراط المُوصِل إليها، فمَن هُدِي في هذه الدار الدنيا إلى صراط الله المستقيم الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه، هُدِي يوم القيامة إلى الصراط المستقيم، المُوصِل إلى جنَّته ودار ثوابه، وعلى قدر ثُبُوت قدم العبد وسَيرِه على هذا الصراط الذي نصَبَه الله لعباده في هذه الدار الدنيا، يكون ثُبُوت قدمه وسيُره على الصراط المنصوب على متن جهنم؛ قال تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٢-٢٣]، ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٤-٦]، فهذه هداية بعد قتلهم؛ ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ أي: إلى الجنة، وذلك يفسِّره قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩]، ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ أي: أمرَهم وحالَهم ويَعصِمهم أيَّام حياتهم في الدنيا، ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾؛ أي: عرَّفهم بها وهداهم إليها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وبذلك نحقق قول الله: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ونعرف أن الهداية معناها الأمر الموصل للغاية، وحين ترد الهداية من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فعلينا أن نفهم أن

الهداية من الله ترد على معنيين: المعنى الأول: هو الدلالة على الطريق الموصل، والمعنى الثاني: هو المعونة.

وضربت من قبل المثل بشرطي المرور الذي يدلك على الطريق الموصل إلى الغاية التي تريدها، فإن احترمت كلامه ونفذته فهو يعطي لك شيئًا من المعونة، بأن يسير معك أو يوصلك إلى المكان الذي تريد. فما بالنا بالحق ﷻ وله المثل الأعلى؟ إنه يهدي الجميع بمعنى يدلهم، فالذين آمنوا به وأحبوه يهديهم هداية أخرى، وهي أن يعينهم على ما أقاموا نفوسهم فيه. وبعضنا يدخله العجب عندما يسمع قول الحق: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [فصلت: ١٧-١٨].

بعضنا يتعجب متسائلًا: كيف يقول سبحانه: إنه هداهم، ثم استحبوا العمى على الهدى؟ ونقول: إن « هداهم » جاءت هنا بمعنى « دلّهم » لكنهم استحبوا العمى على الهدى، أما الذين استجابوا لهداية الدلالة وآمنوا فقد أعانهم الله وأنجاهم؛ لأنهم عرفوا تقواه سبحانه.

ونحن نسمع بعض الناس يقولون: ما دام الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم فما ذنب الذي لم يهتد؟ نقول: إن الحق يهدي من شاء إلى صراط مستقيم؛ أي يبين الطريق إلى الهداية، فمن يأخذ بهداية الدلالة يزده الله بهداية المعونة وييسر له ذلك الأمر. ونحن نعلم أن الله نفى الهداية عن رسول الله ﷺ في آية، وأثبتها له في آية أخرى برغم أنه فعل واحد لفاعل واحد. قال الحق نافيًا الهداية عن الرسول ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص: ٥٦]، والحق يذكر للرسول ﷺ الهداية في موضع آخر فيقول له: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢].

ومن هنا نفهم أن الهداية نوعان: هداية الدلالة، فهو « يهدي »؛ أي: يدل الناس على طريق الخير. وهناك هداية أخرى معنوية، وهي من الله ولا دخل للرسول ﷺ فيها، وهي هداية المعونة.

إذًا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ معناها: أنك تدل على الصراط المستقيم، ولكن الله هو الذي يعين على هذه الهداية. ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فعلينا أن نستحضر الآيات التي شاء الله أن يهدي فيها مؤمنًا وألا يهدي آخر.

ويقول الحق سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤]؛ معنى ذلك: أن الله لا يهدي إلا الذين آمنوا به. وهدايته للمؤمنين تكون بمعونتهم على الاستمرار في الهداية؛ فالكل قد جاءته هداية الدلالة ولكن الحق يختص المؤمنين بهداية المعونة. والحق يقول في ذلك: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩]: إنّ الحق يوضح لنا المقارنة بين الذي يؤسس بنيان حياته على تقوى من الله ابتغاء الخير والجنة، وهو الذي جاءته هداية الدلالة فاتبعها، فجاءته هداية المعونة من الله، وبين ذلك الذي يؤسس بنيان حياته على حرف واد متصدع آيل للسقوط فسقط به البنيان في نار جهنم، إنه الذي جاءته هداية الدلالة فتجاهلها، فلم تصله هداية المعونة، ذلك هو الظالم المنافق الذي يريد السوء بالمؤمنين. والحق تبارك وتعالى يقول: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠].

إنّ الحق يبلغ رسوله أنه مهما استغفر للمنافقين الذين يُظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر فلن يغفر الله لهم، لماذا؟ لأن هداية الدلالة قد جاءت لهم فادَّعوا أنهم مؤمنون بها، ولم تصِلْهم هدايةُ المعونة؛ لأنهم يكفرون بالله ورسوله، والله لا يهدي مثل هؤلاء القوم الفاسقين الخارجين بقولهم عن منهج الله »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا في مسألة **(الهداية)** وافق السلف؛ وأنها نوعان: دلالة وتوفيق.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « ولقائل أن يقول: ما دام الله هو الذي يهدي فيجب أن نترك الناس على ما هم عليه من إيمان أو كفر، وما علينا إلا البلاغ، ونقول لأصحاب هذا الرأي: تنبهوا إلى معطيات القرآن فيما يتعلق بقضية واحدة، هذه القضية التي نحن بصددها هي الهداية، ولنستقرئ الآيات جميعًا، فسنجد أن الذين يرون أن الهداية من الله، وأنه ما كان يصح له أن يعذب عاصيًا، لهم وجهة نظر، والذين يقولون: إن له سبحانه أن يعذبهم؛ لأنه ترك لهم الخيار لهم وجهة نظر، فما وجهة النظر المختلفة حتى يصير الأمر على قدر سواء من الفهم؟

إن الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حينما يتكلم في قرآنه الكلام الموحَى، فهو يطلب منا أن نتدبره، ومعنى أن نتدبره: ألا ننظر إلى واجهة النص، ولكن يجب أن ننظر إلى خلفية النص.

(١) « تفسير الشعراوي » (٢/ ٩١٠-٩١٢).

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ﴾ يعني لا تنظر إلى الوجه، ولكن انظر ما يواجه الوجه وهو الخلف. ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء: ٨٢]؛ فالحق ﷻ قد قال: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [فصلت: ١٧] كيف يكون الله قد هداهم، ثم بعد ذلك يستحبون العمى على الهدى؟ إذن معنى «هداهم»، أي: دلهم على الخير. وحين دلَّهم على الخير فقد ترك فيهم قوة الترجيح بين البدائل، فلهم أن يختاروا هذا، ولهم أن يختاروا هذا، فلما هداهم الله ودلَّهم استحبوا العمَى على الهدى. والله يقول لرسوله في نصين آخرين في القرآن الكريم: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص: ٥٦]؛ فنفى عنه أنه يهدي، وأثبت له الحقُّ الهدايةَ في آية أخرى يقول فيها: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢].

فكيف يثبت الله فعلًا واحدًا لفاعل واحد ثم ينفي الفعل ذاته عن الفاعل ذاته؟ نقول لهم: رسول الله ﷺ يدلُّ الناس على منهج الله ولكن ليس عليه أن يحملهم على منهج الله؛ لأن ذلك ليس من عمله هو، فإذا قال الله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى ﴾؛ أي: لا تحمل بالقصر والقهر من أحببت، وإنما أنت «تهدي»؛ أي: تدلُّ فقط، وعليك البلاغ وعلينا الحساب.

إذًا؛ فقول الحق: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ ليس فيه حجة على القسرية الإيمانية التي يريد بعض المتحللين أن يدخلوا منها إلى منفذ التحلل النفسي عن منهج الله، ونقول لهؤلاء: فيه فرق بين هداية الدلالة وهداية المعونة، فالله يهدي المؤمن ويهدي الكافر، أي: يدلهم، ولكن من آمن به يهديه هداية المعونة، ويهديه هداية التوفيق، ويهديه هداية تخفيف أعمال الطاعة عليه »[١].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٢/ ١١٧٥-١١٧٦).

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رحمه الله هنا وافق السلف في أنّ أنواع الهداية؛ توفيق وإرشاد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ١٩].

قال الشعراوي رحمه الله: « ثم يذيّلُ الحق سبحانه وتعالى الآية الكريمة بقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وهذه أوجدت الحل لمشكلات متعددة يثيرها بعض الناس حول الهداية، وكيف أنها من الله سبحانه وتعالى وليست من العبد لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦].

نقول: نعم، إن مشيئة الهدى من الله سبحانه وتعالى، لكنه سبحانه قد أوضح لنا من لا يدخلهم في مشيئة هديه، فقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ١٩].

وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ١٠٨].

وقد ذكر الحق سبحانه وتعالى هذه الحقائق في الكثير من آيات القرآن الكريم.

وبعض الناس يقول: إنَّ الهدى من الله، ولو أن الله هداني ما قتلت، وما سرقت وما ارتشيت!، ونقول: هذا فهم خاطئ، ولنرجع إلى القرآن الكريم، فالحق تبارك وتعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى﴾؛ أي: نفى ما يستوجب الهداية عمن ظلم أو فسق أو كفر؛ لأن الحق سبحانه لاَ يَهدِي من قام الكفر؛ أو قدم الظلم أو قدَّم الفسق؛ فكأن الكافر أو الظالم أو الفاسق، هو الذي يمنع الهداية عن نفسه.

ولو قدم الإنسان الإيمان لدخل في هداية الله تعالى، فكأن خروج الإنسان عن مشيئة هداية الله هي مسألة من عمل الإنسان وباختياره، فقد يختار الإنسان

طريق الغواية، ويترك طريق الهداية؛ لذلك لا يهديه الله؛ لأنه سبحانه لا يهدي إلا المؤمن به. وإن اختار الإنسان طريق الهداية، فالحق يعطيه المزيد من الهدى؛ لأنه آمن بالله؛ فاختار طريق الهداية، واستقبل منهج الله بالرضى. وهكذا نفهم قول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].

إذًا فالحق يهدي من استمع إلى القرآن بروح الإيمان، واستقر في يقينه أن له ربًا، واعتقد أن له إلهًا، وقد فصلنا ذلك في مسألة القضاء والقدر، وقلنا: إن الذين يقرأون القرآن لفهم قضية الهداية عليهم أن يستقرئوا كل الآيات المتعلقة بالموضوع، فسبحانه وتعالى قد أوضح أنه لا يهدي الكافر، إذًا فهو يهدي المؤمن، وأوضح أنه لا يهدي الظالم، إذًا فهو يهدي العادل، وأوضح أنه جل وعلا لا يهدي الفاسق، إذًا فهو يهدي الطائع، فلا يقولن أحد: إن الله لم يشَأ أن يهديني؛ لأن هذا فهم خاطئ لمعنى الهداية من الله؛ فسبحانه وتعالى قد بيَّن لنا من شاء هدايته ومن شاء إضلاله، وهو يهدي من قدم أسباب الهداية، وأسلم مقاليد زمامه للإيمان، والله ﷻ يقول: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦]. ويقول أيضًا: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

إذًا، فالله أخبرنا مسبقًا بمن يستحق هدايته ومن لا يدخل فيها، وأنت باختيارك طريقك، إما أن تؤمن؛ فتدخل في الهداية، وإما أن تختار طريق الكفر والظلم والعياذ بالله؛ فتمتنع عنك الهداية.

فإذا جاء أحد يجادلك؛ ويقول لك: إن الله ﷻ قد قال: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [المدثر: ٣١]: لك أن تقول له: لقد بيَّن الله ﷻ من شاء له الهداية، ومن شاء له الضلال.

ولقد ضربنا لذلك مثلًا - ولله المثل الأعلى - فقلنا: إن الهداية قد وردت في القرآن الكريم على معنيين: المعنى الأول هو الدلالة على الطريق، وهذه هداية للجميع، فقد دل الله المؤمن والكافر على طريق الإيمان برسله وكتبه، أي: بيَّن لهم ما يرضيه وما يغضبه وما يوجب رحمته وما يوجب لعنته، فالهداية الأولى - إذن - وردت بمعنى الدلالة للجميع، أي: أنها هداية عامة. ثم هناك هداية ثانية خاصة للمؤمنين، وهي التي بيَّنها الله ﷻ في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ أي: أعانهم على منهجه؛ فيسَّر لهم الطاعة وصعَّب عليهم المعاصي، فإذا امتثل المؤمن لمنهج الله وأطاعه، فالحق ﷻ يشرح صدره بذلك، ويحبب الطاعة إليه؛ فيزداد طاعة. وإذا شرع في ارتكاب المعصية؛ بغَّضها له وجعلها ثقيلة على نفسه حتى يتركها.

ثم قال رحمه الله: إذًا فالحق سبحانه قد هدى المؤمن والكافر إلى طريق الإيمان، فمن اتخذ طريق الإيمان أعانه الله تعالى عليه. ومن اتخذ طريق الكفر - والعياذ بالله - تركه الله يعاني ويضل. ولذلك لا بد لنا أن نتذكر دائما أن الهداية هدايتان؛ هداية دلالة لكل الناس، وهداية معونة للمؤمنين فقط، وفي الدلالة العامة يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ [البلد: ١٠].

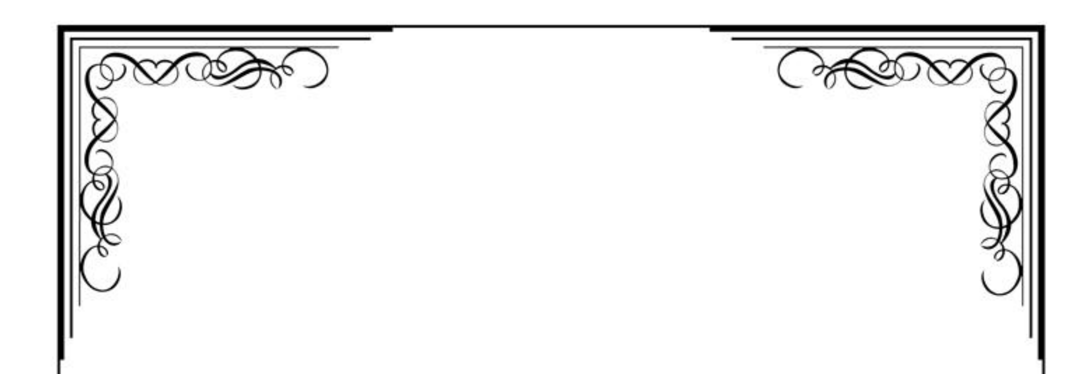
أما دلالة المعونة: فهي التي يقول فيها المولى ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾.

وما يكشف لنا أن الهداية عامة، أن الحق ﷻ حينما تكلم عن قوم ثمود وهم الذين بعث الله إليهم أخاهم صالحًا، قال سبحانه: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ [فصلت: ١٧] ولو كانت الهداية هنا بمعنى أنهم أصبحوا مهتدين، وسلكوا سبيل الإيمان ما قال الله سبحانه بعدها: ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾. إذن ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ في هذه الآية الكريمة معناها دللناهم على طريق الإيمان ولكنهم اختاروا طريق العمى والكفر »[1].

- يرى الباحث أن كلام الشيخ الشعراوي رحمه الله هنا في مسألة **(الهداية)** موافق لأهل السنة.

❁ ❁ ❁

(١) « تفسير الشعراوي » (٨/ ٤٩٦٦-٤٩٧٠).

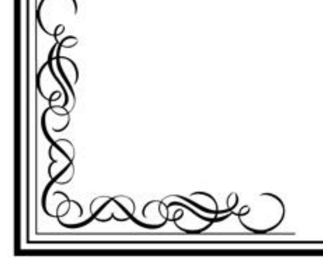


الخـــاتمة

وتشتمل على النتائج والتوصيات

أولًا: النتائج

ثانيًا: التوصيات




الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وأعانني على كتابة هذا البحث؛ وخلصت بأهم النتائج والتوصيات:

أولًا: النتائج:

من نتائج البحث: أن منهج الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ يتلخص فيما يلي:

- أولًا: في باب الإيمان بالله :

رغم أن الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ درس في معاهد وجامعة الأزهر – التي تُدرس العقيدة الأشعرية – إلا أنه رَحِمَهُ اللَّهُ كان أقرب لمذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات؛ ويثبتها على ظاهرها – مثل أهل السُنة والجماعة – من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، وكثيرًا ما يذكر بعدها قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى: ١١].

ويقول: « هذه الآية تُعلِّمنا كيف ننزه الله تعالى عن كل شبيه أو نظير أو مثيل، وتُعلِّمنا أن نأخذ كل وصف مشترك بين الحق وبين الخلق في هذا الإطار الإيماني »[(١)].

إلا أنه خالف أهل السنة في مسائل، إمَّا صراحةً أو مفهومًا، مع تجويزه للتأويل عمومًا.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٨/ ١٣٧٢٠).

قوله بعدم جواز السؤال عن الله بـ (**أين**)؛ فهذا لا يصح وهو من أقوال الأشاعرة، وقد ثبت هذا عن رسول الله ﷺ في حديث الجارية كما عند مسلم مرجع كلامه في آية الكرسي (ص ٩٩).

قوله في **الكرسي** أن السلف لهم فيه كلام وللخلف فيه كلام، فهذا غير صحيح؛ فإن الذي خالف السلفَ هم الأشاعرة والماتريدية، أما الخلف مثل شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره إلى عصرنا هذا لم يخالفوا السلف. انظر: (ص ٩٩-١٠٠).

قوله في إثبات صفة الكرسي فإنه أثبته على مذهب الأشاعرة بأن المقصود: وسع علمه ووسعت قدرته، فأوَّلَ (**الكرسي**) بالسلطان والقهر والغلبة والقدرة، وهذا باطل، والصواب أنه مخلوق حقيقي؛ بل قال بعض الصحابة وكذا التابعين وهو معتقد السلف الصالح: أنه موضع قدمي الله تعالى، كما ذكر ذلك ابن عباس و أبو موسى الأشعري وصححه الألباني. انظر: (ص ١٠٢).

وافق السلف في إثبات صفة **المحبة** لله لكنه لم يوافقهم في إثبات معناها، فمحبة الله تختلف عن محبة العبد في كون الثانية ميلًا قلبيًا في حين أن الأولى ليست كذلك، فلا يمكن التعبير عنها بالشغف والعشق ونحوها مما لا يليق في حقه سبحانه جل شأنه. انظر: (ص ١٣٥-١٣٦).

لم يوافق الشعراوي السلف في إثبات صفة (**الوجه**) لله تعالى وفسره بالذات في أكثر من موضع رغم أنه أثبته في بعض المواضع، وأهل السنة يثبتون الوجه لله في كل المواضع وجهًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف. انظر: (ص ١٤١-١٤٣).

ولم يوافق الشعراوي السلف في إثبات صفة **اليد** لله تعالى؛ فتارة يقر بأن له يدًا وتارة يقول بأن المراد بها النعمة أو القدرة ويميل لهذا؛ كما هو رأي الأشاعرة. انظر: (ص ١٤٤-١٤٧).

ولم يوافق الشعراوي السلف بإثبات صفة **الاستواء** لله تعالى، فتارة يوافقهم لكنه لا يخطيء الذين أوّلوا الاستواء بالاستيلاء كالأشاعرة. انظر: (ص ١٥٢-١٥٤).

وفي الجملة كان الشعراوي أقرب لأهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات لكنه يرى جواز التأويل وينكر على الذين ينكرون على من يؤول من السلف.

فالشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ يثبت ويؤمن بوجود الله تعالى، ويذكر الأدلة والبراهين للرد على المُنكرين، ويؤمن بربوبيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأنه المتفرد بالخلق والملك والتدبير، ويؤمن بأُلوهيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأنه لا إله غيره ولا معبود بحق إلا هو؛ فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُستحق للعبادة دون ما سواه.

أما في مسألة التوسل فقد أخطأ؛ حيث أنه يرى جواز التوسل الغير مشروع. ولكنه ذكر أن أفضل التوسل هو التوسل بالعمل الصالح.

ويرى جواز بناء المساجد على القبور (مثل الصوفية)؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾[الكهف: ٢١].

يقول الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: « لذلك قال بعضهم لبعض: ﴿ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ﴾ أي: مطلق البنيان، فعارضهم آخرون بأن البناء يجب أن يكون مسجدًا: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ

عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴾؛ ليكون موضعًا للسجود لله وللعبادة ليتناسب مع هذه الآية العظيمة الخالدة »[1].

فكلامه هذا فيه إشارة إلى عدم إنكاره لبناء المساجد على القبور؛ بل هو ممن يصرح بذلك في مقاطع منتشرة له في (اليوتيوب).

يقول القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فاتخاذ المساجد على القبور والصلاة فيها والبناء عليها، إلى غير ذلك مما تضمنته السنة من النهي عنه ممنوع لا يجوز، لما روى أبو داود والترمذي عن ابن عباس قال: « لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج »... وفي الصحيحين عن عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا لرسول الله ﷺ كنيسة رأَيْنَها بالحبشة فيها تصاوير ، فقال رسول الله ﷺ: « إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدًا، وصوّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله تعالى يوم القيامة ». [لفظ مسلم]؛ قال علماؤنا: وهذا يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد »[2].

فمن هذا المنطلق يعتبر الشعراوي صوفي قبوري.

- ثانيًا: في باب الإيمان بالرُسل:

فهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ يثبت أنهم مرسلون من الله، ووظيفتهم تبليغ رسالة الله، ويؤمن بهم إجمالًا وتفصيلًا، ويُقرر كثيرًا بأن الشرائع السابقة كُلّها منسوخة بشريعة النبي ﷺ، وأن رسالة النبي ﷺ جاءت عامة لكل الناس.

---

(١) « تفسير الشعراوي » (١٤/ ٨٨٦٥).

(٢) « تفسير القرطبي » (١٠/ ٣٧٩-٣٨٠).

- **ثالثًا: في باب الإيمان بالكُتب:**

فهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ يؤمن بجميع الكتب الإلهية - إجمالًا وتفصيلًا - وأنها نزلت من عند الله ﷻ، وأن القرآن جاء مُصدقًا لما قبله من الكتب ومهيمنًا عليها، وأنه محفوظ بحفظ الله له من التحريف والتبديل الذي حصل للكُتب السابقة.

- **رابعًا: في باب الإيمان بالملائكة:**

فهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ يؤمن بوجودهم، وأنهم مخلوقون من نور، ولا تصيبهم الأغيار، ولا شهوةَ لهم؛ فلا يتناكحون ولا يتناسلون، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لا يستكبرون عن عبادته، ويسبحونه وله يسجدون. ويؤمن بأسماء من ورد ذكره في الكتاب والسُنة، ووظائفهم وأعمالهم؛ وأنهم يقومون على الإنسان عند خلقه، ومُكَلَّفون بحفظه بعد خروجه إلى الحياة، ويأتونه بالوحي من الله، ويراقبون أعماله وتصرفاته، وينزعون روحه إذا جاء أجله، وغيرها من وظائفهم وأعمالهم التي جاءت في الكتاب والسُنة.

- **خامسًا: في باب الإيمان باليوم الآخر:**

فهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ يؤمن بكل ما أخبر الله به ورسوله مما يكون بعد الموت؛ فيثبت عذاب القبر، والبعث، وعرصات يوم القيامة، والحساب، والصراط، والميزان، والحوض، والشفاعة، والجنة والنار.

- **سادسًا: في باب الإيمان بالقضاء والقدر:**

فهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ يؤمن بأن كل شيء واقع بقضاء الله وقدره، وأن الله علم بالأشياء قبل كونها، وأنه سبحانه كتب ما علمه بعلمه القديم في اللوح المحفوظ، ويؤمن

بأن مشيئة الله شاملة؛ فما من حركة ولا سكون في الأرض ولا في السماء إلا بمشيئته، ويؤمن بأن الله تعالى خالق كل شيء، وأنه لا يجوز لأحد أن يحتج بقدر الله ومشيئته على ما يرتكبه من معصية أو كفر.

- سابعًا: في باب الإيمان:

فهو رَحِمَهُ اللَّهُ يثبت أن الإيمان قول وعمل، وأن أمر الاعتقاد هو الذي يُبنى عليه كل عمل، وأن الإيمان يستلزم العمل؛ فيقول: « لا ينفع إيمان بلا عمل، ولا عمل بلا إيمان ».

- ثامنًا: في باب آل بيت النبي ﷺ وزوجاته:

فهو رَحِمَهُ اللَّهُ يُحبهن ويترضى عنهنّ، ويقرر أن الله قد برأ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من فوق سبع سماوات مما ابتليت به وبُهتت به من الإفك، ويقول عند ذكرها: « سيدتنا أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا »[(١)].

- تاسعًا: في باب الإمامة والصحابة:

فهو رَحِمَهُ اللَّهُ يُوافق أهل السنة؛ ويترضى على جميع الصحابة، ويُقرر بأنهم أفضل الأمة وأحرصها على تعلم الخير، وأنهم جاهدوا بأموالهم وأنفسهم لإعلاء كلمة الله وتبليغ دينه؛ فيقول: « وهؤلاء الصحابة هم الذي حملوا للدنيا مشاعلَ الهداية، وساحوا بدعوة الله في أنحاء الأرض »[(٢)].

---

(١) « تفسير الشعراوي » (٧/ ٤٠٨٢).

(٢) « تفسير الشعراوي » (١٧/ ١٠٣١٨).

ثانيًا: التوصيات:

١- أن ينحو الباحثون في جميع تفاسير علماء الأمة؛ فيستخرجوا منها المسائل العقدية المدعمة بأدلتها من الكتاب العزيز والسنة المطهرة.

٢- ضرورة تقعيد المسائل العلمية وربطها بالأدلة المتفق عليها، وتناول ذلك بأساليب سهلة؛ تساعد على تبصير العامة بأمور دينهم.

٣- أن ينحو طلاب العلم إلى إكمال الدراسات العليا والاستفادة من هذه البحوث والتدريب عليها ليترقى كل طالب علم بمثل هذا الجهد.

٤- البعد عن المسالك الملتوية في تقرير العقيدة الإسلامية.

٥- تقريب ميراث علماء الأمة لطلاب العلم الشرعي.

صدر للباحث

١- المتون العشرة التي أشار بها ابن عثيمين.

٢- عقيدة الشعراوي في تفسيره.

٣- مسائل العقيدة في سورة الصافات.

٤- حوار عقائدي مع الشيخ الددو.

٥- مناظرة مع أشعري.

٦- ملخص الفرق في العقيدة.

٧- ملخص المذاهب الفكرية المعاصرة.

٨- الخلافيات ١٤٠٠ سؤال وجواب على المذاهب الأربعة.

٩- الملخص الفرضي.

١٠- أقوال الأئمة الأربع على مسائل زاد المستقنع.

١١- ملخص التاريخ الإسلامي.

١٢- مع فقيه العصر ابن عثيمين.

١٣- آيات الأحكام ترتيب فقهي.

فهرس

الصف والإخراج
دار الإمام مسلم